الجمهورية الجزائرية ديمقراطية الشعبية

جامعة الجزائر

معهد اللغة العربية و آدابها

القصـــر في القرآن الكـــــريم

تراكيبـــــــه و دلالاتــه
دراســـــة بـــلاغيـــــة

بحث لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالب
محمد السعيد بن سعد

إشراف الأستاذ الدكتور:
حواس بري

السنة الجامعية
2000 – 1999

بسم الله الرحمان الرحيم

" و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون " الذاريات 56

،، هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات

هن أم الكتاب و أخر متشابهات " آل عمران 7.

" و ما أرسلنا من رســـــول إلا بلسان قومه

" ابراهيم (5)

الإهــداء

إلى روح الوالد الطاهرة تغمده الله برحمته،

إلى الوالدة التي ما فتئت تغمرني بدعواتها الطيبة،

إلى أم محمد و هاجر،

إلى أخوتي جميعا أخص بالذكر منهم عبد الرحمان،

إلى كل من أسهم في إخراج هذه الثمرة،

أهدي هذا العمل المتواضع عرفانا وتقديرا ووفاء.

المقدمـة :

تناولنا في هذه الرسالة موضوع القصر في القرآن الكريم ، إذا لا يزال القرآن الكريم بحرا ذاخرا بأنواع العلوم والمعارف، يحتاج إلى من يغوص في أعماقه للحصول على لآلئه ودرره الثمينة.

وهو إلى جانب ذلك غني من حيث أساليب القصر التي تدعو إلى التأمل وتبعث على الدرس.

ناهيك من أن المتبع لتراكيب وأضرب القصر، يضع يده على عدد من المباحث اللغوية، نحوية وبلاغية:كالاستثناء،العطف،النفي،الاستفهام، الإسناد ، التقديم والتأخير..الخ.

ثم إن القصر كأسلوب يعد من ضروب الاهتمام بالمعنى،أي دراسة الجملة والدلالة،هذا يجعلنا نقول:إن للقصر فلسفة خاصة متميزة متفردة تفرد هذا الخطاب الرباني.

أفلا يمكننا أن نكشف الغطاء عن بعض منها-:إلى من يتوجه القصر في لقران؟ ما الغاية من استخدام القصر في القران؟.ما المعاني التي يخدمها القصر في القران؟-إسهاما منا بمحاولة متواضعة في إثراء البحث اللغوي،خصوصا ونحن نرى أن هذا المبحث لم ينل حقه من الدراسة عند الذين اهتموا بالدراسات القرآنية في ثوبها البلاغي.

كل هذا دعانا وحفز همنا إلى دراسة (القصر)، في هذا التركيب البلاغي المعجز و المتميز(القرآن الكريم).

تبعا لذلك قسمنا الموضوع إلى: مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول ثم خاتمة.

1)الفصل الأول:مفهوم القصر عند البلاغيين والنحاة (مبحثان)
-المبحث الأول:القصر عند البلاغيين.
-المبحث الثاني:القصر عند النحاة.
2)الفصل الثاني:القصر ودلالاته في النظم القرآني(مبحثان)
-المبحث الأول:من صور القصر في نظم القرآن.
-المبحث الثاني:طرق القصر في القرآن.
3)الفصل الثالث:أقسام القصر(مباحثان) :
-المبحث الأول:القصر باعتبار المنفي عنه.
-المبحث الثاني: القصر باعتبار الاعتقاد وحال المخاطب .
(وتجدر الإشارة إلى أن كل مبحث يضم مطالب.).

فنحن إذن أمام بحث نحوي لا بالمعنى الذي يتبادر إلى الذهن، أي ضبط أواخر الكلمات، بل بالمعنى الذي دعا إليه عبد القاهر، وسار عليه في درس النظم وأرجع إليه فصاحة الكلام، أوضح أنه سبيل الإبانة والإفهام.

كان أول ما يجب علينا عمله،أن نتعرف تلك الأساليب ونجمعها ونبوبها وننظر في خواص التراكيب وخصائصها الاسلوبية، مستشهدين بما كتبه اللغويون فيها ، ونجمع ما في هذه الأساليب من أقوال متناثرة للنحاة والبلاغيين والمفسرين،فرجعنا إلى:

-المصحف الشريف ، وقد أمدنا بكل أساليب القصر.

-كتب التفسير، وكتب البلاغة،وكتب النحو ، وكان لها الفضل الكبير في تعريفنا بآراء المفسرين والنحويين والبلاغيين،فيما يفيده القصر من معان.

-المعاجم،التي رجعنا إليها للاطلاع على معاني بعض الألفاظ.

اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وإذا اقتضت الضرورة وازنا بين التراكيب في النص القرآني التي تتفق من حيث التركيب ، وتختلف من حيث الدلالة ، وبين النص القرآني وغيره من النصوص التي يبز فيها القرآن تلك الأساليب على بلاغتها وفصاحتها.

مما لا شك أن ثمة صعابا واجهتنا ، وعلى رأسها غياب المصادر والمراجع المتخصصة ، وما زاد الطين بلة افتقار المنطقة لمؤسسة جامعية أومعاهد عليا.

كل هذا لم يثننا عن مواصلة البحث والمكوث شهورا متتالية في مكتبات العاصمة ، وقد حاولنا تذليل هذه الصعوبات بالاستعانة بتوجيهات الأستاذ الدكتور "المشرف" كلما أتيحت لنا الفرصة للاتصال به.

وفي هذا لا يفوتني أن اوجه امتناني إلى الأستاذ الفاضل"المشرف" : الدكتور حواس بري، الذي لم يبخل علي بتخصيص جزء من وقته على الرغم من كثرة انشغاله ومتاعب سفره فكان الأخ ، والمعلم، والموجه القدير .

كما أوجه شكري إلى الأستاذ الدكتور : الحواس مسعودي ، الذي قبل تبني الأشراف على هذا العمل وأعطاه من وقته مطلعا ومقوما.

دون أن ننسى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة ، الذين خصصوا جزءا من وقتهم ليتصفحوا أوراق هذه الرسالة مصوبين أخطاءها ، ومقومين اعوجاجها بتوجيهاتهم وإرشاداتهم القيمة .

آملين أن نكون قد أسهمنا في خدمة لغة القرآن ، وفي إثراء البحث اللغوي ، والله نسأل أن يسدد خطانا ، وأن ينفعنا بالقرآن ، وينفع بنا ،وأن يرزقنا فهما لكتابه العزيز، ويقيمنا على الطريقة الرائدة في خدمته ، إنه نعم المولى ونعم الوكيل.

تمهيـد

علـم المعـاني

علـــم المعانـــي:

المعاني جمع معنى، وهو في اللغة المقصود ، كقولنا:"القصر" مـــــعناه الحبس ،وفي اصطلاح البيانيين ،أن يعبر الإنسان عما يتصوره من أفكار باستخدام اللفظ.

" وهـو الصـورة الذهنيـة مـن حيـث تقصـد مـن اللفـظ ، .... يـتركب مـن مسـند ومسـند إليه(محكوم به ومحكوم عليه) والنسبة بينهما(إسناد) ومـا زاد علـى ذلك غير المضـاف إليـه والصلة فهو قيد.[1]

وفـي الاصـطلاح عرفـه اللغويـون المتقدمون والمتـأخرون منهـــــم بتعـاريف تلتقـي أحيانا وتتباين أخرى ومن هذه التعاريف:

" علم المعاني تتبع خواص تراكيـــب الكـــلام علـــى ما تقتضي الحال ذكره."[2]

وفي هذا يقول د.منير سلطان :" هو مصـطلح حـادث استحدثه السـكاكي عنوانـا لمـا أطلق عليه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة،وما يتصـل بهـا مـن الاستحـسان وغـيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق ما تقتضي الحال ذكره"[3]

وقد عده عبد القاهر الجرجاني جزءا من معاني النحو،يقول:" واعـلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضـه الشك أن لا نظم فـي الكـلم ولا ترتيـب حتـى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك هذا ما لا يجهـله عاقل ولا يخفى على أحد من النـاس،وإذا كـان كذلك فبنـا أن ننظـر إلـى التعليق فيهـا والبنـاء وجـعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله ، وإذا نظرنا في ذلك علمنـا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا أو تعمد إلـى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الأخر أو تتبع الاسم اسما علـى أن يكـون الثـاني صـفه لـلأول أو تأكيدا له أو بدلا منه أو تجئ باسم بعد تمـام كلامك علـى أن يكـون الثـاني صـفه أو حـالا أو تمييزا أو تتوخى في كـــلام هـو للإثبـات معنـى أن يصـير نفيـا أو اسـتفهاما أو تمنيـا فتـدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك ، أو تريد فـي فعـــلين أن تجـــعل أحدهما شـــــرطا فـي الأخر فتـــــجئ بهما بعد الـــحرف الموضـوع لهـذا المعنـى أو بعد اسم من الأسماء التـي ضمنت معنى ذلك الحرف..."[4]

وفي هذا المعنى يقول د.درويش الجندي:" ...أن عبد القاهر الجـــرجاني وهو من أساطين البلاغة العربية، قد حصر البلاغة في وضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علـــم النحو،وفي العمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت ورسومه التي رسمت.

والنـــــحو عنده كما يتحدث عـــــن الجملة من حيث تغيير أواخر كلماتها بتغيير تركيبها، يتحدث عنها كذلك من حيث أسرار الجمال التي تكمن وراء نظم كلماتها وترتيبها الترتيب الذي يقتضيه علم النحو، وقد كان كلامه هذا أساسا لأحد علوم البلاغة، وهو"علم المعـاني."[5]

وفي الإيضاح:" هو علم تعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بهـا مقتضـــــى الحـال، وقيـل:يعـرف دون يعلـم رعايـة لمـا اعتبـره بعـض الفضـلاء مـن تخصـيص العلـم بالكليـات والمعرفـة بالجزيئـات،...ثم المقصـود مـن علـم المعـاني منحصـر فـي ثمانيـة أبـواب:أحـوال الإسـناد الخبري،أحـوال المسـند،أحوال المسـند إليـه ، أحـوال متعلقـات الفعل،القصـر الإنشاء،الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة.....إلخ.

---

[1] –احمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، الطبعة السادسة، دار الكتب العلمية.ص39–40

[2] –السكاكي سراج الدين ، مفتـاح العلـوم، مطبعة التقدم بمصر ، 1348 هـ

[3] –منير سلطان.د ، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف بالإسكندرية، مركز الدلتا للطباعة .ص .13

[4] –عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز في علم المعاني،دار المعارف للطباعة والنشر،بيروت–1981.ص45

[5] – درويش الجندي.د،علم المعاني،دار نهضة مصر للطبع والنشر .ص06.

إن الكلام إما خبر أو إنشاء والخبر لا بد له من إسناد،ومسند إليه،ومسند، والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو متصلا به أو في معناه، ثم الإسناد والتعلق له كل واحد منهما يكون إما بقصر أو بغير قصر." [1]

كما عرفه المراغي بقوله:" علم المعاني: قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له ، فيه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير، والحذف والذكر ، والإيجاز حينا والإطناب أخرى، والفصل والوصل إلى غير ذلك فتعرف مثلا:

1- إن العرب توجز إذا شكرت أو اعتذرت .

2- إن العرب تطنب إذا مدحت

3- إن الجملة الاسمية تأتي لإفادة الثبات بمقتضى المقال ، فمتى وضع المتكلم القواعد نصب عينيه لم يزغ عن أساليبهم ونهج تراكيبهم ، وجاء كلامه مطابقا بمقتضى الحال التي يرد فيها ، فالشكر حال تقتضي الإيجاز ، وإيراد الكلام على هذه الصورة مطابقة لمقتضى الحال .[2]

ومن هذا يمكن أن نقول : إن هذه التعاريف تلتقي في كون علم المعاني يتجه إلى معالجة التركيب من حيث مطابقته للحال ، حال المتكلم ، حال المخاطب ، المقام .

وهو بهذا وثيق الصلة بعلم النحو ، الذي يحمل المعاني الأولية (الشكلية) ، وعلم المعاني يحمل المعاني الثواني (العميقة) للنظم ، فيستقيم بها النظم ويسلم شكلا ومضمونا .

وعلم المعاني كغيره من العلوم له واضع وموضوع واستمداد وفائدة :

أما واضعه ، فالإمام عبد القاهر الجرجاني ، أخرجه كعلم قائم بذاته ، السكاكي سراج الدين.

" الإمام عبد القاهر الجرجاني ، المتوفى 471 هـ ، هذب مسائله ووضع قواعده. وقد وضع فيه الأئمة نتفا كالجاحظ وأبي هلال العسكري، إلا أنهم لم يوفقوا إلى مثل ما وفق إليه ذلكم البحر الجليل ."[3]

هذا ولقد كانت نشأة علم المعاني مرتبطة ارتباطا وثيقا بفكرة إعجاز القرآن .

وموضوع علم المعاني الجملة العربية شأنه في ذلك شأن علم النحو، يقول د.محمود احمد نحلة :" فالحق إن دراسة الجملة العربية هي موضوع العلمين جميعا ، فليس من شك في أن الجملة الصحيحة نحويا تظل مفتقرة إلى أهم خصائص الصحة ، تلك هي مطابقتها للمقام ، ومقتضى الحال ، وما يستفاد من القرائن في الخروج على مقتضى الظاهر من التراكيب"[4]

وفي جواهر البلاغة :" موضوعه اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني التي هي من الأغراض المقصودة للمتكلم من جعل الكلام مشتملا على تلك اللطائف ، والخصوصيات التي يطابق بها مقتضى الحال " [4]

ويستمد علم المعاني من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والكلام العربي.

ومن فوائد هذا العلم أنه يعلمنا كيف نركب الجملة العربية لنصيب بها الغرض المعنوي الذي نريده على اختلاف الظروف والأحوال ذلك ما يشير إليه ، د.بكري شيح أمين في كتابه "البلاغة العربية في ثوبها الجديد" ، يستطرد قائلا : " ... يعلمنا متى نجعل الجملة خبرية ومتى نجعلها إنشائية ويبين لنا السبب في هذا أو تلك ، ويعلمنا متى

---

[1] –الخطيب القزويني،الإيضاح في علم البلاغة ،شرح وتعليق د.عبد المنعم خفاجي،دار الكتاب اللبناني.ص.85

2 -احمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، البيان والمعاني والبليغ ، دار القلم بيروت –لبنان –.ص.44

[3] –احمد مصطفى المراغي ، المرجع السابق .ص.44

[4] –محمود احمد نحلة .د، علم المعاني ، الطبعة الأولى ، دار العلوم العربية بيروت –لبنان –.1990 .ص.16

[5]–احمد الهاشمي ، المرجع السابق .ص38 .

يجب القصر، والوصل والفصل ، ومتى لا يجب ...، يعلمنا متى ننكر المسند إليه ومتى نعرفه ، ومتى نقدمه ومتى نؤخره، ولماذا فعلنا ذلك "[1]

وهذا العلم إضافة إلى ذلك يطلعنا على أسرار البلاغة في النصوص النثرية و الشعرية ، كما يقودنا إلى الوقوف على إعجاز القرآن من حيث ما فيه من أسرار ولطائف وعذوبة ....إلخ .

يقول أحمد الهاشمي :" إن علم المعاني نقف به على أسرار علم البلاغة في منثور الكلام ومنظومه ، كي نحتذي حذوه ، وننسج على منواله ، ونفرق بين جيد الكلام ورديئه ".[2]

وهذا العلم يقودنا إلى معرفة إعجاز القران الكريم من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب ، وما يشتمل عليه من عذوبة وجزالة وسهولة وسلامة .

" ... يقودنا إلى معرفة إعجاز القران الكريم من جهة ما خصه الله به من جودة السبك وحسن الوصف وبراعة التركيب ولطف الإيجاز ، وما اشتمل عليه من سهولة التركيب وجزالة كلماته وعذوبة ألفاظه وسلامتها ، إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب أمام فصاحته وبلاغته ." [3]

إن المتأمل في هاته التعاريف يجدها تلتقي مهما تباينت في كون هذا العلم (علم المعاني) يسعى لجعل الكلام مطابقا لحال السامع ، والمقام ، به نتوصل إلى مخاطبة كل إنسان على قدر استعداده في الفهم وحظه من اللغة ، وتبعا لذلك تختلف مستويات الخطاب فما يصلح أن يخاطب به المثقف لا يصلح أن يخاطب به الجاهل ، وما يوضع خطابا للأديب ، لا يصلح أن يخاطب به الإنسان العادي وهكذا .

ومما لا شك فيه أن علم المعاني علم قائم بذاته له قواعده وأصوله ، على الرغم من ذلك فان ملاك الأمر فيه يرجع إلى الذوق السليم والطبع المستقيم ، جاء في الصحيح :

إذا لم تكن للمرء عين صحيحة ** فلا غرو أن يرتاب الصبح مسفر .

ولما كان موضوع المعاني الجملة العربية فقد كانت أبوابه : الإسناد، الخبر والإنشاء ، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة ، القصر الذي سنلقي عليه الضوء في هذا البحث ، وهو موضوعنا الرئيس في هذه الدراسة.

---

[1] –بكري شيخ أمين .د، البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني) الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين–بيروت،1982 ص93–94.

[2] –احمد الهاشمي، المرجع السابق ص.38

[3] –احمد الهاشمي ، المرجع السابق ص.38

الفصل الأول

القصر عند البلاغيين و النحاة

المبحث الأول

القصرعند البلاغيين

مفهوم القصر

طرق القصر

أقسام القصر

المبحث الأول : القصر عند البلاغيين .

المطلب الأول : مفهوم القصر .

القصـر في اللغة الحبس والإلزام ، تقول قصرت نفسي على الشيء ، إذا حبستها ألزمتها إياه ، كما تقول قصرت الشيء على كذا إذا لم تتجاوز به غيره ، يقول تعالى:**" حـــور مقصورات في الخيام "** [1] ، أي قد قصرنا وحبسنا على أزواجهن ، فلا يتطلعن ولا يطمحن لغيرهم .

وامرأة قاصرة الطرف : لا تمده إلى غير زوجها ، كأنها تحبس طرفها حبسا ، قال سبحانه:**" فيهن قاصرات الطرف "** [2]

جاء في مقاييس اللغة :" والتقصار :قلادة شبيهة بالمخنقة وكأنها حبست في العنـق، والمقصورة والجميع مقاصير أي الدار الواسعة المحصنة الحيطان ، والقصر كفك نفسك عن شـيء، قصرت نفسي أقصرها قصرا ، وقصرت اللجام وكذلك الصلاة قصرا ، وقصرتها تقصيرا ، والقاصر كل شيء قصر عنك " [3]

وفي محيط اللغة : " والقصائر من النساء اللاتي تحجب عن الناس ، والمقصرة ، العقد الذي يكون في العنق، وشاة مقصرة وقد اقتصرت اقصارا ، هي التي كف أطراف أسنانها ، وقصرت وكفت ثنيتها [4]

وفي اللسان :" القصر والقصر ، كل شيء خلاف الطول." [5]

والقصر الغاية ، يقال قصرك أن تفعل كذا وكفايتك وغايتك ، وكذلك قصارك وقصاراك ، و هو من معنى القصر أي الحبس ، لأنك إذا بلغت الغاية حبستك ، لقد انتهيت إلى شيء وتوقفت عنده ، وفي حديث أسماء الأشهلية :" إنا معشر النساء محصورات مقصورات " وفي حديث عمر رضي الله عنه: " فإذا هم ركب قد قصر بهم الليل " أي حبسهم ، وفي حديث ابن العباس :" قصر الرجال على أربع ." أي حبسوا ومنعوا عن نكاح أكثر من أربع . "

وقصره على الأمر قصرا : رده إلى ، وقصرت الستر : أرخيته ، وفي حديث إسلام ثمامة :" فأبى أن يسلم قصرا ، فأعتقه "،يعني حبسا علي وإجبارا .

يقال قصر نفسه على الشيء إذا حبسها على الشيء والزمها إياه ، والقصر خلاف المد ، والقصر من عروض المديد والرمل ، ما اسقط أخره واسكن نحو : فاعلات فاعلات فاعلات ، الذي نقل إلى فاعل .

ومن مرادفات القصر ، الحصر الذي هو ضيق الصدر ، ومن معانيه الحبس ، تقـول : حصره المرض عن السفر ، أي حبسه .

وفي الإعراب يطلق القصر في إعراب الأسماء الستة كـ (أب، أخ ، حم ...) ، هو إلزامها الألف في جميع حالاتها .

وقد جاء في القاموس المحيط : " القصر في الشعر والنحو حذف آخر همزة الاسم الممدود ، وذلك في الضرورة الشعرية ، قصر : القاف ، الصاد ، الراء ، أصلان صحيحان :أحدهما يدل علـــى ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته ، والآخر الحبس والأصلان متقاربان .[6]

والقصر في اصطلاح علم المعاني :"هو تخصيص شيء بشيء ، والشيء الأول هو المقصور ، والشيء الثاني هو المقصور عليه ، وذلك كتخصيص المبتدأ للخبر، بطريق مخصوص كطريق " النفي والاستثناء " في قوله تعالى: **" وما الحياة الدنيا إلا متاع**

---

[1] –الرحمن 71

[2] –الرحمن 55

[3] –ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ،(مادة قصر) .

[4] –الصاحب ابن عباد ، المحيط في اللغة ، (مادة قصر) .

[5] – ابن المنظور ، لسان العرب ، (مادة قصر) .

[6] –الفيروز باد ، القاموس المحيط ، مادة قصر

الغرور " . فالحياة الدنيا مقصور ، ومتاع الغرور مقصور عليه ، وحدث هذا التخصيص عن طريق " ما وإلا ".وكتخصيص الخبر بالمبتدأ في قولك : ما شاعر إلا شوقي ، فشاعر مقصور وشوقي مقصور عليه ، والطريق " ما وإلا " .

يقول المراغي مشيرا إلى معنى القصر في الاصطلاح : " ... تخصيص أمر بأمر بإحدى الطرق ...."[1]

أطلق الزمخشري مصطلح القصر على ما اسماه الجرجاني : "الخبر بالنفي والإثبات. "[2]

واحتذى السكاكي حذو الزمخشري ، فعرف القصر بأنه :" تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان ".[3]

والقصر من الأساليب التي تجمع جملتين متنافرتين في جملة واحدة ، كقولك : " لا سيف إلا ذو الفقار ، تكون جملة " لا سيف إلا ذو الفقار" قد جمعت إثبات البطولة لذي الفقار ونفيها عن غيره في الوقت نفسه ، وهذا ما ينظر إليه الدكتور منير سلطان على أنه إيجاز قصر ، حيث يقول :" فهناك إيجاز يعتمد على ضم الجملة المثبتة الى الجملة المنفية ، واستخراج جملة ثالثة مثبتة منفية بطريق القصر على سبيل الإيجاز ".[4]

المتأمل في هذه التعاريف يصل إلى أن معنى الحبس متضمن في التعريف الاصطلاحي ، ذلك أن القصر هو : تخصيص صفة بموصوف لا يشاركها فيه موصوفون آخرون ، بحيث لا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوفين آخرين ، قال الشاعر :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني أرى الأرض تبقى والإخلاء تذهب

قصر الشاعر صفة الشكوى على الله تعالى ، بحيث لا تتجاوزه إلى الناس. أو تخصيص موصوف بصفة لا تشاركه فيها صفات أخرى ، بحيث لا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى ، قال الشاعر :

هل الجود إلا أن تجود بأنفس على كل ماض الشفرتين صقيل

حيث قصر الشاعر صفة الجود على الجود بالأنفس ، فالمقصور هو المختص أو المحبوس أو الموقوف على شيء محدد ، والمقصور عليه هو موضوع الاختصاص أو دائرة الحبس أو إطار الوقوف الذي يحتوي المقصور ، بحيث لا يتعداه إلى غيره من الدوائر ، وإلا لما كان مقصورا .

فالجود بالأنفس في البيت مقصور عليه ، والجود مقصور ، فاستقراؤنا للبيت يجعلنا نقول : إن الجود مقصور وهو المختص والمحبوس والموقوف على شيء محدد وهو الجود بالأنفس .

والجود بالأنفس مقصور عليه وهو موضوع الاختصاص أو دائرة الحبس وإطار الوقوف الذي يحتوي الجود بحيث لا يتعداه إلى غيره .

كل هذا حدث بطريق مخصوص هو هنا طريق " النفي والاستثناء "، أحد الطرق التي حددها البلاغيون للوصول إلى أسلوب القصر ، وهو من ثمة أسلوب غني بأقسامه وطرقه التي سنقف عليها في المباحث التالية :

---

[1] – احمد مصطفى المراغي ، المرجع السابق . ص 154 .

[2] – الجرجاني ، المرجع السابق .ص337 .

[3] – السكاكي ، المرجع السابق .ص125 .

[4] – منير سلطان ، المرجع السابق .ص

المطلب الثاني : طرق القصر :

طرق القصر كثيرة منها: العطف "بلا " أو "بل" أو "لكن " ، و" النفي والاستثناء "، و "إنما" ، و" تقديم ما حقه التأخير ".

وقد يحصل القصر بالتصريح بلفظ وحده ، أو بقولك : ليس غير ، أو فقط ، أو بلفظ مشتق من كلمة الاختصاص أو من لفظ القصر ، كقولك : محمد مقصور على القيام. ولكن البلاغيين لم يلتفتوا إليها ، لأنها ليست من البلاغة في شيء .

فالطرق المصطلح عليها هي الأربعة الأولى وهي أشهر طرق القصر ، إلا أن بعض البلاغيين أضاف طريق ضمير الفصل ، وطريق تعريف الجزأين (المسند إليه والمسند)

أولا : طريق "العطف ":

تتحقق فيه معادلة القصر كالتالي :

أ - "لا" : المقصور + لا + المقصور عليه = أسلوب قصر ، نحو قولك :

" الأرض متحركة لا ثابتة " . الأرض متحركة مقصور ، ثابتة مقصور عليه ، أي أثبت القائل للأرض الحركة ونفي عنها الثبات .

ب -" بل " و " لكن " : النفي + المقصور +العاطف (بل أو لكن) + المقصور عليه = أسلوب قصر ، كقولك : " ليست الأرض ثابتة بل متحركة " .

"الأرض" ثابتة مقصور وهو كما ترى جاء بعد قرينة النفي " ليست " ، "متحركة" مقصور عليه .

فهي إذن تقرر حكم ما قبلها ، أي نفي الثبات عن لأرض ، وتثبت ضد الحكم لما بعدها ، أي تثبت الحركة للأرض .

ويلاحظ في هذا الطريق أنه يصرح فيه بكل من المثبت والمنفي ، وهذا يجعل خاصية الإيجاز فيه ضئيلة .

وهو بهذا يخالف الطرق الثالثة الباقية فالأصل فيها النص على المثبت فقط .

النفي بـ "لا " العاطفة لا يجتمع مع النفي والاستثناء ، وعلة ذلك : " ... إن شرط النفي "بلا" العاطفة ألا يكون منفيا قبلها بغيرها من أدوات النفي ، فإن لا موضوعة لنفي الحكم عن المعطوف وإثباته للمعطوف عليه ، لئلا يعاد بها النفي لشيء قد نفي من قبل ، ولا يتحقق هذا الشرط إذا اجتمعت بالنفي والاستثناء " [1]

ثانيا : طريق "النفي والاستثناء ":

فالنفي والاستثناء تحققه المعادلة التالية :

النفي + المقصور + الاستثناء + المقصور عليه = أسلوب القصر ، نحو كلمة التوحيد :

" لا إله إلا الله " ، وكقوله تعالي : **" وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ."** [2]

الجزء المنفي من الجملة : النفي + المقصور = " ما محمد " .

الجزء المثبت من الجملة : الاستثناء + المقصور عليه = " إلا " (رسول) .

فقد نفى سبحانه وتعالي كل الصفات الأخرى ، وجعل صفة الرسالة هي المستحوذة على المقصور .

ولا نغادر هذا الطريق قبل أن نشير إلى بعض ما يتعلق به ، ومنه :

- إن المعول عليه في القصر بالنفي والاستثناء ، هو الاستثناء المفرغ ، وهو ما يكون فيه المستثنى منه عاما ، وما بعده يعرب بحسب العوامل ، تقول : " ما جاء إلا محمد " ، ففي حكم الاستثناء المفرغ من حيث التعويل عليه في القصر ما يؤول إليه ذلك الاستثناء بعد التصريح بالمستثنى منه العام المحسوس ، مثل "ما جاء أحد إلا محمد " (محمدا) ، و وجه إفادة النفي والاستثناء القصر أن "النفي و الاستثناء " المفرغ وما في حكمه

---

[1] – دروش الجندي ، المرجع السابق ، ص 54 .

[2] –آل عمران .144

ينصب على المستثنى منه العام المقدر في الأول ، والصريح في الثاني والمناسب في كليهما للمستثنى في جنسه ، وفي صفته من الفاعلية و المفعولية ونحو ذلك ، فإذا أثبت من ذلك المستثنى منه شيء بـ "إلا " تحقق القصر ، لأن ما عدا هذا المثبت يظل بقيا علي صفة الانتفاء .[1]

- طريق "النفي والاستثناء" يعقل منه الحكمان معا (النفي والإثبات) " ولكن يدل عليهما بطريق الاستقلال ، وليس بالاحتمال كما في التقديم ، فإذا قلت : " ما حضر إلا محمد " فإنه لا يدل على الحكمين معا إلا بمساعدة المستثنى منه المقدر ، لأن الاستثناء إخراج فلا بد من ملاحظة المخرج منه " [2] .
- الغالب في طريق "النفي والاستثناء" أن يؤخر المقصور عليه مع أداة الاستثناء ، ويجوز على القلة تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء على أن يظلا على حالهما من حيث الترتيب ، كقولنا : " ما تعلم البيان إلا يوسف " - " ما تعلم إلا يوسف البيان " .
- الأصل في" النفي والاستثناء" أن يستعمل فيما من شأنه أن يجهله المخاطب وينكره ، أو فيما يشك فيه ويرتاب ، أو عندما ينزل المخاطب تلك المنزلة ، يقول عبد القاهر : " وأما الخبر والإثبات نحو : ما هذا إلا كذا ، إن هو إلا كذا ، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه ، فإذا قلت : ما هو إلا مصيب ، أو ما هو إلا مخطئ قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته ، إذا رأيت شخصا من بعيد فقلت : ما هو إلا زيد لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس زيد و أنه إنسان آخر ، ويجد في الإنكار أن يكون كذلك [3].

يقول تعالي : **" حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا : إن هذا إلا أساطير الأولين " [4] .**

الآية في سياق موقف الكفار من القرآن الكريم ، فهم لا يقرون بوحدانية ، والرسول صلي الله عليه وسلم يدفع وينكر كون ما جاء به أساطير الأولين ، ويوقن إيقانا راسخا أنه حق من عند الله ، ولذلك جاء القصر بالنفي والاستثناء في الآية .

طريق النفي والاستثناء لا يجتمع والعطف بلا ،فلا يجوز أن تقول : ما أكرمت إلا خالدا لا سعيدا ، وذلك لأن المنفي في قولك : ما أكرمت إلا خالدا عام فهو يشمل ما عدا "خالدا " ، وسعيد دخل في دائرة النفي ، و" لا " العاطفة وضعت لأن ينفى بها الشيء ابتداء لا لأن ينفى بها شيء قد نفي بغيرها ، يقول عبد القاهر : " ليس من كلام الناس أن يقولوا : ما زيد إلا قائم لا قاعد ، فإن ذلك إنما لم يحز من حيث إنك إذا قلت : ما زيد إلا قائم فقد نفيت عنه كل صفة تنافي القيام ، وصرت كأنك قلت : ليس هو بقاعد ولا مضطجع ولا متكئ ، وهكذا حتى لا تدع صفة يخرج بها من القيام ، فإذا قلت من بعد ذلك : لا قعد كنت قد نفيت بلا العاطفة شيئا قد بدأت فنفيته ، وهي موضوعة لأن تنفي بها ما بدأت فأوجبته ، لا لأن تفيد بها النفي في شيء قد نفيته . " [5]

يقول الدكتور بسيوني : " ولذا عيب قول القائل :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يوميه علي ما انجلى يومه لا ابن أمسه .

ثالثا : طريق " إنما " :

ومعادلته :

إنما + مقصور +مقصور عليه = أسلوب قصر

جاء في الحديث الشريف: " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوي ."[1]

---

[1] –درويش الجندي ، المرجع السابق ،ص 134 – 135 .

[2] –درويش الجندي ، المرجع السابق ،ص 154 .

[3] – الجرجاني عبد القاهر ، المرجع السابق ،ص 255 – 256 .

[4] –الأنعام 26 .

[5] – الجرجاني عبد القاهر ، المرجع السابق ،ص 266 – 267.

[1] – إبن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية، ط1، دار بن حزم للطباعة و النشر بيروت، 1997، ص 26.

إنما أداة القصر ، "الأعمال" مقصور، "النيات" مقصور عليه .
وفي تفسير الحديث : " إنما هي من صيغ الحصر ، ولأن الأعمال جمع محلى باللام وهذا يفيد الاستغراق المستلزم للقصر ، وهو ما فهمه ابن عباس رضي الله عنه في مثل هذا التركيب .....، : " إنما الربى النسيئة " ولم يعارض من قبل الصحابة في فهمه لهذا التركيب .... ، وقال ابن دقيق العيد : " وفي ذلك اتفاق علي أنها للحصر ، ومعني الحصر فيها : إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما عداه . " [2]
وفي إفادة "إنما" القصر اختلاف بين اللغويين ، منهم من يقول : إنها تفيد القصر لتضمنها معني " ما وإلا " ، يدل على ذلك قول المفسرين في قوله تعالي : **" إنما حرم عليكم الميتة ... "** [3] ، معناه ما حرم عليكم إلا الميتة ، ومنهم من يقول دلالة "إنما" على القصر بأصل وضعها اللغوي ، فإنما تفيد الإثبات والنفي اللذين يقوم القصر عليهما .
يقول الدكتور بسيوني :" ... فقد ذكروا أنها تدل على القصر لتضمنها معني " ما وإلا "، واستدلوا علي ذلك بوجوه منها ، قوله تعالي : " إنما حرم عليكم الميتة " بالنصب ، حيث ذكر المفسرون الذين يحتج بهم في اللغة كابن عباس ومجاهد ونحوهما من الصحابة التابعين ، إن معنى : ما حرم عليكم إلا الميتة وهو المطابق لقراءة الرفع حيث يفاد القصر في هذه القراءة بتعريف الطرفين فالآية فيها ثلاث قراءات وكلها تفيد القصر ، القراءة الأولى : "إنما حرم عليكم الميتة " . بناء حرم للمعلوم ورفع الميتة وعلي هذه القراءة تكون " ما " اسم موصول وعائده محذوف ، المعنى : إن الذي حرم عليكم هو الميتة ، وهو قصر لتحريم علي الميتة وما بعدها وطريق القصر تعريف الطرفين ، والقراءة الثانية: " إنما حرم عليكم الميتة " ببناء حرم للمفعول ورفع الميتة ، وعلى هذه القراءة ،
" فما " إما اسم موصول والمعني : إن الذي حرم عليكم هو الميتة ، و إما كافة " لإن " والمعنى : ما حرم عليكم إلا الميتة ، وهذا قصر أيضا التحريم على الميتة وما تلاها وطريقه تعريف الطرفين في الأول ، وإنما في الثاني . والقراءة الثالثة : " إنما حرم عليكم الميتة " ببناء حرم للفاعل ونصب الميتة " فما " كافة " لأن " والمعنى : ما حرم عليكم إلا الميتة فهو قصر طريقه إنما ، وبهذا يتضح لك تطابق القراءات الثلاثة في إفادة القصر ، سواء كانت " ما " كافة أو موصولة . " [4]
وأحسن من مثل نظرة البلاغيين في اعتبار إنما تدل علي القصر بهاء الدين السبكي، حيث نظر إلى استعمالاتها في التركيب، يقول: "ومن الأدلة على إفادة إنما القصر قوله تعالي : **"إنما العلم عند الله "** [5]، وقوله عز وجل: **"إنما يأتيكم به الله إن شاء..."**[6]، وقوله جل وعلا: **" قل إنما علمها عند ربي..."** [7]، فإنه إنما يحصل مطابقة الجواب إذا كانت إنما للحصر ليكون معناه لا آتيكم به إنما يأتي به الله ، ولا أعلمها إنما يعلمها الله "[8].
إنما قال السبكي هذا بعد تتبعه لسياق الآيات .
تأتي "إنما" لتفيد القصر المطلق ،وتارة يكون القصر مقيدا ، ويفهم ذلك بالقرائن والسياق، ففي قوله تعالي **: " إنما أنت منذر "**[1]

---

[2] – ابن دقيق العيد، أإحكام الأحكام، (شرح عمدة الأحكام، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط2، دار الكتب السلفية القاهرة، 1987، 60./1

[3] – النحل 115

[4] –بسيوني عبد الفتاح فيود، د. علم المعاني (دراسة بلاغية نقدية)، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع القاهرة، 35/1.

[5] – الأحقاف .22

[6] – هود .33

[7] – الأعراف .187

[8] – بسيوني عبد الفتاح، المرجع السابق ، 37./1

[1] – الرعد 7

الظاهر من الآية قصر وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم في الإنذار ، ولكن له أوصاف أخرى كالبشارة وغيرها . وقوله تعالي :**" إنما الحياة الدنيا لعب ولهو "** [2] والقصر هنا من آثار الدنيا ، أو هو من باب التغليب ، إلا قد تكون الدنيا سببا إلى الخيرات
قال ابن دقيق العيد : " فإذا وردت "إنما" فاعتبرها علي إطلاقها ، فإن دل السياق المقصود من الكلام علي الحصر في شيء مخصوص فقل به ، و إلا فاحمل الحصر على الإطلاق... "[3]،
كما استدل البلاغيون على تضمن " إنما " معنى "ما و إلا " بصحة انفصال الضمير معها ، تقول :" إنما نكرم نحن " ، فمتى أمكن اتصال الضمير لا يعدل إلى انفصاله إلا لغرض ، وفي هذا يمكنك إن تقول : " نكرم " ، فلما صح انفصال الضمير مع " إنما " دل ذلك على إنها بمعنى " ما وإلا "، لأن " إلا " لا يليها سوى الضمير المنفصل ، " ما نكرم إلا نحن ".
يقول عمرو بن معد يكري :

قد علمت سلمى وجاراتها ما قصر الفارس إلا أنا . [4]

ومما تمتاز به "إنما" عن العطف:

- أنه يعقل منها الحكمان معا (الإثبات والنفي) دفعة وحدة بخلاف العطف فإنه يفهم منه الإثبات ثم النفي أو العكس ، و فهم الحكمين معا يدل من أول الأمر علي أن الكلام مراد به القصر ، أما فهمهما الواحد بعد الأخر فإنه يترك الفرصة للوهم .
- وتأتي إنما لإفادة كل أنوع القصر ، كما تأتي لأمر معلوم عند المخاطب بحيث لا ينكره ولا يدفعه .

جاء في كتاب علم المعاني : " ...فهي - " إنما " - أداة هادئة تستعمل في معاني الواضحة التي لا ينكرها المخاطب ولا يجهلها ،وهذا عكس " النفي و الاستثناء " الذي يستعمل في المعاني القوية والنبرات الحادة والأمور الغربة ... وكأنما " إنما " أداة همس وتنبيه ، يهمس بها المتكلم وينبه مخاطبه إلى تلك الأمور المعلومة ، والمعاني الواضحة .[5]
قال تعالي : **" إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها... "** [6]
قصر التركيب الشريف الصدقات على كونها لهذه الأصناف ، بحيث لا تتعدها إلى غيرها وهذا أمر معلوم لا ينكره عاقل ، لذا استعمل فيه طريق إنما . يقول عبد الله ابن قيس الرقيات في مدح مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من اللـــه تجلت عن وجه الظلماء .[7]

اختيار الشاعر التعبير بـ " إنما " ليفيد أن الصفة " شهاب من الله " فيه أمر ظاهر معلوم ، لا ينكره أحد و لا يرتاب فيه .

رابعا :" طريق التقديم "

ونمثل له بالمعادلة :

المقصور عليه + المقصور = أسلوب قصر

يقول تعالي : **" إياك نعبد وإياك نستعين "** [1] فاسم الجلالة المعبر عنه بضمير إياك مقصور عليه و" نعبد " و" نستعين " مقصور فالعبادة مقصورة علي الله سبحانه وتعالي دون غيره من الخلائق .ودلالة التقديم على القصر إنما هي فحوى الكلام ومفهومه ، يقول السيوطي : " وطرق القصر مختلفة في وجوه منها: أن التقديم يفيد بالفحوى أي بمفهوم الكلام ، بمعني أن الذوق السليم

---

[2] – محمد 36

[3] – أبن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية، ص .28

[4] – بسيوني عبد الفتاح، المرجع السابق، 36/1

[5] – بسيوني عبد الفتاح، المرجع السابق، 55./1

[6] –التوبة 60

[7] –بسيوني عبد الفتاح، المرجع السابق، 57/1

[1] – الفاتحة .4

إذا تأمل فيه فهم القصر ، إن لم يعرف اصطلاح البلغاء في ذلك ، والبواقي تفيد بالوضع لأن الواضع وضعها لمعان تفيد الحصر ... " [2]

طريق التقديم يعقل منه الحكمان معا أيضا ، غير انه يدل عليهما بالاحتمال ، فلو قلنا :" عليا أكرمت " كان ذلك محتملا للقصر إذا اعتبرنا أن عليا معمولا مقدما " لأكرم " ، وكان محتملا لغير القصر إذا اعتبرنا عليا معمولا لفعل محذوف حيث لا يفيد التركيب إلا أحد الحكمين هو الإثبات ، بينما يفيد التركيب الثاني الحكمين معا وهذا أساس القصر .

تقديم المسند يكون لإغراض منها : تخصيصه بالمسند إليه ، يقول تعالي : **" ولله ملك السماوات والأرض . "** [3] فملك السماوات والأرض مختص بكونه لله أي مقصور عليه ومنحصر فيه ، ويقول عز وجل : **" لا فيها غول "** [4]

التخصيص في غالب الأمر لازم للتقديم ولذلك يقال في قوله تعالي : **" إياك نعبد وإياك نستعين "** ، نخصك بالعبادة أي لا نعبد غيرك ، ونخصك بالاستعانة أي لا نستعين غيرك .

و كذا في قوله تعالي : **" إن كنتم إياه تعبدون "** [5].

وطريق التقديم تكمن وراءه العديد من المزيا والأسرار البلاغية ، يقول الدكتور بكري شيخ أمين : " إذا كان لطرق القصر المختلفة جمال فلتقديم ما حقه التأخير قصب السبق و راية الجمال وشارة الحسن . " [6]

ومما تقدم يتضح أننا ركزنا على طرق أربعة :

1-" العطف بلا وبل ولكن " وقد نازع كثير من اللغويين إفادته القصر ، ولكن أرجح الآراء تدل على إفادته القصر.

ويلاحظ أن " لا " العاطفة هي نفسها أداة النفي ، بينما " بل " و" لكن " يشترط فيهما أن يتقدمها نفي أو نهي ليقررا حكم ما قبلهما ويثبتا ضده لما بعدهما .

2-" النفي والاستثناء " ، سواء أكان النفي " بلا " أم بغيرها من أدوات النفي " كما" و "إن"، وقد يكو ن النفي بأحد أدوات الاستفهام المشربة معني النفي يقول تعالي :

" إن نحن إلا بشر مثلكم ." [7]

" فهل على الرسل إلا البلاغ المبين. " [8]

والاستثناء يكون بـ " إلا " أو" بغير" أو" بسوى" .

3- " إنما " التي تفيد القصر قيل بالمنطوق ، وقيل بالمفهوم .

4 - " التقديم " ويدل على القصر بفحوى الكلام لا بالوضع .

على أن هناك طرقا أخرى أشار إليها البلاغيون قد عدها بعضهم بأربعة عشر طريقا منها:

1 - تعقيب المسند إليه بضمير الفصل ،ويعقب المسند إليه بضمير الفصل لأغراض منها: قصر المسند على المسند إليه وذلك إذا لم يكن في التركيب ما يفيد القصر سوى ضمير الفصل كقوله تعالي:**"ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده."**[1]

أي لا يقبل التوبة عن عباده إلا الله ، فقبول التوبة مقصور عليه سبحانه .

2- تعريف " الجزأين " كقوله تعالي : **" إن الله هو التواب الرحيم "** [2]

---

[2] السيوطي (جلال الدين)، شرح عقود الجمان، ص 92

[3] المائدة .19

[4] الصافات .47

[5] البقرة .171

[6] بكري شيخ أمين، المرجع السابق، ص 13 –.15

[7] إبراهيم .14

[8] النحل .35

[1] – التوبة 105

[2] – البقرة 36

أي لا تواب إلا هو ، التخصيص جاء من تعريف الطرفين ، وقد أكد هذا التخصيص بضمير الفصل .
وإذا كان المبتدأ أو الخبر معرفتين فالراجح أن السابق منها هو المبتدأ ، واللاحق هو الخبر .
المقصور عليه في هذا الطريق هو غير المعرف بـ " ال " الجنسية نحو " محمد كريم"، " الكريم محمد " ، فقد قصرت الكرم على محمد في كليهما ، فحينما يكون أحد طرفي الإسناد معرفا بـ ال التي للجنس فإن التعريف يدل على القصر ، وهو طريق من طرق القصر عند بعض البلاغيين .
بهذا نكون قد وقفنا على طرق ست مشهورة عنيت بالاعتبارات والملاحظات البلاغية .
قد تبين لنا من خلال هذا أن بين هذه الطرق أوجه اختلاف ، على الرغم من اشتراكها في الدلالة على القصر ، ومن هذه الفروق :
أ - دلالة التقديم وضمير الفصل وتعريف الطرفين أو أحدهما بـ ال الجنسية على القصر مرجعها إلى سياق التركيب ، ومعرفة قرائن الأحول ، أما النفي والاستثناء ، والعطف ، وإنما فدلالتها على القصر دلالة وضعية .
ب - الأصل في طريق العطف النص على المثبت والمنفي معا ، أما بقية الطرق فالأصل فيها النص على المثبت دون المنفي .
ج - لا يصح أن يجتمع طريق النفي بـ "لا " العاطفة وطريق" النفي والاستثناء "
أما بقية الطرق فتجتمع والنفي ، تقول : " إنما شوقي شاعر لا كاتب " ، " إلى الله أشكو لا إلى الناس " ، صالح الكريم لا خالد ". يقول الدكتور بسيوني : " ... ذلك لأن النفي في هذه الطرق ليس نفيا صريحا ، فأنت لم تنف بـ " لا "ما قد نفي من قبل نفيا صريحا بأداة من أدوات النفي الموضوعة له ، بل نفيت بها ما قد فهم نفيه في الجملة المتقدمة بغير أداة ، والقصر عندئذ طريقه : " إنما والتقديم ، والتعريف بـــ ال . أما العطف ب "لا" فتأكيد للقصر . " [3]
قد تجتمع طرق القصر في تركيب واحد ، كاجتماع " إنما " و" التقديم " في قولنا : " إنما خالدا أكرمت " ، وقوله تعالي : **" فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب "** [4] في هذه الحالة يتحتم إلغاء دلالة أحد الطريقين على القصر ، ويحدد ذلك السياق ، وقد اجتمع ذلك في الآية الكريمة ، اجتمع طريق إنما وطريق التقديم ، والمراد في الآية قصر مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم على التبليغ بحيث لا تتعداه إلى الحساب ونحوه ، وهذا يناسب أن يكون المقصور عليه " البلاغ " ، والمقصور "عليك" أي الرسول ، وهذا معناه أن الطريق هو "إنما" ، ودلالة التقديم على القصر ملغاة ، وإنما جاء التقديم لتأكيد القصر وتقويته . أما الشطر الثاني من الآية : " وعلينا الحساب" فهو قصر الحساب على الله سبحانه لا يتجاوزه إلى غيره ، فالمقصور عليه هنا هو"علينا "
أي " الله " والمقصور هو " الحساب " وهذا معناه ان الطريق هو" التقديم " إذا المقصور عليه في هذا الطريق يكون دائما مقدما .
ويشترط في اجتماع الطريقين عدم التناقض فلو قلنا : " إنما الجواد أنت " اجتمع عندنا إنما والتعريف ، ولا تناقض بينهما ، لأن المقصور عليه في إنما هو المؤخر " أنت " ، والمقصور عليه في تعريف الجزأين الخالي من " ال " وهو في التركيب " أنت " أيضا ، فلا تناقض في بناء العبارة .
د - يختلف موقع المقصور والمقصور عليه باختلاف طريق القصر :
* المقصور عليه في العطف بـــ "لا " هو المقابل لما بعدها .
* المقصور عليه في " بل " و " لكن " هو الواقع بعدهما .

---

[3] – بسيوني عبد الفتاح، المرجع السابق، 1/47-48
[4] – الرعد .40

* المقصور عليه في " النفي والاستثناء " يكون بعد أداة الاستثناء ، ولا يتقدم إلا معها ، لأن ذلك يسبب اختلالا في المعني .
* المقصور عليه في " إنما " هو المؤخر دائما .
* المقصور في " التقديم " هو المقدم دائما .
* المقصور عليه في ضمير الفصل و تعريف أحد الطرفين هو غير مقترن بـ"ال"
ونخلص إلى أن القصر من الأساليب البلاغية التي تقوم على ركنين أساسين، والبلاغيون في دراستهم للقصر ينظرون إليه من حيث غرض المتكلم من الاختصاص، ومن حيث حال المخاطب، لذا لجأوا إلى تقسيم القصر إلى أقسام سنفصلها في المطلب اللاحق.

المطلب الثالث : أقسام القصر :

قام البلاغيون بتقسيم القصر باعتبار : طرفي القصر ، وباعتبار غرض المتكلم .
* فبالنظر إلى طرفي القصر قسموا القصر إلى :
أ - قصر صفة على موصوف : كقوله تعالي : **" لا إله إلا هو الحي القيوم . "** [1] حيث قصر التركيب الشريف صفة الإلهيه على الله تعالى لا تتعداه إلى غيره .
وليس المراد بصفة هنا " النعت " المعروف في النحو ، تقول : " اطلب العلم النافع " فالنافع نعت نحوى " صفة نحوية " للعلم ، لا يفصل بينهما ولا يتصور بينهما قصر ، وإنما المراد ما يقابل الذات ، وهو المعني الذي يقوم بغيره سواء دل عليه بالوصف " ككاتب " أو بغير الوصف كالفعل " يكتب " ، نحو :
"ما سمير إلا كاتب " ، أو " ما يوسف إلا يكتب " .
و معني قصر صفة على الموصف ألا تتجاوز الصفة ذلك الموصف إلى موصف أخر أصلا ، كما في الآية الكريمة صفة الالهية لا تتجاوز الله إلى غيره أصلا" مطلقا " ، أو لا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف أخر معين "محدد " . تقول : " الفقيه محمد لا يوسف " ، فصفة التفقه مقصورة على محمد لا تتعداه إلى يوسف وإن صح أن تتعداه إلى أحمد وعلي وغيرهما .
لا يمنع قصر الصفة على الموصوف أن يتصف الموصوف المقصور عليه بصفات أخرى غير تلك الصفة المقصورة .
ب - قصر موصوف على صفة : كقوله تعالي : **" إن انت إلا نذير "** [2] حيث قصرت الآية الرسول صلى الله عليه وسلم " موصوف " على صفة " الإنذار" . والمقصود بالموصوف في القصر كل ما يقوم به غيره ، والغالب أن يكون دالا على ذلك ، وقد يدل في نفسه على معنى قائم بغيره ، يقول تعالي على لسان المشركين : **" ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى "** [3]
يقول درويش الجندي بصدد هذه الآية: "فقد قصرت العبادة على التقريب قصر موصوف على صفة، مع أن العبادة وهي المقصور تدل على المعنى قائم بغيره"[1]، أي بغير التقريب.
ومعنى قصر الموصوف على الصفة ألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى أصلا ، يقول تعالي : **" فإنما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب "** [2] ففي قوله تعالي : " وعلينا الحساب " قصر موصوف " الحساب " على كونه لله أو لا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى معينة كقولنا : " خالد كاتب لا شاعر " ، قصرنا خالدا على صفة " الكتابة " لا يتجاوزها إلي صفة الشعر ، فقد قصرناه على الكتابة بالنسبة إلى صفة معينة هي " الشعر " .

---

[1] – آل عمران 2 .
[2] – فاطر 23 .
[3] – الزمر 3 .
[1] – دروش الجندي ، المرجع السابق ، ص 130
[2] – الرعد 40 .

وهذا لا يمنع أن تكون هذه الصفة المقصور عليها وصفا لموصوف آخر غيره فخالد قصر على صفة الكتابة بحيث لا يتعدها الى الشعر ولكن صفة الكتابة ليس هناك ما يمنع من أن يتصف بها غيره .

و المراد بالصفات المنفية تلك الصفات التي تتصل بمعنى المذكور . يقول عبد القاهر : " واعلم أن قولنا في الخبر إذا أخر نحو : " ما زيد إلا قائم " إنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي يتوهم كون زيد عليها ونفيت ما عدا القيام عنه فإنما نعني أنك نفيت عنه الأوصاف التي تنافي القيام نحو أن يكون جالسا أو مضطجعا أو متكئا أو ما شاكل ذلك ، ولم نرد أنك نفيت ما ليس من القيام بسبيل إذ لسنا ننفي عنه بقولنا : " ما هو إلا قائم " أن يكون أسود أو أبيض أو طويلا أو قصيرا أو عالما أو جاهلا ، كما أنا إذا قلنا : " ما قائم إلا زيد لم نرد أنه ليس في الدنيا قائم سواه ، وإنما نعني ما قائم حيث نحن وبحضرتنا وما أشبه ذلك . " [3]

فحينما نفينا عن خالد صفة الشعر معني ذلك أننا نفينا كل ما يتصل بها ويدور في فلكها كالكتابة والخطابة والفقه والحديث والنحوي وما إلى ذلك فهو ليس حذقا في فرع من فروع المعرفة إلا في الشعر الذي قصر عليه ، وليس المقصود أننا نفينا عنه كل صفة يمكن أن نصفه بها ككونه جزائريا أو كريما أو شجاعا أو أبيض أو غيرها .

* أما بالنظر إلى غرض المتكلم وما يقصد إليه ، فإن البلاغيين قسموا القصر إلى :

أ - قصر حقيقي : وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بأن لا يتعداه إلى غيره أصلا ، حيث يكون المنفي هنا عاما ، أي المقصور مختص بالمقصور عليه منفي عن كل ما عداه ، كما في قولنا : " لا إله إلا الله " حيث أتثبتنا الإلهية لله سبحانه ونفيناها عن كل ما عداه ، فإن النفي عام .

وينقسم القصر الحقيقي إلى قسمين : حقيقي تحقيقي ، وحقيقي ادعائي .

فالقصر الحقيقي التحقيقي هو ما كان المنفي فيه عاما يتناول كل ما عدا المقصور عليه من حيث واقع الحال وحقيقة الأمر ، أي أن المقصور يختص بالمقصور عليه لا يتعداه إلى غيره في وقع الحال وحقيقة الأمر كما رأينا في كلمة التوحيد .

أما القصر الحقيقي الادعائي " المجازي " هوأن يختص المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره ادعاء ومبالغة ومجازا ، فهو منفي عن كل ما عداه ، وهو لا يقوم على المطابقة الحقيقية للوقع ، يقول تعالي : **" إنما يخشى الله من عباده العلماء "** [4] .

قصر التركيب الشريف خشية الله على العلماء ، ونفاها عن كل ما عداهم ، ولكن في واقع الحال وحقيقة الأمر هناك من يخشى الله غير العلماء ، بل قد يكون من هو أشد خشية منهم لله ، إلا أن المتتبع لسياق الآية يقف على تنويه الله بشأن العلماء وتعظيم منزلتهم ، والدفع إلى التأمل والنظر ، ولذا كانت خشية الله مقصورة على العلماء دون غيرهم لأن خشية غيرهم لا يعتد بها في المقام لأن خشية العلماء مقترنة بالعلم و التأمل.

ب- قصر إضافي : " وهو الذي يختص فيه المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين ، بحيث لا يتعداه إلى جميع ماعداه . "[1]

أي : " ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين . " [2] بحيث لا يتجاوزه إلى ذلك المعين ، فالنفي في القصر الإضافي يكون معينا محددا وخاصا ، وليس عاما ، لا يتجاوز المقصور المقصور عليه إلى هذا المنفي المعين ، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى غيره ، يقول الشاعر :

إلى الله اشكو لا إلى الناس أنني. آري الأرض تبقى والإخلاء تذهب

---

[3] – الجرجاني عبد القاهر ، المرجع السابق ، ص 266 .

[4] – فاطر 28 .

[1] –د. إميل بديع يعقوب ، د . ميشال عاصي ، المعجم المفصل في اللغة و الأدب ، 2 / 682 .

[2] – د. راميل يعقوب ، د . بسام بركة ، مي شيخاني ، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ،دار الملايين بيروت لبنان . ط1 ، ص 317 .

قصر الشاعر الشكوى على " الله " بحيث لا تتعداه إلى شيء معين وهو " الناس " .
وينقسم القصر الإضافي باعتبار حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام :
أ ـ قصر إفراد : ويخاطب به من يعتقد الشركة ، يقول تعالي : **" إنما الله إله وحد ."**[3] خوطب به من يعتقد إشراك الله والأصنام في الألوهية .[4]
ب ـ قصر قلب : ويخاطب به من يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبته المتكلم له ، نحو :
" ربي الذي يحي ويميت " [5] ، خوطب به نمرود الذي اعتقد أنه المحي المميت دون الله. وقوله تعالى : **" ألا إنهم هم السفهاء** . "[6] خوطب به من أعتقد من المنافقين أن المؤمنين سفهاء دونهم[7] .
ج ـ قصر تعيين : يخاطب به من تساوى عنده الأمران ، فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه ، ولا لواحد بإحدى الصفتين بعينها ، أي كان مترددا .
وسياق الكلام هو الذي يحدد للدارس ما إذا كان القصر إفرادا أو قلبا أو تعيينا .
من خلال هذا كله ننتهي إلى تلخيص أقسام القصر كآلاتي :

- قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا ، يقول تعالى : " إياك نعبد . "
- قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ادعائيا " مجازيا " ، يقول تعالى : **" إنما يخشى الله من عباده العلماء . "**
- قصر صفة على موصوف قصرا إضافيا للإفراد ، أو للقلب ، أو للتعيين ، كقولنا : " إلى الله نشكو لا إلى الناس . "
- قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا تحقيقيا ، يقول در يد بن الصمة :
  وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية ارشد
- قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا ادعائيا ، يقول شوقي :
  إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
- قصر موصوف على صفة قصرا إضافيا للأفراد ، أو القلب ،أو التعيين ، قال تعالى :

" إن الله يسمع من يشاء ، وما أنت بسمع من في القبور إن أنت إلا نذير . "[8]

ونلاحظ أن الفرق بين القصر الحقيقي الإضافي ، المنفي في القصر الحقيقي عام مطلق والمنفي في القصر الإضافي خاص محدد ، فالعلاقة بينهما إذن علاقة إطلاق وإضافة إلى شيء معين .
أما الفرق بين القصر الحقيقي التحقيقي والقصر الحقيقي الادعائي هو أن الأول يقوم على مطابقة الحقيقة للواقع ، والثاني يقوم على الادعاء والمبالغة لا على مطابقة الحقيقة للوقع من خلال تعريف البلاغيين للقصر ، وتحديدهم لطرقه ، وتقسيماتهم له ، نري أن البلاغيين نظروا إلى موضوع القصر نظرة أسلوبية ، ويتضح ذلك جليا أيضا من خلال تقسيماتهم الأساليب العربية إلى : استفهام ، ونفي ، ونهي ،و أمر ، وتوكيد ... ألخ . فالبلاغيون يعتمدون من هنا على المعني - " للكل مقام مقال " ـ هذا المعني الذي يقتضي الذكر أو الحذف ، الإظهار أو الإضمار ، القصر أو الإطلاق وهكذا .
وفي البحث عن المعني تلتقي جهود البلاغيين والبحث الحديث في بناء الجملة ، يقول الدكتور فهمي محمود حجازي : " النحاة العرب لهم جهود مشكورة في دراسة بناء الجملة ويكفي أن ننظر في كتاب سيبويه صاحب أقدم مؤلف وصل إلينا في النحوي العربي من

---

[3] –النساء .170

[4] – السيوطي جلال الدين الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب بيروت ، 2 / 64 .

[5] – البقرة 257 .

[6] – البقرة 12 .

[7] – السيوطي (جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن، 64/2

[8] – عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 219، 221

القرن الثاني الهجري لنجد دراسات قيمة في بناء الجملة ، ولكن أهم فرق يميز البحث الحديث في بناء الجملة عن البحث العربي في هذا الحديث ، أن الجهد العربي دار حول نظرية العامل ، بينما يضع البحث الحديث هدفه دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن المعني ، ومن ثم يعتبر المعني قطبا هاما في دراسة بناء الجملة ... والاهتمام بالمعنى يؤدي إلى المباحث التي عرفت عند القدماء باسم علم المعاني ، ويكفي أن ننظر فيها لنجد فصولا في بناء الجملة ... ، وقديما شغل النحاة بالنهاية الإعرابية ، والبلاغيون بالمعنى ... ، درست كتب النحو الاستثناء مركزة البحث عن العامل في المستثني ، والنهاية الإعرابية ، فأكمل البلاغيون هذا الجهد بمحاولة طيبة لدراسة القصر ، فهناك تراكيب مختلفة للقصر في العربية منها : " لا ... إلا " ، " لم ... إلا " ، " لن ... إلا " " إنما " ... إلخ[1]

وأحسن من مثل نظرة البلاغيين هو عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم ، قسم المعاني إلى معان أولى تظهر من النص لأول وهلة ، ومعان ثانية لا تدرك إلا بالأفهام الجيدة والهمم اليقظة ، يقول الدكتور عبد الفتاح لاشين : " إذا وقف الأديب أمام نص من النصوص يصور موقفا من المواقف ، أو يرسم مشهدا من المشاهد ، وجد الأديب نفسه مشدودا لا إلى المعاني القريبة البسيطة التي تحملها الكلمات بحكم وضعها اللغوي ، بل يكون انفعاله وسر دهشته إلى دلالات أخرى تستبع المعاني البسيطة الأولى ، وهي التي تمتع الأديب ويندهش لإدراكها والوقوف عليها ، فلم تكن تلك اللذة وهذا الإمتاع بما تحمله الألفاظ من معان أولى تظهر من النص لأول وهلة ، وإنما لما وراء ذلك من معان ثانية هي التي تسعد النفس وتجلب إليها الطباع . " [2]

فعبد القاهر لا يجد في المعنى اللغوي مزية فضل ، إلا إذا كان هذا المعنى تمهيدا ودليلا إلى معنى آخر ، لا تدركه إلا الأفهام الجيدة والهمم اليقظة ويمثل لذلك بقوله تعالى: **" وجعلوا لله شركاء الجن ."** [3]ويذهب إلى أن لتقديم " شركاء " حسنا و روعة ومأخذا من القلوب أنت لا تجد شيئا منه إن أنت أخرت فقلت : " وجعلوا الجن شركاء لله " ، وأنت تري حالك حال من نقل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر إلى الشيء العفن الذي لا يحلى منه بكثير طائل ... وسبب ذلك هو الفائدة الشريفة ، والمعني الجليل الذي في التقديم ، والذي لا سبيل إليه مع التأخير "[1]

فالنظم في الآية الشريفة له معني أول وهو لا يحتاج إلى اكثر من معرفة المعنى اللغوي ، وهي مدلولات التراكيب والألفاظ التي تسمى علم النحو " أصل المعنى " وهي عامة في الكلام ، وشائعة في كل قول ، وهناك معان ثانية لا يدركها إلا صاحب ذوق وإحساس ، وهي لا تكون إلا في النص الأدبي وتعظم وتسمو في نظم القرآن الكريم حتى تصل إلى درجة الإعجاز .

كما تكلم عبد القاهر في إطار القصر عن الفريق بين " إنما " والعطف بـ " لا " و"النفي والاستثناء " ، يقول : " ... وكما وجدت " إنما " لا تصلح فيما ذكرنا ، كذلك نجد " ما وإلا " لا تصلح في ضرب من الكلام قد صلحت فيه " إنما " وذلك مثل قولك : " إنما هو درهم لا دينار " ، لو قلت : " ما هو إلا درهم لا دينار " ، لن يكن شيئا. "[2]

يقول لاشين : " ... لأن النفي بـ " لا " لا يجامع " النفي والاستثناء " ، وقد وقع في كلام الحريري في قوله :

---

[1] – محمود فهمي حجازي ، د . علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة . ص 45 .

[2] – عبد الفتاح لا شين ، د . التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ، دار المريخ للنشر ، ص 92 .

[3] – الأنعام .101

[1] –عبد الفتاح لاشين، د. من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن)، ط1، شركة مكتبة عكاظ للنشر و التوزيع، 1982، ص 158-156

[2] – عبد القاهر الجرجاني ، المرجع السابق ، ص 214-215

لعمرك ما الإنسان إلا بن يومه على ما تجلى يومه لا ابن أمسه [3]

ويضيف عبد القاهر قائلا : " اعلم أن موضوع " إنما " أنت تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ، أو لما ينزل هذه المنزلة ... ومثاله من التنزيل قوله تعالى **" إنما يستجيب الذين يسمعون "** [4] ، **" إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب "**[5] ، **" إنما أنت منذر من يخشاها "** [6] ، كل ذلك تذكير بأمر ثابت معلوم ... ، وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو " ما هذا إلا كذا ... " ، و إن هو إلا كذا ... " ، فيكون لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه . ومثال هذا عنده من التنزيل قوله تعالى : **" وما أنت بمسمع من في القبور "** [7] وكان المعني في ذلك أن يقال للنبي صلي الله عليه وسلم : " إنك لا تستطيع أن تحول قلوبهم عما هي عليه من الإباء ، ولا تملك أن ترفع الإيمان في نفوسهم مع إصرار هم على كفرهم ، واستمرارهم في جهلهم ، وصدهم بأسماعهم عما تقوله لهم وتتلوه عليهم ، كان اللائق بهذا أن تجعل حال النبي صلي الله عليه وسلم من قد ظن أنه يملك ذلك ، ومن يعلم يقينا أنه ليس في وسعه شيء أكثر من أن ينذر ويحذر ، فأخرج اللفظ مخرجه إذا كان الخاطب مع من يشك ، فقيل : " إن أنت إلا نذير . " [8]

ويشير عبد القاهر بذلك إلى معني القصر بـ "لا " العاطفة ، ليوازن بين القصر بها والقصر بـ " إنما " ، فيقول : "اعلم ان قولنا في" لا " العاطفة أنها تنفي عن الثاني ما وجب للأول ، ليس المراد به أنها تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك في الفعل ، بل تنفي أن يكون الفعل الذي قلت إنه كان من الأول قد كان من الثاني دون الأول ، ألا ترى أن ليس المعنى في قولك : " جاءني زيد لا عمرو " ، أنه لم يكن من عمرو مجيء إليك مثل ما كان من زيد ، فهو كلام تقوله مع من يغلط في الفعل قد كان من هذا فيتوهم أنه كان من ذلك . و نكتة أنه لا شبهة في أن ليس هناك جائيان ، وأنه ليس إلا جاء وحد ، ،إنما الشبهة في أن ذلك الجائي زيد أم عمرو ، فأنت تحقق على المخاطب قولك : جاء ني زيد لا عمرو ، أنه زيد و ليس بعمرو .

ونكتة أخرى : هي أنك لا تقول : جاءني زيد لا عمرو حتى يكون قد بلغ المخاطب أنه كان مجيء إليك من جاء ، إلا أنه ظن أنه كان من عمرو ، فأعلمته أنه لم يكن من عمرو ولكن من زيد " [1] .

وعبد القاهر من خلال هذا التحليل يريد أن يؤكد أن هذا النوع من القصر لا يكون إلا في قصر القلب ، دون قصر الأفراد والتعيين وهذا يخالف ما عليه الجمهور فقد صح عندهم استعمال القصر بـ " لا " في ثلاثة بحسب اعتقاد المخاطب من شركة ، أو عكس حكم المتكلم ، أو التردد في إثبات الحكم لواحد بعينه .

ولا نبرح التفريق بين " إنما " و " ما وإلا " دون أن نشير إلى قول الجرجاني : " ثم اعلم أنك إذا استقريت وجدتها ـ إنما ـ أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب ، إذا كان لا يراد بعد الكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه ، أنا نعلم ليس الغرض من قوله تعالى : **" إنما يتذكر أولوا الألباب . "** [2] أن يعلم السامعون ظهر معناه ، ولكن أن يذم الكفار ، وأن يقال أنهم من فرط العناد ، ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل

---

[3] – عبد الفتاح لاشين ، د . التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، ص 114 – 115

[4] – الأنعام 37 .

[5] – يسن 10 .

[6] – النازعات 44 .

[7] – فاطر 22.

[8] – عبد القاهر الجرجاني ، المرجع السابق ص 219-221

[1] –عبد القاهر الجرجاني ، المرجع السابق . ص 219 –121 .

[2] – الزمر 10 .

، وإنكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا ويتذكروا ، كنتم كمن طمع في ذلك من غير ذي الألباب .

وكذلك قوله : **" إنما أنت منذر من يخشاها . "** [3] ، وقوله عز وجل : **" إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب . "**[4]، والمعنى أن من لم تكن له هذه الخشية فهو كأنه ليس له أنن تسمع وقلب يعقل ، فإن الإنذار معه كلا إنذار . ويوصل عبد القاهر قائلا : " والعجيب أن هذا التعريض الذي ذكرت لك لا يحصل من دون " إنما " فلو قلت : " يتذكر أولوا الألباب " لم يدل على ما يدل عليه من الآية ، وإن كان الكلام لم يتغير في نفسه وليس إلا أنه ليس فيه " إنما " ... والسبب في ذلك أن هذا التعريض إنما وقع بأن كان من شأن " إنما " أن تضمن الكلام معنى النفي من بعد الإثبات ، والتصريح بامتناع التذكير ممن لا يعقل ، وإذا أسقطت من الكلام فقيل : " يتذكر أولوا الألباب " كان مجرد وصف لأولي الألباب بأنهم يتذكرون ، ولم يكن فيه معنى للتذكير عن من ليس منه ، ومحال أن يقع تعريض لشيء ليس له في الكلام ذكر ولا فيه دليل عليه . " [5] .

مع أننا نرى أنه لا توجد وسيلة تحدد بها آي الأساليب خاصة بالتعريض ، وأيها يصلح لغيره ، فهو معنى يفهم ويستشف من السياق و القرائن والأحول ، فأنت تقول تعريضا بغير العاقل : " وهكذا يفعل العاقل " ، ودون استعمالك لـ " إنما" إلا إذا كان ذلك من باب التغليب .

بل يذهب الدكتور بسيوني إلى أنه يقع التعريض بقولك : " يتذكرون أولوا الألباب " بإسقاط " إنما " إذا دل دليل على نفي التذكر عن غيرهم ، بأن أردت به مدح إنسان بالتيقظ وبأنه فعل ما فعل وتنبه لما تنبه له لعقله وحسن تمييزه . " [6]

وهكذا نصل إلى أن البلاغيين ينظرون إلى القصر نظرة أسلوبية فهم يعتمدون على المعنى ويجعلونه أساس الدراسة في التركيب ، واتجهت جهودهم إلى دراسة بناء الجملة فهي عندهم وسيلة التعبير عن المعنى .

إن عبد القاهر قسم المعاني إلى معان أولى ومعان ثوان ، والتي هي مدار الدرس البلاغي حيث تمتع الأديب ويندهش لإدراكها والوقوف عليها ، وهي ليست في متناول كل إنسان إذ لا يدركها إلا من أوتي ذوقا سليما وإحساسا متميزا ، وبها ينفرز النص الأدبي عن غيره من النصوص .

نظر البلاغيون إلى القصر على أنه تركيب أدى معنى زائدا يدرك بالأفهام الجيدة والهمم اليقظة ، فالقصر في النفي والاستثناء ، أو إنما ، أو التقديم، أو تعريف الجزأين ... كلها خبر بالنفي والإثبات ، ولكن هذه الطرق تتفاوت دلالة تبعا لطبيعة كل طريق . فالنفي في " إنما " و " التقديم " غير مصرح به ، أما في النفي بـ " العطف " و " النفي والاستثناء " مصرح به ، والخبر في " النفي والاستثناء " يكون لأمر يشك فيه المخاطب وينكره ، و أما الخبر بـ " إنما " فإنه لأمر معلوم عند المخاطب .

والدارس للقصر عند البلاغيين يقف على اعتبارهم مقتضى الحال ، فقصر الإفراد ينفي الشركة في الفعل حيث يثبته لأحدهما دون الآخر ، وقصر القلب هو تصويب الخطأ في الفعل لأن المخاطب يعتقد أن الفعل قد كان من " أحمد " وليس كذلك ، وإنما هو من علي مثلا ، وفي قصر التعين نلمس عند المخاطب ترددا وشكا في الفعل أهو من "أحمد" أم من "علي " فتعين أحدهما وهكذا ... وتركيب القصر عند البلاغيين يؤدي تلك المعاني الدقيقة التي يتوصل إليها بتتبع السياق ، والغوص في أسراره ونكته كالتعريض والتأكيد و الإنكار وغيرها من المعاني الدقاق .

---

[3] – النازعات 44 .

[4] – فاطر .18

[5] – بسيوني عبد الفتاح د . المرجع السابق . ص 60 .

[6] –بسيوني عبد الفتاح د . المرجع السابق . ص 60 .

فإذا كانت هذه نظرة البلاغيين للقصر فكيف نظر إليه النحاة ؟ ذلك ما نستجليه في المبحث التالي .

المبحث الثاني

القصر عند النحاة

المبحث الثاني : القصر عند النحاة :

إن الموازنة بين الدراسة النحوية والدراسة البلاغية في باب القصر هي أشبه صورة عما يمثله الفرق بين الدراسة النحوية والدراسة البلاغية عموما .

لكن الذي يجعل الموازنة في هذا الموضوع ذات حدود ضيقة هو قرب علم النحو من علم المعاني ، وقد سار النحاة والبلاغيون في هذا الموضوع مسارا واحدا لا يفترق سبليه إلا في جزئيا ته .

وقد أدى اختلاف نظرة البلاغيين للجملة عنها عند النحاة إلى مباحث لم تنل حقها من الاهتمام في كتب النحو القديمة ، فجملة الشرط مثلا عرفها النحاة على نحو جزئي ، تناولوها ضمن مباحث جزم المضارع ، فإن كان التركيب : " إن تكتب أكتب " دار بحثهم حول العامل في ذلك الجزم الذي حل بالفعل الأول ، وبالفعل الثاني يقول د . محمود فهمي حجازي : " ... أما جملة الشرط التي لا علاقة لها بالمضارع ، ولا علاقة لها بالجزم فقد ضاع مكانها في نظرية العامل التي دار حولها البحث في بناء الجملة عند النحاة العرب. " [1]

وكذا فعل النحاة عند جملة الاستثناء فقد ركزوا البحث على العامل في المستثنى والنهاية الإعرابية لما بعد الاستثناء ، فاصلين بين أداة النفي المقدمة وأداة الاستثناء التي جاءت بعدها ، يقول د . فهمي حجازي : " ... والأفضل أن ندرسها هنا كأسلوب قصر ذي أداة مركبة على نحو ما نجد عند البلاغيين وعند اللغويين المحدثين ... " [2]

والظاهر من هذا أن النحاة قد درسوا القصر بمعزل عن العلم الذي يكمله وهو" علم المعاني " ، ففي " إنما " مثلا يقولون :" قد نزلت مع" ما " منزلة الكلمة الواحدة ، وسموا "ما" كافة أي تحجب " إن " عن العمل تبعا لنظرية العامل ، وقد نتج عن هذه الملازمة بين جزئيها تغيير في الوظيفة التي كانت تؤديها بمفردها ، وجاء في شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك : " إذا اتصلت " ما " غير الموصولة بـ " إن " وأخوتها كفتها عن العمل . " [3]

وذهب سبويه : " إلى أن " ما " غير الموصولة إذا اقترنت بهذه الأدوات أبطلت عملها ، وحكى الأخفش والكسائي : " إنما زيد قائم " ... والصحيح المذهب الأول و هو أنه لا يعمل منها مع "ما " ... " [4] ويقول الزجاج : " إن جميع هذه الأدوات بمنزلة واحدة وإنها إذا اقترنت بها " ما " لم يجب إهمالها بل يجوز فيها الأعمال والإهمال ... " [5]

وتسيطر نظرية العامل والتقدير في التقديم أيضا ، يقول تاج الدين الإسفرايني في كلامه عن المفعول به . " ويتقدم عامله إذا أريدا الاختصاص نحو: " زيدا ضربت " ، و" بعمر مررت " ، ويلزم ذلك في ما تضمن صدر الكلام ، ويمتنع إذا كان العامل مصدرا لفظا أو تقديرا أو اسم فعل أو فعل تعجب أو مضافا إليه ... " [6] ويجسد ذلك تعليله للتقدم والخبر في الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، يقول : " يتأخر الخبر وجوبا:

أ- إذا كانت رتبة المبتدأ والخبر متساوية في التعريف .

ب- إذا كان الخبر محصور في المبتدأ بـ " إلا " ، أو بـ " إنما " .

ويتقدم المفعول به عن الفاعل :

أ- إذا كان القيام بالفعل محصورا في الفاعل .

ويتأخر المفعول وجوبا :

---

[1] -محمود فهمي حجازي ، د. المرجع السابق ص44

[2] -محمود فهمي حجازي ، د. المرجع السابق ص46

[3] -ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، 374/1 .

[4] -ابن عقيل ،المرجع السابق 1/ 370 .

[5] -ابن عقيل ،المرجع السابق 371/1.

[6] -تاج الدين الأسفراييني ، لباب الأعراب ، تحقيق ودراسة بهاء الدين عبد الوهاب، ط1، دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع الرياض، 1984 . ص 221 .

أ- إذا كان المفعول به محصورا .

وعبد القاهر حينما يتحدث عن شبهات شائعة بين خواص النحويين يقول : " واعلم بأنه ربما اشتبهت الصورة في بعض المسائل من هذا الباب حتى ظن أن المعرفتين إذا وقعتا مبتدأ وخبرا لم يختلف المعنى فيهما بتقديم وتأخير . " [1]

فعبد القاهر يخطئ بعض النحويين الذين يسوون بين المعرفتين إذا وقعتا مبتدأ و خبرا في أن المعنى لم يختلف إذا تقدم أحدهما وتأخر الأخر ، وبرهن على خطأ من ظن ذلك ، بعد أن قرر أن هذا الباب غامض يحتاج إلى تأمل ، ثم بين الوضع الصحيح وطبق عليها بأكثر من مثال ، يقول : " وهنا نكتة يجب القطع معها بوجوب هذا الفرق وهي أن المبتدأ لم يكن مبتدأ لأنه منطوق به أولا ، ولا كان الخبر خبرا لأنه مذكور بعد المبتدأ ، بل كان المبتدأ مبتدأ لأنه مسند إليه ، ومثبت له المعنى ، والخبر خبر لأنه مسند ومثبت به المعنى ... " [2] ، ويزيد عبد القاهر توضيحا بقوله : " ... ومما يدل دلالة واضحة على اختلاف المعنى ، إذا جئت بمعرفتين ثم جعلت هذا مبتدأ وذاك خبرا تارة ، وتارة بالعكس ، قولهم : " الحبيب أنت " و " أنت الحبيب " ... ، ولا يخفى بعد ما بين الغرضين، فالمعنى في قولك : أنت الحبيب " أنك الذي اختصته بالمحبة بين الناس " .

وقبل هذا يقول : " وذاك أن معنى "الحبيب أنت أنه لا فصل بينك وبين من تخصه بالمحبة إذا صدقتها . وأن مثل المتحابين مثل نفس يقتسمها شخصان ، كما جاء عن بعض الحكماء أنه قال: " الحبيب أنت إلا أنه غيرك ، فهذا كما ترى فرق لطيف ونكتة شريفة ."[3]

فإذا انتقلنا إلى الاستثناء نجد أيضا أن نظرية العامل والتقدير والنهاية الإعرابية تسطير ، ففي الكتاب لسيبويه : " ... تقول : أقل رجل يقول ذاك إلا قيس صار في معنى : " ما أحد فيها إلا قيس " ، وتقول : " أقل رجل يقول ذاك إلا قيس ، فليس" قيس " بدلا من الرجل في " أقل " ولكن أقل رجل في موضع " أقل رجل " ، ومعناه " وأقل رجل " مبتدأ مبنى عليه والمستثنى بدل منه ، لأنك تدخله في شيء يخرج منه من سواه . " [4]

يقول تاج الدين : " ... وهو منصوب وجاز فيه النصب على البدل ، وهو المختار بعد إلا متصلا في كلام غير موجب ، ذكر المستثنى منه قبله ، وإن تعذر البدل على اللفظ أبدل على الموضع ، نحو ما جاء من أحد أو لا أحد فيها إلا قيس ... لأن الممتنع عمله إلا في النفي لا يعمل في الإثبات . " [5]

ومما جاء في "الاستثناء" عند عبد القاهر : " ... وكذلك حكم " إلا " في الاستثناء فإنها عندهم (آي النحاة) بمنزلة هذه الواو بمعنى " مع " في التوسط وعمل الفعل النصب في المستثنى ، ولكن بواسطتها وعون منها . " [6]

وما قيل في " إنما " وفي "التقديم " وفي " الاستثناء " يقال في "العطف " من اهتمام النحاة وتغليبهم نظرية العامل والنهاية الإعرابية والأثر الإعرابي ، وهذا مترتب على ما يثبته من معاني حروف العطف ، وقد سيطرت عليهم كذلك في موضوع العطف فكرة التشريك في الحكم واللفظ التي أصروا على القول بها حين تتوسط بين المعطوف والمعطوف عليه حروف عطف معينة كـ : " بل " ،"لكن" ، "لا " التي لا تفيد التشريك في اللفظ فحسب ، فسيبويه تحدث عن العطف تحت باب من أبواب " الجر " ، عنونه: هذا باب ما اشترك بين الاسميين في الحروف ويشير إلى هذا قائلا : " ... ومن ذلك مررت برجل لا

---

[1] -عبد القاهر الجرجاني ، المرجع السابق ، ص 124 .

[2] -عبد القاهر الجرجاني ، المرجع السابق ، ص 125 .

[3] -عبد القاهر الجرجاني ، المرجع السابق ، ص 126 .

[4] -سيبويه ، الكتاب ، مطبعة بولاق ، القاهرة 1316 ه ، 1/ 361 .

[5] -تاج الدين الأسفراييني ، المرجع السابق 341-342 .

[6] -عبد القاهر الجرجاني ، المرجع السابق ، ص المقدمة (ر) .

امرأة ، اشركت بينهما لا في "الباء" أحققت المرور للأول ، وفصلت عند من ألتبس عليه ، فلم يدر بآيهما مررت . " [1]

ويعلق الدكتور عفت الشرقاوي على قول سيبويه قائلا : " ... إذ يبدو أن سيبويه كان أحد رواد النحو الأوائل الذين وجهوا مناهج النحويين نحو الاهتمام المطلق بفكرة الإتباع الإعرابي في موضع العطف على الرغم من إشارته إلى أفكار تتصل بدلالة حروف العطف ، من حيث الترتيب والتشريك وحسن النظم وغير ذلك .. " [2]

ومما يدل أيضا على اهتمام النحويين بالنهاية الإعرابية وفكرة الاشتراك في مجال العطف جعلهم العطف تحت باب التوابع ، إذ يعرفه بعضهم أنه : " هو التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف ، وهو قسمان :

أ- ما يشرك المعطوف مع المعطوف عليه مطلقا (لفظا وحكما) .

ب- ما يشرك لفظا فقط .

يقول ابن مالك في الألفية :

اتبعت لفظا فحسب : بل ولا لكن ، كـ لم يبد امرؤ ولكن طلا .

يقول الشارح : " هذه الثلاثة (آي : بل ولا ولكن) تشرك الثاني مع الأول في إعرابه لا في حكمه . وذهب ابن يعيش لمثل هذا حيث يقول : " ... يقال عطف فلان على فلان ، وعطفت ذمام الناقة إلى كذا ، وعطف الفارس عنانه أي ثناه وأماله ، وسمي هذا القبيل عطفا لأن الثاني مثني إلى الأول ، ومحمول عليه في إعرابه. والنسق من عبارات الكوفيين وهو من قولهم : " ثغر نسق ، إذا كانت أسنانه مستوية ، فكلام نسق إذا كان على نظام واحد ، فلما شارك الثاني الأولى وساواه في إعرابه سمى نسقا . " [3]

ويعلق عفت الشرقاوي على هذا : " ... وقد اتفق كثير من النحويين مع ابن يعيش في هذا التصور لفلسفة العطف في العبارة ، فاقتدوا معنى من معاني الحركة المرتدة ، ودلالة ذلك فنيا في النصوص الأدبية العالمية . " [4]

ويؤكد الجرجاني ما رأيناه في مجال العطف وهو يتحدث عن النحويين : " والضرب الثاني في تعلق الحروف بما يتعلق به " العطف " وهو أن يدخل الثاني في عمل الأول ، كقولنا : " جاء زيد وعمر " ، " ورأيت زيدا وعمرا " ، " ومررت بزيد وعمر " [5]

على الرغم مما قيل ويقال ، وكما أشرنا سابقا أن النحاة والبلاغيين قد ساروا في هذا الموضوع مسارا واحدا لا يفترق ، فالمنهج واحد و مجال الدراسة واحد هو العربية بمستوياتها : القرآن الكريم ، الحديث النبوي الشريف ، كلام العرب ، لكن التفاوت لا يتعدى أن يكون توسع أحدهما في مسألة من مسائل هذا الباب أو في معنى من معانيه .

كما أن المشتغلين بعلم المعاني كثيرا ما كانوا المشتغلين بعلم النحو ، أو كانوا ممن أخذ عن علماء النحو ودرسوا عليهم ، يشير إلى ذلك قطبي الطاهر : " ... حتى إن البلاغيين كلهم يوظفون معرفتهم بالنحو في مسائل نعدها نحن اليوم بلاغية محضة . "[6]

فالصلة بين علم النحو وعلم المعاني لا تحتاج إلى إقامة الدليل لأنها صلة طبيعية والشركة بين العلمين هي خدمة المعنى وتأديته ، فالنظام اللغوي ينظم الأبواب النحوية ومعانيها داخل الجملة الواحدة ، وقد يتعدى الجملة إلى الجمل فيما بينها ، فيدرس الجملة الشرطية وهي جملتان : شرط وجواب ، أو الجملة الاستفهامية التي قد تكون أيضا جملتين:

---

[1] -سيبويه ،المرجع السابق ، 218/1 .

[2] -عفت الشرقاوي، د. بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)، دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت 1981، ص 57 .

[3] – عفت الشرقاوي، ص 54، أنظر ابن يعيش، شرح المفصل المنيرية القاهرة ، 3/ 74 .

[4] -عفت الشرقاوي ، المرجع السابق ، ص 54

[5] -عبد القاهر الجرجاني ، المرجع السابق ص المقدمة (ر)

[6] -قطبي الطاهر ، بحوث في اللغة والاستفهام بين النحو والبلاغة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 18-19 .

استفهام وجواب ... ، وأما علم المعاني فإن أكثر ما يكون الاهتمام فيه بالجمل ما يتصل بها كالإنشاء والقصر وغيرهما ... " [1]

وفي مجال القصر رأينا أن النحاة اقتصروا في بحثهم له على بحث العامل والنهاية الإعرابية والشركة في الحكم الإعرابي بين المتقدم واللاحق.

ففي الاستثناء مثلا ركزوا على العامل في المستثنى كما نجدهم عندما يعرضون لـ " ما وإلا " لا يشرون إليهما مجتمعين ولما يؤديانه من دلالة واضحة على القصر والتوكيد ، بل يتناولون "ما " في إطار النفي و " إلا " في إطار الاستثناء ، فلا يهتمون بالوظيفة الناتجة عن اجتماعهما وهي وظيفة القصر .

وفي " إنما " لجؤوا إلى التفكيك ، إن + ما الكافة أو الزائدة ، وفي التقديم عنوا بمنطق الإسناد أكثر مما اتجه جهدهم إلى الإيحاء الجمالي والإشارات البلاغية للعبارة .

أما البلاغيون فقد اهتموا بالمعنى : " ... وقديما شغل النحاة بالنهاية الإعرابية ، والبلاغيون بالمعنى . " [2] يقول درويش الجندي : " ... تحقيق الجمال المعنوي المنشود في الكلام لا يأتي إلا بأن تكون الأوضاع النحوية للألفاظ ملائمة لما في المقام من التعبير عن المعاني المختلفة ، وذلك ما اختص ببحثه علم المعاني ، وإن ذلك العلم لم يستوعب في بحوثه كل الأوضاع النحوية وأسرار بلاغتها ، على أن الأوضاع النحوية لا يمكن أن تتسع وحدها للدلالة مباشرة على ما تقتضيه المقامات المختلفة من المعاني التي لا حصر لها فهناك كثير من المعاني لا يمكن أن تؤدى إلا بمعونة السياق وقرائن الأحوال ... " [3]

وخلال هذا فقد أشرنا إلى أن البلاغيين نظروا للقصر نظرة تركيبية (أسلوبية) وقد مثل ذلك عبد القاهر في نظرية النظم لتي كان لها الفضل في إرساء علم المعاني ، وقد دعا بهذا إلى عدم فصل البلاغة عن النحو ، فكان مؤلفه دلائل الإعجاز بداية مرحلة جديدة في تاريخ علم اللغة ، ففي مقام القصر بـ " إنما " بين أن هناك فروقا في المعنى بينها وبين " النفي والاستثناء " ، وأن بين الأسلوبين فروقا من المعاني الإضافية والدلالات الخفية كما بين خطأ النحاة فيما ذهبوا إليه من أن الأسلوبين في القصر سواء في المعنى ، متفقان في المضمون .

كما أشرنا إلى أن اختلاف نظرة النحاة إلى القصر عنها عند البلاغيين أدت إلى مباحث لم تنل حقها من الاهتمام في كتب تراثنا كأسلوب القصر الذي درس بمعزل عن العلم الذي ينتمي إليه وهو علم المعاني ، الذي هو باب من أبواب البلاغة ، ارتبط بإعجاز القرآن في أسلوبه البديع وبيانه المتميز و نسقه العجيب وتركيبه الأدبي الجميل ، هذا وإن من روائع صياغة الجمل القرآنية تلك التي فيها أسلوب القصر ، ذلك ما سنقف معه في المباحث التطبيقية التي نستهلها بمدخل عن القرآن الكريم .

---

[1] -قطبي الطاهر ، المرجع السابق ، ص 5 .

[2] -محمود فهمي حجازي . د ، المرجع السابق ، ص 45 .

[3] -درويش الجندي . د ، المرجع السابق . ص 12 .

الفصل الثاني

القصر و دلالاته في نظم القرآن

المبحث الأول

من صور القصر في نظم القرآن

المبحث الأول : من صور القصر في نظم القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله العجز ، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، هو الهدى والشفاء والرحمة ، أخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وهو نظام حياة .
وهو إلى ذلك الآية الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في التبليغ عن ربه ، فقد جمع بين البيان الواضح ، والإعجاز القاطع الحجة العناد والجحود ليتأتى استمرار التبليغ بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمرار الإقناع على مر الزمن ، يقول فيه ألد أعداء الإسلام الوليد بن المغيرة : " والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، إن أسفله لمغدق ، إنه يعلو ولا يعلى عليه . " [1]

إن المتأمل للقرآن الكريم من حيث حروفه وكلماته ، لا يجد فيها شيئا خارجا عن المألوف المتداول في لغة العرب ، ولكنك عندما تتلوه تشعر أن للعبارة به كيانا خاصا بنى عليه تراكبيه ورسم معالم صور نظمه الفريد .

" لقد جاء نسيجا وحده فلا هو شعر ولا هو نثر ولا هو سجع ، وإنما هو قرآن ، فالآية في النظم القرآني هي قطعة من القرآني لها بداية ونهاية متضمنة في سورة ، ولكل آية مقطع تنتهي به هو الفاصلة ، وليست هذه الفاصلة فيه قافية شعر ولا حرف سجع ، وإنما هي شاهد قرآني لا يوجد إلا فيه . " [2]

هذا يقودنا إلى القول : إن للنص الشريف مزايا وخصائص تستوقفنا ونحن نتأمل آياته منها :

1- التناسق بين العبارة والموضوع الذي يراد تقريره :

يقول تعالى : " **قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا** ..." [3]

" **ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك** ... " [4]

إن الدارس للآيتين يستوقفه هذا التناسق بين المعني واللفظ ، ففي سياق قصة يوسف ، نجد يعقوب يتأسف على ابنه يوسف أمام إخوته ، إنها لحالة غريبة في نظر أبناء يعقوب لابد أن يجعل لها ما يناسبها من اللفظ ، لذا اختار لها الله سبحانه أغرب ألفاظ القسم (تالله) ، كما استعملت من أخوات كان(تفتأ) لتعبر على الاستمرار ، واستعملت (حرضا) لمعنى المرض المشرف على الهلاك .

أما في الآية الثانية فإننا نلمس الرقة تشع من النظم ، فالمعني يعكس ذلك الضعف البشري أمام جبروت الخالق جلا وعلا ، وسياق الآية يدل على قدرة الله ووحدانيته في هذا الكون العجيب ، لقد عبر الله (بمس) ، (نفحة) الدالة على الشيء الخفيف ، ليعترفوا بجريمتهم فالمعني الغريب يتشكل في ألفاظ غريبة ، والمعنى المعروف المستحدث كانت ألفاظه من جنسه .

2- الاهتمام بالجملة القرآنية الشريفة ، واختيار المكان المناسب للكلمة المعبرة من جميع الوجوه : الهمس والجهر ، الشدة واللين ، التفخيم والترقيق ... إلخ :

يقول تعالى " **نسائكم حرث لكم** ... " [5]

تعبير في غاية الدقة يشير إلى العلاقة الزوجية العريقة والكبيرة التي عبر عنها سبحانه في سياقات أخرى باللبس ، وبالسكن ، وهنا يلائمها لفظ (الحرث) ، لأنها مناسبة إخصاب ، وتولد ، ونماء ، ألا ترى أن كلمة حرث في التركيب الشريف وضعت في مكانها المناسب معبرة عن هذا المعنى وهذه الصلة التي تشبه صلة الزرع بحرثه ،

---

[1] – الرماني، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، تونس 1983، ص .25

[2] –مصطفى مسلم ، د . مباحث في إعجاز القرآن ، ط1 ، دار المنار للنشر والتوزيع جدة ، 1988 . ص 126 .

[3] –يوسف 85 .

[4] –الأنبياء 46 .

[5] –البقرة 221.

يقول مصطفى مسلم : " أنظر كلمة " حرث " شبه النساء به دون الأرض أو الحقل أو الزرع أو غيرها من المرادفات لعل ذلك لما فيها من لطف الكناية في ذلك التشابه بين صلة الزرع بحرثه وصلة الزوج بزوجته . " [1]

3-اهتمام القرآن بالإيقاع والانسجام في اللفظ والنظم ، فيؤتى بالكلمة وتوضع في مكان معين من العبارة الشريفة بحيث لو تغير وضعها تقديما أو تأخيرا أو حذفا لاختل ذلك التناسق اللفظي وذاك الوزن الخاص ، يقول جل من قائل :

" أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ... " [2]

لاحظ لفظة "الأخرى" كيف تحافظ على ذلك التناسق في الفاصلة ، مما له أجل الوقع على السمع ولو حذفتها لاختل دور الفاصلة وتأثر الإيقاع ، وخذ كلمة " الثالثة " كيف تحافظ على الوزن ولو حاولت حذفها لاختل الوزن وأصبح التركيب مضطربا ، أ فبعد هذا من دقة و انسجام.

4-اعتمد القرآن الكريم على طريقة التصوير في التعبير عن المعاني والأفكار ، تتبع ذلك التشبيه التمثيلي في قوله تعالى : " ... **كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة** . "[3]

الآية في سياق إنذار وتهديد الكفار يقول المفسر : " أي كأن هؤلاء الكفار حمر وحشية نافرة وشاردة ، هربت ونفرت من الأسد من شدة الفزع . " [4]

وفي البحر : " شبههم تعالى بالحمر النافرة مذمة وتهجينا ، يقول ابن عباس : " الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت ، كذلك هؤلاء المشركون إذ رأوا محمد صلى الله عليه وسلم هربوا منه كما يهرب الحمار من الأسد . " [5]

يقول الدارس : " تشترك مع الذهن حساسة النظر وملكة الخيال وانفعال السخرية وشعور الجمال . " [6]

ولا نبرح خاصية التصوير دون أن نقف على بعض صور القصر في النظم الشريف ، انظر إلى التركيب في قوله تعالى : " **لا فيها غول .** " [7]

ما كانت الجملة الشريفة لتزيد على ثلاث كلمات ولكن الحق بها نفى وأثبت وقرر عددا من الحقائق ، وشرع وهدى .

الآية في سياق وصف خمور الجنة فقد نفى سبحانه وتعالى عنها الغول وصداع الرأس وذهاب العقل ، وأثبت وجودها في خمر الدنيا ، قال ابن كثير : " نزه الله سبحانه خمر الجنة عن الآفات التي هي في خمر الدنيا ... فخمر الجنة طعمها طيب كلونها . " [8] ذلك كله ناتج عن تقديم الجار والمجرور الذي يفيد قصر عدم وجود الغول في خمور الجنة .

وفي آية واحدة نستطع أن نلاحظ روعة الأداة في وضع الجار والمجرور في وضعه الخاص الدقيق في الجملة ليؤدي المعنى الدقيق المطلوب ، يقول عز وجل : "

---

[1] -مصطفى مسلم ، د . المرجع السابق ، ص 132 .

[2] -النجم 19 - 20.

[3] -المدثر 49-50 .

[4] -محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ط5 ، دارالضياء قسنطينة ، 1990 . ص 480 .

[5] -محمد علي الصابوني ،المرجع السابق . ص 480 -481

[6] -مصطفى مسلم ، د . المرجع السابق ، ص 137.

[7] -الصافات 47 .

[8] -محمد علي الصابون ، المرجع السابق ، ص33 .

وكذلك جعلنكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . " [1]

الآية الكريمة في سياق الإشادة بالمؤمنين وبرسول الإسلام فهم شهداء على الأمم والرسول شهيد عليهم جميعا ، فشهادتهم على الأمم أثبتها الله في قوله : " لتكونوا شهداء على الناس . " والتي لم يقدم فيها الجار والمجرور ، أما أمة محمد فهم مختصون بشهادة الرسول عليهم ، وهذا ما تحقق عن طريق التقديم حيث قدم الحق سبحانه الجار والمجرور ، فرق كبير كما ترى بين المعنيين ، يظهر من خلال نقل الجار والمجرور من مكان إلى أخر .

ونجد ابن القيم يكشف عما في آية الحج من وجوه الحسن في النظم من جودة ودقة في التركيب ، مبرزا ما في التركيب الشريف من طرق التوكيد التي صحبت فريضة الحج في الآية الكريمة ، يقول تعالى :

" ولله على الناس حج البيت ..." [2]

يقول ابن القيم : " ... ومنها القصر في تقديم اسمه تعالى بإدخال لام الاستحقاق ، فقال : " لله " بذاتها دون سواها ، حتى إن فرضيتها وردت بصفة أخرى لم تؤلف في فريضة من الفرائض إلا في هذه الشعيرة فالاسم المجرور من حيث كان " لله " وجب الاهتمام بتقديمه تعظيما لحرمة هذا الواجب الذي أوحبه ، وتخويفا من تضييعه ، إذ ليس ما أوجبه الله تعالى بمثابة ما أوجبه غيره ، فقد كان من المألوف عند ذكر ما يوجبه أن يذكر بلفظ الأمر أو النهي والأكثر بلفظ الإيجاب ، أو الكتابة ، أو التحريم : " **حرمت عليكم الميتة** " [3]، " **كتب عليكم الصيام** " [4] ، " **حافظوا على الصلوات** " [5] ، " **ولا تقربوا مال اليتم إلا بالتي هي أحسن** . " [6]

وفي سياق التوكيد وبيان قدرة الله وعظمته ، وبيان سخافة وبلاهة المشركين ، يأتي التركيب الشريف : " **ما يمسكهن إلا الله** . " [7]

يلفت الله سبحانه وتعالى نظرنا إلى أن في الجو مشاهدة تدل على عظمته ، صورة حية متحركة يرها الناس كل لحظة فيمرون عليها غافلين ، يكشفها النظم الشريف أمام أنظارنا لنرها بالحس الشاعر المتأثر، دليل على قدرة الله ورحمته ، صورة اسهم في تشكلها ذلكم التركيب القصري بواسطة الدال المتقطع " ما وإلا " .

يقول المفسر : " المشهد ذو منظرين : الطير باسطات أجنحتها صافات أرجلها ، والثاني منظرها قابضات . " [8] فسبحان من أمسكها عن السقوط عند بسط أجنحتها .

---

[1] -البقرة 142 .

[2] – آل عمران 97 .

[3] -المائدة 4 .

[4] -البقرة 182 .

[5] -البقرة 236 .

[6] -الأنعام 152 .

[7] -النحل 76 .

[8] -عبد الفتاح لاشين ، د .ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ، ط1 ، دار الرائد العربي ، لبنان 1982 ، ص 69 .

وفي إطار القصص للتأمل والعبرة

نورد قوله تعالى : " وهي تجري بهم في موج ... ونادى نوح ابنه وكان في معزل .... لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم • "[1]

أنظر لتلك الحركة وذلك التصوير البارع اللطيف ، وذلك الخطاب الرباني الكريم ، أ وليس بؤرة الخطاب ولبه ذلك التركيب القصري بـ " لا وإلا " الذي يرد الأبوة إلى طبيعتها الإيمانية .

فالسفينة تجري في الموج معلنة عن نجاة المؤمنين ، وعندها تتنازع نوح عطفتان : عاطفة الإنسان (الأب) ، وعاطفة الإنسان (النبي) ، ويطلعنا نص القرآن الكريم على تغلب عاطفة الأبوة ، إن ابن نوح لم يؤمن ، وإنه ليعلم أنه سيغرق مع المغرقين ، فها هو الموج يطغى ، فيروح الأب في لهفة وضراعة ينادي ابنه جاهرا : " يا بني اركب معنا ... " ، ولكن البنوة العاقة لا تحفل بهذا الدعاء ، فهي لا ترى الخلاصة إلا في فتوتها ، ولكن الحكم لله وحده ، " لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم " هذا لعمري قول الفصل ، يظهر من خلاله إعادة التوازن إلى نفسية نوح ، أنه الإيمان والعقيدة حيث الاطمئنان والرضى .

هكذا نجد أن النظم القرآني على الرغم من أنه لم يخرج عن أساليب العرب يمتاز بالتناسق الفني الإيقاعي والتآزر المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات ، ونخلص أن التصوير هو القاعدة الأولى في النظم القرآني وهو الطريقة التي يتناول بها جميع الأغراض .

وللتركيب القصري باع لا يستهان به فيها من خلال طرقه وأقسامه التي سنقف عليها في المباحث التالية .

---

[1] -هود 42-43 .

المبحث الثاني

طرق القصر في القرآن الكريم

- **النفي و الاستثناء**
- **إنما**
- **التقديم**
- **تعريف المسند**
- **ضمير الفصل**
- **العطف**

- **المبحث الثاني : طرق القصر في القرآن :**

أشرنا فيما سبق الى ان القصر هو : تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، أي جعل شيء مقصور علي شيء ، بحيث لا يتعداه إلى غيره ، فالمرأة القاصرة الطرف تجعل طرفها مقصورا على زوجها فلا تمده إلى غيره .يقول تعالي :

" **وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو** ." [1]

(لا يعلمها إلا هو) ، أي علم مفتاح الغيب مقصور على الله سبحانه وتعالى لا يتعده إلى أحد من المخلوقات .

إن القيد (بطريق مخصوص) أضافه البلاغيون لمفهوم القصر ليحددوا مسار البحث في هذا الباب ، وليجعلوه يدور حول طرق معينة هي المقصودة لهم بالبحث فيه ، وهي : العطف ، والنفي و الأستثناء ، وإنما ، والتقديم والتأخير ، وزاد بعضهم : ضمير الفصل ، وتعريف الجزأين ، وهكذا حتى صارت عند بعضهم أربعة عشر طريقا .

يقول الدكتور محمد ابو موسى :"لكن ذلك كله غير مشهور ، والذي عليه جمهور المتأخرين هو هذه الطرق الأربعة ، لا لأنها وحدها تفيد القصر ، ولكن لأنها هي التي يدور حولها البحث في هذا الباب ، ودلالة غيرها على القصر لا مشاحة فيها . [2]

طرق القصر في القرآن الكريم تتفاوت في الدلالة ضروبا من التفاوت بما يفيض به كل طريق من إشارات ونكت ، وتلميحات ، قد لا نجدها في الطريق الأخر ، ذلك ما سنقوم بدراسته ، معتمدين في كل طريق على : تواتره في القران ، بعض وظائفه.

الدلالات والإشارات التي يشير إليها تكيب القصر .

المطلب الأول : طريق النفي والاستثناء:

طريق النفي والاستثناء : هو رأس الباب ، والطريق الأم - السكاكي يقدم طريق العطف [3] - الذي يقيسون عليه غيره ، ويستعملونه في توضيح صورة المعنى وتحديد المقصور و المقصور عليه ، فيقولون مثلا إن قولك :" إنما لك هذا "معناه :ما لك إلا هذا ، وقوله تعالي :" **إنما حرم عليكم الميتة** " [4] ، معناه : ما حرم عليكم إلا هذا ، وقوله تعالي : " **إياك نعبد** " [5] ، أي لانعبد إلا أنت.

إن جملة من طرق القصر كـ : " انما " و "العطف " ، إنما دلت على القصر لتضمنا معني النفي والاستثناء . كما أن ظهور الدلالة على القصر في هذا الطريق يكون قويا، فقصر الشيء على الشيء أو إثبات الشيء للشيء ونفيه عن غيره ينبثق من هذا الطريق ، من جهة انك تسلط النفي في الاستثناء المفرغ علي مستثني منه عام ، وجه إفادة القصر أن الاستثناء المفرغ يتوجه النفي فيه إلى مقدر وهو المستثني منه ، لأن الاستثناء إخراج يحتاج إلى مخرج منه فنقول : " ما سهر إلا علي " ، أي ما سهر أحد .

" وحين تتأمل تولد المعني وراء التركيب تجد أن رأس هذا المعني هو النفي ، إنه هو الذي يطل عليك أولا من التركيب ." [6]

لقد اعتمدت في القران الكريم " إلا" أداة وحيدة لإفادة القصر ، إما لسبب معنوي ذلك أن الاستثناء فيها أقوى مما في أختيها " غير " و " سوى " ، نشعر به في قوله تعالى علي وجه التمثيل ، يقول تعالى :

" **وما يضل به إلا الفاسقين** . " [1]

---

[1] -الأنعام 60

[2] – محمد أبو موسى محمد ، د ، دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، ط2، مكتبة وهبة 1987، ص 35-37

[3] -"لا" العاطفة ، و "لا" الجوابية لم يقعا في القران الكريم ، الإتقان في العلوم القران ، ص 171/1

[4] -البقرة 172 .

[5] -الفاتحة .4

6- محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، ص 104 – 105.

القصر في التركيب الشريف قوي يضعف لو استعملنا " غير " أو " سوى " بدل إلا.
ذلك ما نلمسه من الناحية الصوتية و لعل ذلك راجع إلى التضعيف في إلا ، فأنت تحس بتلك الشدة و القوة في إلا على عكس غير و سوى فإن فيها خفة وضعف .
أو لسبب نحوي فالتركيب الشريف في بعض آياته لا يستقيم إذا حاولنا استبدال " لا" ب" غير" أو " سوى " خذ قوله تعالى منه :

" **فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون .** " [2]

وكذا قوله تعالى :

" **لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** . " [3]

فإنه لا يستقيم بأداة غير " إلا " كما أن " غير " و " سوى " من المبهمات المفتقرة إلى الإضافة فلا تستقيم بعدها بعض الوظائف : كالحال ، و المفعول لأجله ، و المفعول المطلق [4].

وهذا مما يدل على أن فكرة التعويض التي نجدها في القرآن الكريم يطفح بها في نيابة حروف الجر عن بعضها ، لا تستقيم مع " إلا " ، هذا ما يجعلنا نقول : إن النص القرآني له استقلاليته التي تميزه فيما يتعلق بتراكيبه .

ولئن اعتمدت " إلا " أداة وحيدة للاستثناء ، فإن أداة النفي قد تعددت ، وهي حسب ترتيب ورودها من حيث التواتر في القرآن الكريم : " ما و إلا " ، " لا وإلا " ، " إن و إلا " ، " هل و إلا " ، " لم وإلا " ، " من و إلا " ، " ليس وإلا " ، " ماذا وإلا " .

أولا :" ما ... إلا " : " ما " : من أدوات النفي تشترك بين الجمل الاسمية والجمل الفعلية تدخل على الأسماء فتعمل عمل " ليس " ترفع وتنصب في لغة أهل الحجاز ، نحو :

" **ما هذا إلا بشر مثلنا** . " [5]

وتدخل على الأفعال فلا تعمل ، تدخل على الماضي بمعنى : " لم " ، يقول تعالى :

" **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** . " [6]

وقد تواتر استعمال تركيب القصر بـ "ما" النافية في القرآن الكريم (ما ... إلا) 207 مرة.

وقد جاءت مقترنة بالفعل الماضي في غير ما آية ، والمقصور عليه جاء حالا مفردة يقول تعالى :

" **ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين** . " [7]

" و **ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ** . " [8]

كما ورد المقصور عليه جملة فعلية ، يقول تعالى :

" **وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا .** " [1]

---

[1] –البقرة .25

[2] –البقرة .131

[3] –البقرة .274

[4] –ربيعة الكعبي ، التركيب الاستثنائي في القرآن الكريم ،(دراسة نحوية بلاغية)، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1993، ص 115.

[5] –الشعراء 154 .

[6] –إبراهيم 02 .

[7] –البقرة 113 .

[8] –النساء 91 .

[1] –يونس .61

" **كذلك ما أتي الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا سحر أو مجنون.** " [2]

وجاء المقصور عليه مفعولا به ، كما في قوله تعالي :

" **وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا** . "[3]

" **ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله** . " [4]

وورد المقصور عليه مركب جر نحو قوله تعالى :

" **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** . " [5]

وجاء أيضا مفعولا فيه ، يقول تعالى :

" **وما تلبثوا بها إلا يسيرا** ." [6]

وجاء أيضا مفعولا به كقوله تعالى :

" **ما قلت لهم إلا ما أمرتني به** . " [7]

وقد ورد كذلك مفعولا ثانيا لما أصله مبتدأ وخبر ، يقول تعالى :

" **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** . " [8]

ويأتي مفعولا ثانيا لما ليس أصله مبتدأ وخبر ، يقول تعالى :

" **وما زادهم إلا إيمانا وتسليما** . " [9]

وجاءت " ما " مقترنة بالفعل الماضي المسند إلى نائب الفاعل كقوله تعالى :

" **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** . " [10]

وقد اقترنت " ما " في هذا التركيب القصري بالفعل المضارع ، وقد ورد المقصور عليه معها :

- مفعولا به ، قال تعالى :

" **وما يخادعون إلا أنفسهم** . " [11]

- فاعلا ، قال تعالى :

" **وما يذكر إلا أولو الألباب** . " [12]

- مركب جر ، قال تعالى :

" **وما تنزل ملائكة إلا بالحق** . " [13]

- حالا مفردة ، قال تعالى :

" **وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين** . " [1]

- حالا جملة اسمية ، قال تعالى :

" **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** . " [2]

---

[2] –الذريات .52

[3] –الفرقان 56.

[4] –الحديد 26.

[5] –إبراهيم 5 .

[6] –الأحزاب 14 .

[7] –المائدة 119 .

[8] –الإسراء60.

[9] –الأحزاب .22

[10] –البينة 5 .

[11] –البقرة8.

[12] –البقرة 268 .

[13] –الحجر 8.

[1] – الأنعام 49 .

- مفعولا مطلقا ، قال تعالى :

" ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم . " [3]

- مفعولا لأجله ، قال تعالى

" وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله . " [4]

- مركبا ظرفيا ، يقول تعالى :

" وما نوخره إلا لأجل معدود . " [5]

- مركبا موصوليا فاعلا ، يقول تعالى :

" وما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا . " [6]

وتأتي "ما" مقترنة بالاسم ، ويكون المقصور عليه :

- مركب جر (خبرا) ، يقول تعالى :

" وما النصر إلا من عند الله ." [7]

- خبرا مفردا ، والمقصور اسم إشارة مبتدأ ، يقول تعالي:

" ما هذا إلا بشر مثلكم . " [8]

- مبتدأ مؤخرا ، والمقصور تركيب جر خبرا مقدما ، يقول تعالى :

" و ما على الرسول إلا البلاغ المبين . " [9]

- جملة اسمية خبرية يقول تعالى :

" وما من دابة إلا على الله رزقها . "[10]

وجاءت " ما " مقترنة بـ " كان " ، وقد جاء المقصور عليه :

- خبرا لكان ، يقول تعالى :

" وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية . "[11]

- اسما لكان ، نحو :

" وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم . " [12]

نلاحظ من خلال هذا أن " ما " جاءت مقترنة بالفعل الماضي ، وبالفعل المضارع ، وبالاسم وجاء المنفي مفردا ، اسم إشارة ، ضميرا ، مركب جر ، مركبا إضافيا . كما اقترنت "ما " بـ "كان " ، وورد اسم كان : مفردا ، ضميرا ، مركب جر، مركبا إضافيا.

ثانيا :" لا ... إلا " : قرينة النفي " لا " تكون مع " إلا " في التركيب القصري إلا دالا متقطعا كقولنا : " لا إله إلا الله " ، قول سليم في تركيب مستقيم ، يتضمن في الوقت ذاته النفي والإثبات ، لكن النفي أبرز. [1]

---

[2] – يوسف 106 .

[3] – هود 109 .

[4] – البقرة 271 .

[5] – هود 104 .

[6] – غافر 3 .

[7] – الأنفال 10 .

[8] – المؤمنون 24 .

[9] – النور 52 .

[10] – هود 6 .

[11] – الأنفال 35 .

[12] – الأعراف 81 .

[1] – سعدي الزبير ، د . العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، (دكتوراه دولة) جامعة الجزائر ، 1989، ص 376-377 .

فلو أخذنا : " إله إلا الله " نجده تركيبا غير موجود عربية .
" لا إله الله " كذلك لا وجود له عربية .
" إله الله " تركيب لا يستقيم .
فالتركيب القصري إذن في هذا لابد له من الدال المتقطع " لا ... إلا " .
وتأتي " لا" على وجوه ، أحدها وهو الذي يهمنا في تركيب القصر أن تكون للنفي ، وتدخل على الأسماء و الأفعال .
فالداخلة على الأسماء تكون تارة عاملة عمل "إن "[2]، وهي النفي للجنس ، تنفي ما أوجبته " إن " فلذلك تشبه بها في الإعمال ، نحو : " لا ريب فيه " .
أما الداخلة على الأفعال ، فتارة تكون لنفي الأفعال المستقبلية ، كقوله تعالى : **" إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم . "** [3] ، لأنه جزاء فلا يكون إلا مستقبلا . [4]
وقد تنفي المضارع مرادا به نفي الدوام ، كقوله تعالى : **" لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا في كتاب مبين . "** [5]
والنفي بها يتناول فعل التكلم ، يقول تعالى : **" قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى . "** [6]
كما يتناول النفي بـ "لا" فعل المخاطب ، يقول تعالى : **" فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . "**[7]
و الوجه الثاني أن تكون " لا " للنهي ، ينهي بها الحاضر والغائب ، قال تعالى : **" ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله . "** [8]
وقد تحتمل النفي والنهي ، كقوله تعالي : **" ألا تعبدوا إلا الله . "** [9]
وقد تواترت " لا " النفي والنهي في القرآن الكريم في التركيب القصري 167 مرة .
وهي موزعة كتالي :

- لا مضارع ... إلا ، أي أنها اقترنت بالمضارع ، وكان المقصور عليه :
  - فاعلا ، يقول تعالى :
    " لا يطعمها إلا من نشاء . " [10]
  - نائب الفاعل ، يقول تعالى :
    " و لا يلقاها إلا الصابرون . [1]
  - مفعولا به ، كقوله تعالى :
    " لا تعبدون إلا الله . " [2]
  - مفعولا ثانيا لما ليس أصله مبتدأ وخبر نحو :

---

[2] – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة و الطباعة و النشر بيروت 4/ 351 .
[3] – فاطر 14 .
[4] – ربيعه الكعبي ، المرجع السابق ، ص 122 .
[5] – سبأ 3 .
[6] – الشورى 21 .
[7] – الرحمن 31 .
[8] –الكهف .24
[9] – هود 2 .
[10] – الأنعام 139 .
[1] –القصص .80
[2] – البقرة 82 .

" ولا تزد الظالمين إلا تبارا . " [3]

- مفعولا مطلقا ، يقول تعالى :

" لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ." [4]

- حالا مفردة ، قال تعالى :

" ... ولا جنبا إلا عابري سبيل . " [5]

- حالا جملة فعلية ، كقوله تعالى:

" ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا . " [6]

- حالا جملة اسمية ، يقول تعالى :

" ولا ينفقون إلا وهم كارهون . " [7]

- لا اسم ... إلا : لقد ورد المقصور عليه في هذه التراكيب الشريفة :

- ضميرا للغائب ، قال تعالى :

" لا كاشف له إلا هو " [8]

- ضميرا للمخاطب ، يقول تعالي :

" فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت . " [9]

- ضميرا للمتكلم ، نحو :

" لا إله إلا أنا فاتقون. " [10]

- اسما مفردا ظاهرا ، كقوله تعالى :

" إذا قيل لهم لا إله إلا الله ." [11]

- مركب موصول ، يقول تعالى :

" آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل . " [12]

"لا" في هذه التراكيب اقترنت بالمضارع وبالاسم .

ثالثا : "إن... إلا " ، "إن" المكسورة المخففة من معانيها أنها ترد بمنزلة " لا " [1] وهي قرينة النفي في التركيب القصري ، تكون أيضا دالا متقطعا ، وقد تواترت في القرآن بهذه الصيغة 107 مرة ، موزعة كتالي :

- إن اسم ... إلا ، وورد المقصور عليه معها :

- خبرا للمبتدأ وهو اسم مفرد والمقصور مبتدأ ضمير للمخاطب ، كقوله تعالى :

"إن أنت إلا نذير . "[2]

- خبرا للمبتدأ والمقصور ضميرا للغائب (مبتدأ) ، يقول تعالى :

" إن هي إلا حياتنا الدنيا . " [3]

---

[3] – نوح 30 .

[4] – البقرة 274 .

[5] – النساء 43 .

[6] – يونس 61 .

[7] – توبة 54 .

[8] – الأنعام 18 .

[9] – الأنبياء 86 .

[10] – النحل 2 .

[11] – فاطر 37 .

[12] – يونس 90 .

[1] – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة و النشر بيروت، 4 / 216 .

[2] – فاطر 23 .

- خبرا للمبتدأ والمقصور ضميرا لجماعة المتكلمين ، يقول تعالى :
" إن نحن إلا بشر مثلكم . " [4]
- مركب جر خبرا والمقصور مبتدأ (اسما ظاهرا) نحو :
" إن الكافرون إلا في غرور . " [5]
- مركب موصول خبرا ، والمقصور تركيبا إضافيا ، يقول تعالى :
" إن أمهاتهم إلا آلائي ولدنهم . " [6]

- إن فعل ... إلا : تدخل "إن " على الجملة سواء أكان الفعل في صيغة (فعل) أم في صيغة (يفعل) .

فبالنسبة لصيغة فعل نورد قوله تعالى :
" إن كانت إلا صيحة واحدة . " [7] وفي هذا التركيب ورد المقصور عليه خبرا لكان .
أما بالنسبة لصيغة يفعل ، فهناك وجهان :
1- وجه بسيط ، مثل : **" إن يقولون إلا كذبا . "** [8]
2- وجه مركب ، مثل : **" إن يدعون من دونه إلا إناثا . "** [9]
وفي كلا الآيتين جاء المقصور عليه مفعولا به .

نذكر في هذا المجال هذا التركيب الذي لا يمكن تجريده من النفي القصري، لأن البناء فيه يتهدم ، كما أن المعني فيه ينعدم لعدم توفر الجملة المثبتة فيه ، يقول تعالى :
" وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته . " [10] فليس هذا التركيب الشريف كسابقيه اللذين يمكن تجريدهما من قرينة النفي في دالها المتقطع ، فنقول مثلا : " يقولون كذبا. " "يدعون من دونه إناثا " ، نلاحظ أن المعني يتغير ولكنه لا يفسد ، وعلى العكس قولنا: " من أهل الكتاب ليؤمنن قبل موته " فالمعني في هذا التركيب يفسد .

وأما الجمل الاسمية المثبتة فلا يمكن إدخال قرينة النفي "إن" عليها إلا وهي مصحوبة بـ "إلا".

ونجد في القرآن الكريم مثالا يكس وجها أخر في القصر مع النفي هو (لما) الذي يقول عنه الفراء : " إنها لغة في هذيل، يجعلون لما مع إن المخففة إلا ، يقول تعالى :
" إن كل نفس لما عليها حافظ . " [1] في قراءة عاصم وحمزة والنخعي بتشديد الميم ، وليس في قراءة ابن كثير وابن عمر ونافع ، الذين يخففون " لما " فيتغير معنى القول كله[2]

---

[3] –المؤمنون .37

[4] – إبراهيم .14

[5] – الملك 20 .

[6] – المجادلة 2 .

[7] –يسن 52 .

[8] – الكهف 5 .

[9] – النساء 116 .

[10] – النساء 158 .

[1] – الطارق 4 .

[2] – سعدي الزبير ، المرجع السابق ، ص 381 .

ومنه قوله تعالى : **" وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا . "** [3] في قراءة عاصم وحمزة أي **" ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا . "** [4]

رابعا : هل ... إلا ، هل : تأتي بمعنى " ما "[5] كقوله تعالي : **"هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام . "** [6]

هل حرف استفهام قيل : " لا يكون المستفهم معها إلا فيما لا ظن فيه البتة ، بخلاف الهمزة فإنه لابد أن يكون معها إثبات ، فإذا قلت : " أ عندك زيد ؟ " فقد هجس أنه عنده فأردت أن تثتبته بخلاف هل . "[7]

تمتاز هل عن قرائن النفي بكونها لا تأتي في سياق النفي إلا وهي مصحوبة بـ " إلا " القصرية، و بالتالي فإنها لا تأتي إلا في دال متقطع سواء أكانت الجملة فعلية أم اسمية ، وتقترن هل النافية :

- بالجمل الفعلية ، ويأتي المقصور عليه :
  - مصدرا مؤولا ، قال تعالي :

" هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة . " [8]

  - نائب الفاعل ، قال تعالى :

" هل يجزون إلا ما كانوا يعملون . " [9]

نجد في التركيب الشريف أن الفعل بني لما لم يسم فاعله .

ويقول تعالى أيضا :

" هل يهلك إلا القوم الظالمون . " [10]

- بالجمل الاسمية ، ويرد المقصور عليه :
  - مبتدأ مؤخرا ، يقول تعالى :

" فهل على الرسول إلا البلاغ المبين . " [11]

  - خبرا ، يقول تعالى : **" هل هذا إلا بشر مثلكم . "** [12]

والمتتبع لتراكيب القصر في القرآن الكريم (هل ... إلا) يجد أنه قد تواتر 22 مرة .

خامسا : لم ... إلا ، " لم " تنفي المضارع ، وتقلب معناه إلى الماضي وتجزمه ، وهي لا ترد في التركيب القصري إلا دالا متقطعا ، ويكون المقصور عليه معها :

- ظرف زمان ، يقول تعالي :

" لم يلبثوا إلا ساعة من نهار . "[1]

  - مفعولا به ، نحو :

" ولم يخش إلا الله . " [2]

---

[3] – لبزخرف 34

[4] – المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط2، دار الآفاق الجديدة يروت 1983، ص 594 .

[5] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة النشر بيروت، ص 433/4 .

[6] – البقرة 208 .

[7] – الزركشي ، المرجع السابق ، 4/ 433 .

[8] – الأنعام 159 .

[9] – سبأ 33 .

[10] – الأنعام 48 .

[11] – النحل 35 .

[12] – الأنبياء 3 .

[1] – الأحقاف 34 .

- مفعولا ثانيا ، يقول تعالى :

" فلم يزدهم دعائي إلا فرارا . " [3]

- اسم كان مؤخرا ، قال تعالى :

" ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم . " [4]

وقد وقع تواتر هذا التركيب القصري في القرآن الكريم 12 مرة .

سادسا : لن ... إلا ، " لن " حرف نفي ينصب الفعل المضارع ويخلصه للاستقبال ، ولا يلزم أن يكون نفيها مؤبدا خلافا للزمخشري ... ، " لن " لتكيد ما تعطيه "لا " من نفي المستقبل . قال ابن عصفور : " وما ذهب إليه (أي الزمخشري) دعوة لا دليل عليها ، بل قد يكون النفي بـ " لا " أوكد من النفي بـ "لن " ، لأن النفي بـ " لا " قد يكون جوابا للقسم ، والمنفي بـ "لن " لا يكون جوابا له ، ونفي الفعل إذا أقسم عليه آكد . " [5]

و" لن " صيغة مرتجلة للنفي في قول سيبويه أي حرف بسيط ، ومركب عند الخليل من " لا " و " أن " ، وهي لنفي الفعل في المستقبل ، لأنها في النفي نقيضة السين وسوف وأن في الإثبات ، فإذا قلت : " سأقوم أو سوف أقوم" ، كان نقيضه : " لن أقوم " وليس معناها النفي على التأبيد .[6] بل إن النفي مستمر في المستقبل إلى أن يطرأ ما يزيله ، فهي لنفي المستقبل ، ولم لنفي الماضي وما لنفي الحال .

وتأتي" لن" في هذا التركيب دالا متقطعا ، ويكون المقصور عليه :

- مركب موصول فاعلا، يقول تعالى :

" قل لن يصبنا إلا ما كتب الله لنا . " [7]

- مفعولا ثانيا ، يقول تعالى :

" فلن نزيدكم إلا عذابا . " [8]

- مفعولا لأجله ، يقول تعالى :

" لن يضروكم إلا أذى . " [9]

وردت " لن ... إلا " في القرآن الكريم 08 مرات .

سابعا : "ليس ... إلا " ، " ليس " فعل جامد ينفي الجملة في الحال ، وهو من النواسخ من أخوات كان ، فإذا قلت : " ليس علي قائما " نفيت قيامه في حاله هذه ، وإن قلت : " ليس قائما غدا " لم يستقم ، وبعضهم يقول لنفي مضمون الجملة عموما ، وقيل مطلقا حالا كان أو غيره . [1]

تأتي "ليس " في دال متقطع مع "إلا " ، يقول تعالى :"**ليس لهم في الآخرة إلا النار**."[2]

ويقول أيضا : " **ليست عليهم بمسيطر إلا من تولى** . " [3]

---

[2] – التوبة 18 .

[3] – نوح 6 .

[4] – النور 6 .

[5] – المرادي ، المرجع السابق ، ص 29 .

[6] – الزركشي ، المرجع السابق ، 4/ 387 .

[7] – التوبة 51 .

[8] – النبأ 30 .

[9] – آل عمران 111 .

[1] –ربيعة الكعب ، المرجع السابق ، ص 124–125.

[2] –هود 16.

[3] –الغاشية 22–23.

وتأتى ليس في الأقوال المنفية أساسا ، يكون النفي هو القرينة الأولى التي تتصدرها، ولكن الاستثناء والقصر هما السمتان المميزتان للتركيب ، ذلك لأن الذي يحظى بالاختصاص ، والذي يجلب الانتباه إليه هو المستثنى لأنه منزوع مما سبقه ، أو القصر لأنه تخصيص لسابقه . [4]

وقد تواتر التركيب " ليس ... إلا " 7 مرات في القرآن الكريم:

ثامنا :"من ... إلا " ، " من " الاستفهامية هي المستعملة في التركيب القصري مع " إلا " ، وهي التي أشربت معني النفي ، وقد تنوع المقصور عليه في هذا التركيب من :

- فاعل ، نحو :

" ومن يغفر الذنوب إلا الله . " [5]

- فاعل مركب موصول:

" ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه . " [6]

- حال ، يقول تعالى :

" ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة . " [7]

تواتر هذا التركيب القصري في القرآن الكريم 04 مرات :

تاسعا :" أمن ... إلا " ، "أمن " من أدوات الاستفهام وهي مركبة من " أم " و " من " بمعنى الذي ، استعملت في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : **" أمن لا يهدي إلا أن يهدى . "** [8]

وفسرها البيضاوي بقوله : " أم استفهام إنكاري ، إلا الذي لا يهتدي إلا أن يهدى ، من قولهم هدى بنفسه إذا اهتدى أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله . [9]

عاشرا :" ماذا ...إلا " ، " ماذا " من أدوات الاستفهام جاءت بمعني ليس [10] وردت بهذا التركيب في دال متقطع مرة واحدة في القرآن الكريم ، يقول تعالى :

" فماذا بعد الحق إلا الضلال . " [11] .

فسرها البيضاوي بقوله : " استفهام إنكاري ، أي ليس بعد الحق إلا الضلال ، فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال . " [1]

الحادي عشر : " أبى ...إلا " (ما ليس نفيا صريحا) ، " أبى " فعل فيه معني النفي الذي هو شرط الاستثناء المفرغ ، كالاستثناء في الاستفهام : **" هل كنت إلا بشرا رسولا "** [2] جاء المقصور عليه في هذا التركيب :

- مفعولا به ، يقول تعالى :

" فأبى أكثر الناس إلا كفورا . " [3]

" فأبى الظالمون إلا كفورا . " [4]

---

[4] –سعدي الزبير ، المرجع السابق ، ص 348.

[5] –آل عمران 135.

[6] –البقرة 129.

[7] –الأنفال 16.

[8] –يونس 35.

[9] –البيضاوي ،أنور التنزيل و أصغر التأويل (تفسير)، مؤسسة شعبان بيروت، ص 279.

[10] –البيضاوي ، المرجع السابق ، ص .378

[11] –يونس .32

[1] –البيضاوي ، المرجع السابق ، ص 278–.279

[2] –الإسراء .93

[3] –الإسراء .89

- مفعولا به مصدرا مؤولا ، يقول تعالي :

" ويأبى الله إلا أن يتم نوره . " [5]

تواتر هذا التركيب في القرآن الكريم 4 مرات :

ومما يتصل بهذا ، نشير إلى اختلاف اللغويين من : مفسرين ونحاة وبلاغيين في تركيب الاستثناء الموجب ، فبعضهم يرى أن القصر لا يأتي بعد الإيجاب كالفراء وابن مالك وابن يعيش وابن الحاجب و أبي حيان ، وانفرد ابن الحاجب بقوله إن القصر يصح بعد الإيجاب في الفضلات بشرط الإفادة . [6]

ومنهم من سلك منهج التأويل كقولهم في قوله تعالى :

" وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين . " [7] ، أي لا تسهل إلا على الخاشعين .

وفي قوله تعالى: **لتأتنني به إلا أن يحاط بكم "** [8]

أولوها بقولهم : " لا تمتنعون من الإتيان . "

ويرد أبو حيان على هذا بقوله : " فليس بشيء لأن كل موجب إذا أخذت في نفي نقيضه أو ضده كان كذلك ، فليجز : " قام القوم إلا زيد . " لأنه يؤول بقولك : " لم يجلسوا إلا زيد . " ، ومع ذلك لم تعتبر العرب هذا التأويل ، فتبني عليه كلامها . " [9]

على أننا نذهب إلى ما ذهب إليه أبو حيان في إنكاره للتأويل ، إذ لو فتح باب التأويل لا نجد تركيبا يستعصي على التأويل ، ونحن نقر مبدأ أن النص القرآني متميز يتمرد على القاعدة ، وإلى هذا يشير عبد الخالق عضيمة : " وشتان ما بين الإفادة في مثال ابن الحاجب ، وبين الإفادة في قوله :

" وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين . " [10]

" وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله . " [11]

" فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون . " [1]

" ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله . " [2]

" ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا . " [3]

" فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق . " [4]

" لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا تقطع قلوبهم . " [5]

" لتأتنني به إلا أن يحاط بكم . " [6]

---

[4] –الإسراء .99

[5] –التوبة .32

[6] –عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم (الحروف و الأدوات)، المملكة العربية السعودية، ص .173

[7] –البقرة.44

[8] –يوسف .66

[9] –أبو حيان ،(أثير الدين)، تفسير البحر المحيط، مطبعة السعادة القاهرة 1328 هـ، 1/.176

[10] –البقرة .44

[11] –البقرة .142

[1] –البقرة .235

[2] –آل عمران .112

[3] –النساء .91

[4] –الأنفال .73

[5] –التوبة .111

[6] –يوسف .66

" ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه . " [7]

" والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزوجهم . " [8]

" إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي . " [9]

" وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين و المهاجرين إلا أن تفعلوا . " [10]

ويقول في هذا الإطار : " أحصيت آيات الاستثناء في القرآن الكريم ، وكان من ثمرة هذا الاستقراء أن وجدت آيات كثيرة جاء فيها الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب ، وبعض هذه الآيات جاء الإثبات فيها مؤكدا مما يبعد تأويل هذا الإثبات بنفي . " [11]

والمتبع لأقوال اللغويين يصل إلى أن الاستثناء المفرغ المنفي قصر اصطلاحي باتفاق ، والاستثناء التام المنفي قصر اصطلاحي على الراجح ، والاستثناء التام الموجب يفيد القصر وليس قصرا اصطلاحيا على الراجح .

ومن المستخلصات العامة في هذا المطلب :

- نلحظ أن إحدى عشرة (11) أداة من أدوات النفي استعملت في القرآن الكريم في باب التركيب القصري بنسب متفاوتة جدا ، فإن مجموع قرائن النفي والتي يقرها النحاة قد استعملت في تراكيب القصر ما عدا "لما " ، والجدير بالذكر أننا أدمجنا " ألا " ضمن إحصائيات " لا " باعتبارها مركبة من " أن " الناصبة و " لا " النافية ، كما أدرجنا " لا " الناهية في إحصائيات " لا " النافية ، قال تعالى :

"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ." [12]

" فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا . " [13]

وبقية الأدوات التي وردت في النص الشريف كتركيب قصري هي في الأصل تستعمل للدلالة على الاستفهام وأشربت معني النفي لتؤدي معناه : (هل ، من ، ماذا ، أمن .) نحو :

" هل تجزون إلا ما كنتم تعملون . " [1]

" ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون . " [2]

" فماذا بعد الحق إلا الضلال . " [3]

والملاحظ أن أكثر الأدوات تواترا في هذا التركيب هي " ما "

- ومما تجدر الإشارة إليه أيضا أن التركيب القصري في هذا الطريق(النفي والاستثناء) يخضع لنظام نحوي معين ، أي أنه ينقسم إلى طرفين تفصل بينهما " إلا " ، فهو يأتي على شكل دال متقطع : (ما ... إلا) ، (هل ... إلا) ... وهكذا ، والتي لم تعد " إلا " فيه تؤدي وظفتها النحوية كأداة الاستثناء بل تصبح " أداة قصر" بالمفهوم البلاغي ، وأن الطرف

---

[7] –الحج .63

[8] –المؤمنون 5-.6

[9] –يوسف .53

[10] –الأحزاب .6

[11] –عبد الخالق ،عضيمة ، المرجع السابق ، ص 176-.177

[12] –الإسراء .23

[13] –الكهف .23

[1] –النمل .92

[2] –الحجر .56

[3] –يونس .32

الأول وهو المقصور صار يعمل في الثاني وهو المقصور عليه ، ويتفرغ له في العمل الإعرابي ، يقول تعالى : " **لا يعلمهم إلا الله** . " [4]
فاسم الجلالة " الله " يعرب فاعلا للفعل " يعلم " ، أي : " يعلهم الله . "

- ومثل ما يتشكل الطرف الأول في صيغ مختلفة ، يتشكل الطرف الثاني في صيغ مختلفة أيضا ، فيردان :
  - مؤتلفين : ماض ... ماض ، يقول تعالى :

" **ما شهدنا إلا بما علمنا** . " [5]

فالطرف الأول المقصور (شهدنا) = ماض ، والطرف الثاني المقصور عليه (علمنا)= ماض

اسم ... اسم ، يقول تعالى : " **إن هذا إلا أساطير الأولين** . " [6]

فالطرف الأول المقصور (هذا) = اسم ، والطرف الثاني المقصور عليه (أساطير) = اسم

-مختلفين : ماض ... مضارع ، يقول تعالى :

" **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين** " [7]

فالطرف الأول المقصور (أنزلنا) = ماض ، والطرف الثاني المقصور عليه (لتبين) = مضارع .

فعل ... اسم ، يقول تعالى :

" **ولا يذكرون الله إلا قليلا** . " [8]

فالطرف الأول المقصور (يذكرون) ، والطرف الثاني المقصور عليه (قليلا) = اسم .

وبناء عليه فإن هذه الأدوات تقترن مباشرة بمختلف التراكيب المعهودة في النحو، والمتعلقة بالتركيب الفعلي أو بالتركيب الاسمي ، فكانت الأداة في الجملة الفعلية مقترنة بفعل مضارع :

" **وما يضلون إلا أنفسهم** . " [1]

أو بفعل ماض :

" **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع** . " [2]

وذلك بنسب متفاوتة ، وكانت الأداة في الجملة الاسمية مقترنة :

- باسم ظاهر :

" **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان .** " [3]

- بضمير :

" **إن هو إلا ذكر للعالمين** . " [4]

- باسم إشارة :

" **إن هذا إلا سحر مبين** . " [5]

---

[4] –إبراهيم 12 .
[5] –يوسف 81
[6] – الأنفال31. .
[7] –النحل .64
[8] –النساء .141
[1] –النساء .113
[2] –النساء .64
[3] –الرحمان .60
[4] –يوسف .104

- بشبه جملة (مركب جر) :

" ما من شفيع إلا من بعد إذنه . " [6]

- ومما يسجل أيضا هو مجيئه (المقصور) في صيغ مختلفة : مفردا ، مركب جر ، مركبا إضافيا ، مركبا نعتيا ، مركب موصول .

وكذلك المقصور عليه جاء بدوره في صيغ متعددة : مفردا ، جملة اسمية ، جملة فعلية مصدرا مؤولا .

والذي نصل إليه من خلال هذا التواتر أيضا هو أن المقصور الواقع جملة فعلية ورد فيه المسند غالبا فعل مضارع في سائر القرآن ، وهي الصيغة الصرفية التي تبدو مناسبة أكثر للتعبير عن الحقائق العامة المطلقة التي لا ترتبط بزمان معين ، ومن ذلك قوله تعالى :

"يخادعون الله والذين أمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون." [7]

للتعبير عن مخادعة المنافقين لأنفسهم وهم يظنون أنهم يخادعون الله والذين آمنوا، ومنه أيضا التعبير عن ملاءمة الأحكام الدينية للطاقة الإنسانية ، يقول تعالى :

" لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . " [8]

في حين أن صيغة الماضي كانت ضئيلة مقارنة مع المضارع ، الماضي حدث أنقطع وفات ، تقول ربيعه الكعبي : " قد يرجع ذلك إلى حيوية الماضي وانقطاعه في الزمان ." [9] ولذلك يلاحظ أن الماضي ورد في السياقات التاريخية والقصصية غالبا ، للعبرة وضرب الأمثال ، يقول تعالى :

" وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم . " [1]

" وما أنزلنت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون . " [2]

النص الأول نزل في الرد على من أنكر النبي من البشر ، أو زعم أن في النساء نبيات ، والنص الثاني في إطار بطلان انتساب اليهود والنصارى إلى إبراهيم .

هذا ما يفسر لنا بوضوح المرونة الكبيرة التي يتمتع بها تركيب القصر في القرآن الكريم في قابليته زمان الأفعال في الصيغ الفعلية ، وقابلية الأشكال الاسمية المختلفة في الصيغ الاسمية .

- ونجد كذلك أن التركيب القصري في النص القرآني يحافظ على نمطه البنيوي الأساسي ، ويرجع ذلك إلى أن الترتيب الأصلي يدعم معنى النفي والاستثناء ، وبالتالي يدعم معنى القصر ، فيحقق الخطاب بهذه الطريقة الرسالة البلاغية والتذكيرية التي ينشدها النظم القرآني :

- نفي ماض ... إلا ماض ، :

" ما قلت لهم إلا ما أمرتني . " [3]

- نفي ماض ... إلا مضارع ، :

" وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين . " [4]

---

[5] –هود .87

[6] –يونس .3

[7] –البقرة .9

[8] –البقرة .286

[9] –ربيعة الكعبي ، المرجع السابق ، ص .132

[1] –يوسف .109

[2] –آل عمران .64

[3] –المائدة .119

- نفي ماض ... إلا اسم ، :

" لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . " [5]

- نفي مضارع ... إلا اسم ، :

" ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون . " [6]

- نفي اسم إلا مضارع ، :

" إن أنتم إلا تكذبون . " [7]

- نفي اسم إلا اسم ، :

" إن هو إلا ذكر وقرآن مبين . " [8]

وخلال هذا نجد أن إلا لا تقترن بالماضي إلا في تركيب موصولي .

وهذا الترتيب لا ينفي التقديم ، إذ نقف على تراكيب شريفة بها :

- تقديم المفعول على الفاعل :

" وما يعلم تأويله إلا الله . " [9]

- تقديم الخبر على المبتدأ :

" هل جزاء الإحسان إلا الإحسان . " [10]

" وما على الرسول إلا البلاغ المبين . " [1]

- وفي إطار تراكيب القصر الواردة في القرآن الكريم نقف أيضا على أن الجملة الاسمية المثبتة لا يمكن إدخال أداة النفي " إن "عليها إلا وهي مصحوبة بـ " إلا " :

" إن هو إلا نذير مبين " [2]

" إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم . " [3]

- وجدنا أن تراكيبا يمكن إسقاط طريق "النفي والاستثناء " منها ويبقي التركيب سليما ، وإن تغير المعنى :

" وما محمد إلا رسول . " [4] " محمد رسول "

" وما أنا إلا نذير مبين . " [5] " أنا نذير "

- ومما يلفت النظر أن مجالات استعمال " ما " في القرآن الكريم واسعة جدا ، وفاقت بكثير بقية الأدوات وتأتي بعدها في المرتبة الثانية " لا " بنوعيها النافية والناهية ، هذا ما يجعلنا نقول إن تلك الأهمية التي حظيت بها "ما " و " لا " في القديم لا تزال باقية ومستمرة في لغتنا اليوم ، وهو ما يلاحظ في خطاباتنا اليومية ، في حين نسجل أن "

---

[4] –النحل .64

[5] –البقرة 79

[6] –الحجر .56

[7] –يس .14

[8] –يس .68

[9] –آل عمران .7

[10] –الرحمان.59

[1] –النور .52

[2] –الأعراف .184

[3] –المجادلة .2

[4] –آل عمران .144

[5] –الأحقاف .8

إن" أهملت كأداة نفي في الوقت الحاضر، ولم تعد تستعمل بالقدر الذي استعمل في القرآن الكريم (107 مرة) .

والمتتبع لتراكيب القصر في طريق النفي والاستثناء يجده قد غطى محاور القرآن الكريم . نوردها وفق حقول دلالية ، :

الحقوق الدلالية لطريق النفي و الإستثناء

1-**بيان الغاية التي خلق من أجلها الإنسان** ، والتأكيد على وحدانية الله سبحانه ، وتصافه بصفات الكمال الموجبة للربوبية المطلقة والإلهية الحقة ، ومن هذه التراكيب :

" **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** . " [6]

" **أمر ألا تعبدوا إلا إياه** . " [7]

" **فاعلم أنه لا إله إلا الله** . " [8]

" **الله لا إله إلا هو** . " [9]

" **لا إله إلا أنا فاتقون** . " [10]

" **فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت** . " [11]

" **أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنوا إسرائيل** . " [12]

فهذه التراكيب كما ترى تقرر حقيقة وهي أن الله واحد لا شريك له ، منها ما جاء تركيبا اسميا دالا على الثبات ، ومنها ما جاء تركيبا فعليا دالا على الاستمرار في الفعل ، وقد ورد المقصور اسما ظاهرا ، وضميرا منفصلا "هو " في صورة الشأن المسلم الغائب عن الحس الحاضر في القلب الذي لا يماري فيه قلب سليم ولا عقل راشد في أنه تعالى المبدع للكائنات صاحب الفضل والإنعام المتصف بالوحدانية والقدرة والسلطان .

ويأتي المقصور ضميرا (أنا) ، (أنت) ، المرتبط بجملة طلبية مسبوقة بفاء النتيجة ليؤكد القصر.

ويقترن باسم الجلالة في هذا الحقل الدلالي أوصاف لتأكيد ثبوت الصفة للذات العلية، يقول تعالى :

" **لا إله إلا هو الحي القيوم** . " [1]

" **لا إله إلا هو خالق كل شيء** ." [2]

" **لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** . " [3]

" **لا إله إلا هو يحي ويميت** " [4]

" **لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** " [5]

" **لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم** " [6]

---

[6] –الذريات 56

[7] –يوسف .40

[8] –محمد.20

[9] –النساء 86 .

[10] –النحل 2 .

[11] –الأنبياء .87

[12] –يونس .90

[1] –آل عمران.1

[2] الأنعام .103

[3] –البقرة .162

[4] –الدخان .7

[5] –التوبة .31

" لا إله إلا هو وإليه المصير " [7]

" لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم " [8]

" لا إله إلا هو له العزيز الحكيم " [9]

" لا إله إلا هو وسع كل شيء علما " [10]

" لا إله إلا هو رب العرش العظيم " [11]

"لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ."[12]

" لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهمين العزيز الجبار المتكبر." [13]

تلك هي أسماء الله الحسنى وصفاته العلية التي تنزهه عن صفات النقص وردت بصيغة المبالغة لكمال الوصف ، والحركية وتقدير القضاء، و تنفيذه وإجرائه .

كما تقترن التراكيب الشريفة في الحقل الدلالي نفسه بجمل فعلية بعد المقصور عليه فيها دعوة صريحة للإيمان بالله والتوكل عليه والأمر المباشر لعبادته ، الفعل فيها دال على وجوب الاستمرار ، ومنها :

" لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبده . [1]

" لا إله إلا هو و أعرض عن المشركين . " [2]

" لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين . " [3]

" لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا . " [4]

" لا إله إلا أنا فاتقون . " [5]

ويقترن التركيب الشريف بالاستفهام :

" لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون " [6]

وجاء الله سبحانه بجملة الاسمية (أنتم مسلمون للدلالة على دوام الفعل وثبوته، والاستفهام إنكاري .)

" لا إله إلا هو فأنى تصرفون . " [7]

أي كيف تنصرفون عن عبادته إلى غيره.

---

[6] –الحشر .22

[7] –غافر.2

[8] – التوبة .130

[9] – آل عمران .18

[10] –طه .96

[11] –النمل .26

[12] –القصص .70

[13] –الحشر 23.

[1] –الأنعام .103

[2] –الأنعام .207

[3] –غافر .65

[4] –المزمل .9

[5] – النحل 2

[6] –هود .14

[7] –الزمر .7

ويحمل التركيب القصري في القرآن الكريم " كل هذه الضمائر و على الرغم من اختلافها ، فإنها تعود إلى المعرف نفسه ، أتت في مواضع مختلفة من القرآن لتذكر الناس بوحدانية الله وتقرر عظمته في أذهان الحاضرين ... " [8]

إن هذه التراكيب الاسمية لا تختلف إلا من حيث الاسم الظاهر أو الضمير أو ما يقترن به هذا المقصور عليه من الأوصاف التي تؤكد ثبوت الصفة في الموصول

2- بيان مهمة الرسل وحقيقتهم : مجموعة من التراكيب أدت هذه الدلالة نراها تتفق تارة و تتبيان أخرى بحسب السياق الذي ترد فيه ومنها :

أ- ما جاء خاصا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول تعالى :

" وما محمد إلا رسول . " [9]

المقصور عليه (رسول) خبر للمبتدأ بشير إلى أن محمدا بشر مرسل من عند الله ، الآية في سياق الإشاعة التي أطلقها الكفار في غزوة أحد بأن محمدا قد قتل . فمحمد صلى الله عليه وسلم لا يعدو أن يكون بشرا أختاره الله للرسالة يجري عليه ما يجري على البشر مضت قبله رسل ، ومحمد سيموت كما مات الرسل قبله .

يقول السيد قطب : " إن محمدا رسول من عند الله جاء ليبلغ كلمة الله ، والله باق لا يموت وكلمته باقية لا تموت ، وما ينبغي أن يرتد المؤمنون على أعقابهم إذا مات النبي الذي جاء ليبلغ هذه الكلمة أو قتل ..." [10]

يقول تعالى :

" أن عليك إلا البلاغ . " [1]

المقصور عليه (البلاغ) مبتدأ مؤخر ، أي يا محمد ما عليك إلا أن تبلغهم رسالة ربك ، قال أبو حيان : " الآية تسلية للرسول صلي الله عليه وسلم ، وتأنيس له ، وإزالة لهمه بهم . " [2]

جاء المقصور عليه مقترنا بصفة (المبين) ، أي وما عليك إلا البلاغ المبين في الآية 52 من سورة النور ، والآية 17 من سورة العنكبوت والآية 16 من سورة يس، ،، و ما علينا إلا البلاغ المبين ،، وذلك لاختلاف السياق ، فقد جاء الخطاب في هذه التراكيب مقترنا بالآيات والمعجزات ، يقول الزمخشري : " ... والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية ، ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات ." [3]

يقول تعالى :

" وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا . " [4]

المقصور عليه (مبشرا ونذيرا) حال من الضمير المخاطب ، وهو معطوف ونذير معطوف عليه ، مشاركة في الحكم الإعرابي والدلالي ، بينهما طابق الإيجاب ، إشارة إلى مهمة و وظيفة التبشير والنذارة ، أي : وما أرسلناك يا محمد إلا مبشرا بالجنة لمن أطاع ، ومنذرا بالنار لمن عصى.

يقول تعالى :

" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ." [5]

---

[8] –ربيعة الكعبي ، المرجع السابق ، ص .154

[9] –آل عمران .144

[10] –سيد قطب ، في ضلال القرآن ، ط 10 ، 1982 دار الشروق بيروت ، 3/.485

[1] –الشورى .45

[2] –محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، ص .145

[3] –الزمخشري ، تفسير الكشاف ، تحقيق محمد موسى عامر، دار الصحف القاهرة ، 4/.133

[4] –الإسراء .105

[5] – سبأ 28

المقصور عليه من ألفاظ العموم (كافة) ، للدلالة على عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وليس للعرب خاصة، وهو في هذا مبشر للمؤمنين ومنذر للكافرين .
يقول تعالى :
" و **ما أنا إلا نذير مبين** . " [6]
تركيب اسمي ورد فيه المقصور عليه (نذير) خبر مقترن بصفة (مبين) ، فإنذاره بين بالشواهد الظاهرة والمعجزات الباهرة ، وقد قصرت وظيفة الرسول في الآية على الإنذار دون ذكر البشارة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بصدد خطأ المشركين في إطار إثبات صحة رسالته وصدق القرآن الكريم ، فما هو إلا رسول منذر لهم من عذاب الله بسبب اعتقاداتهم الفاسدة .
يقول عز من قائل :
" **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** . " [7]
المقصور عليه (رحمة) ، قصر صفة على موصوف ، وهي حال من الضمير الخاطب (ك) متعلق بها الجار والمجرور(للعالمين) ، وقد جاءت صفة الرحمة نكرة لتدل على التعظيم والشمولية ، فهي ميزة خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته ، وملازمة له ، يقول عن نفسه : " إنما أنا رحمة مهداة . " [8]
جاء في الصفوة : "لم يقل الله تعالى : " رحمة للمؤمنين، وإنما قال رحمة للعالمين، فإن الله تعالى رحم الخلق بإرسال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى والنجاة من الشقاوة العظمى ، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى ، وعلمهم بعد جاهلية ، وهداهم بعد الضلالة ، فكان رحمة للعالمين ، حتى الكفار رحموا به حيث أخر عقوبتهم ولم يستأصلهم بالعذاب كالمسخ والخسف والغرق . "[1]
يقول تعالى : **" قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله . "** [2]
" قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله . " [3]
المقصور عليه واحد في التركيبين وهو مركب موصول (ما شاء الله) اجتمع في النظمين الشريفين لفظ الضر والنفع ، على أنه قدم النفع في الأول ، وقدم الضر في الثاني تبعا لاختلاف السياق ، و بين اللفظين (النفع والضر) طباق إيجاب، و التنكير فيهما يدل على العموم ، فالرسول عليه الصلاة والسلام لا يملك جلب نفع ولا دفع ضر إلا بمشيئة الله ، فكيف به يعلم وقت الساعة أو يستطيع أن يقدم أو يؤخر العذاب ، والنصان في بيان حقيقة الرسول ، فهو بشر اصطفاه الله لتبليغ الرسالة .
يقول تعالى : **" وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه . "** [4]
المقصور عليه جملة فعلية فعلها مضارع متعد إلى مفعول مركب موصول ، مقترن بلام التعليل التي تنصب المضارع بأن المضمرة بعدها جوازا ، والجملة الفعلية مفعول لأجله دالة على الاستمرار (لتبين) ، أي ما أنزلنا عليك القرآن يا محمد إلا لتبين للناس ما اختلفوا فيه من الدين والأحكام ، وهذا من التبليغ .
ب- ما يختص بعيسى عليه السلام : **" ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** . " [5]

---

[6] –الأحقاف.8

[7] –الأنبياء 106.

[8] –أخرجه الحافظ بن عساكر .

[1] – محمد علي الصابون المرجع السابق ، ص 277 .

[2] –الأعراف 188 .

[3] – يونس 49 .

[4] – النحل 64 .

الآية واردة في نفي الإلهية عن عيسى عليه السلام ، المقصور عليه (رسول) ورد خبرا للمبتدأ في المستثنى المفرغ ، أي ما عيسى عليه السلام إلا رسول كالرسل الخالية الدين تقدموه خصه الله تعالى ببعض الآيات الباهرات إظهارا لصدقه كما خص بعض الرسل .[6]

ج- تراكيب عامة لا تخص رسولا بعينه ، وإن كان بعضها في إطار القصص ، يقول تعالى : **" وما على الرسول إلا البلاغ المبين . "** [7]

تركيب اسمي جاء فيه المقصور عليه مبتدأ مؤخرا (البلاغ) الموصوف بالمبين لاقترانه بالآيات والمقصور مركب جر (على الرسول) ، واللام هنا ليست للعهد وإنما للجنس ، أي كل الرسل مهمتهم تبليغ أوامر الله وليس عليهم هداية الناس (هداية تأثير) ، قال الطبري : " المبين الذي يبين لمن سمعه ما يراد به ، ويفهم منه ما يعني به . " [8]

ولا يختلف هذا التركيب عن سبقيه إلا في كون المقصور ضميرا يدل على جماعة الرسل : **" وما علينا إلا البلاغ المبين . "** [9]

الآية في إطار قصة أهل القرية الذين كذبوا الرسل ورموهم بالافتراء في دعوى الرسالة ، فأجاب الرسل : بأننا مرسلون وليس علينا إلا تبليغكم رسالة الله تبليغا واضحا جليا لا غموض فيه تشهد عليه آيات باهرة .

" وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين " [1]

(المرسلين) جمع الرسل ، إن وظيفة الرسل التبليغ بالبشارة والنذارة ، لا التصدي للمجادلة لأنها لم يقصد منها طلب الرشد ، وإحقاق الحق بل الغاية منها إبطال الحق .

" وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبن لهم " [2]

المقصور عليه مركب جر (بلسان قومه) ، وهذا معلل بتبيين شريعة الله وإفهام مراده ، لتتم الغاية من الرسالة .

" وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله "[3]

المقصور عليه جملة فعلية فعلها مضارع " لأن يطاع " ، اليوم وغدا لا توجد قرينة تخصصه للحال أو الاستقبال متعلق به مركب جر لا تتم الدلالة إلا به ، آي بأمر الله تعالى وليس لشخص الرسول ، لأن طاعة الرسول لله ومعصيته لله :**" من يطع الرسول فقد أطاع الله "**[4]

" وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله . "[5]

المقصور عليه مركب جر (بأذن الله) ، وهو بؤرة الخطاب الرباني الدال على صدق الرسالة وأنها من عند الله فليس لرسول أن يأتي بشيء إلا بأمر الله .

" وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق . "[6]

---

[5] – المائدة 77 .

[6] – محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 358/1 .

[7] – العنكبوت 17 .

[8] –محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 455/2 .

[9] – يس 16 .

[1] – الأنعام 49 .

[2] – إبراهيم 5 .

[3] – النساء 63 .

[4] – النساء 79

[5] – الرعد 39 .

[6] – الفرقان 20 .

جاء المقصور عليه (إنهم ليأكلون ...) جملة اسمية مؤكدة بمؤكدين : " إنا " ، " اللام في الفعل " دلالة على الإنكار الشديد ، والخطاب الشريف صريح في إخراج الرسل من التأليه والتقديس لا تعريتهم من بشريتهم ، وفي التفسير : " وما أرسلنا قبلك يا محمد أحدا من المرسلين إلا وهم يأكلون ويشربون ويتجولون في الأسواق للتكسب والتجارة ، فتلك هي سنة المرسلين من قبلك ، فلم ينكرون ذلك عليك " ؟ [7]

ويلاحظ أن ما بعد إلا جملة اسمية تدل على ثبات الأمر وعدم التحول .

" وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء . "[8]

جاء ما بعد إلا متعددا ، خبر كان المحذوفة واسمها (إلا كان الكلام وحيا) مرتبط مع ما بعده بأداة الربط " أو " حرف عطف ، فجاء الأول مركب جر (من وراء حجاب) متعلق بمحذوف ، وجاء الثاني جملة فعلية (يرسل) والمقصود بالرسول هنا (الملك) ، جاء في التسهيل : بين تعالى في الآية أن كلامه لعباده على ثلاثة أوجه : أحدهما الوحي بطريق الإلهام أو المنام ، والأخر أن يسمعه كلامه من وراء حجاب ، والثالث بواسطة الملك وهذا خاص بالأنبياء ، والثاني خاص بموسى ومحمد عليه الصلاة والسلام ، إذ كلمه الله في ليلة الإسراء . [1]

كل هذه التراكيب تلتقي في دلالتها على تبيين وظائف الرسل الأساسية من : تبليغ وتذكير وتبشير وإنذار كونهم عباد أنعم الله عليهم وخصهم بحمل الرسالة ، وإن اختلفت تركيبا من حيث أداة النفي لا وما التي اقترنت بالواو تارة وبغيره تارة أخرى ، كما أن التركيب اقترن بالفعل الناقص ، وبفعل الإرسال ، وبفعل الإنزال ، وهكذا ، بل وجاء التركيب مقترنا بالاستفهام :كقوله تعالى :

" فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ."[2]

استفهام يحمل معنى النفي ، وهو استفهام إنكاري ، أي ليس على الرسل إلا التبليغ، وأما أمر الهداية والإيمان فهو لله وحده .

ويقول تعالى أيضاً : **" قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولاً "**[3].

أي قل يا محمد تعجباً من فرط كفرهم وعنادهم ، سبحان الله هل أنا إله حتى تطلب مني أمثال هذه المقترحات : " تفجير الأرض ينابيع ، تفجيرها أنهاراً ، إسقاط السماء قطعاً قطعاً ، الإتيان بالله والملائكة ... " ما أنا إلا رسول من البشر بعثني الله إليكم ، فلم هذا الجحود و العناد ؟

واقترن التركيب أيضاً بإن . قال تعالى :

" إن هو إلا نذير مبين . "[4]

" إن أنا إلا نذير وبشير. " [5]

" إن أنت إلا نذير. " [6]

---

[7] – محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 358/2 .

[8] – الشورى 48 .

[1] – محمد علي الصابوني، المرجع السابق، 187/3، انظر مختصر ابن كثير 311/3

[2] – النحل 35 .

[3] – الإسراء 93 .

[4] – الأعراف 184 .

[5] – الأعراف .188

[6] – فاطر 23 .

هذه التراكيب وردت جملاً اسمية المقصور فيها ضمير ، غائب ، متكلم مخاطب ، وكلها تصب في القالب الدلالي نفسه ، كما اقترن التركيب بلن ، يقول تعالى : **" ولن أجد من دونه ملتحداً إلا بلاغاً من الله ورسالته . "** [7]

3 - موقف المشركين والكفار و المنافقين من الرسل والرسالة : في هذا الحقل الدلالي تواترت غير ما آية ، بعضها ورد في محمد صلى الله عليه وسلم و بعضها في من سبقه من الرسل ، و من ذلك :

أ-ما يتصل مباشرة بمحمد صلى الله عليه وسلم :

"هل هذا إلا بشر مثلكم . "[8]

تركيب استفهامي أشرب معنى النفي ، هل جاءت بعدها جملة اسمية ، والسياق يفيد أن معناها التحقير ، " و أسروا النجوى الذين كفروا هل هذا إلا بشر مثلكم " .

المقصور عليه (بشر) خبر للمبتدأ اسم الإشارة ، مقترن بصفة (مثل) أي قالوا فيما بينهم خفية : ما محمد الذي يدعي الرسالة إلا شخص مثلكم .

" ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ." [9]

تركيب اسمي شأنه شأن التركيب السابق ، إلا أن المقصور عليه جاء لفظ (رجل) أي من البشر أضافوا إليه بيان العلة التي جاء من أجلها في نظرهم ، وهو منعهم عما كان يعبد أسلافهم من الأوثان والأصنام .

" وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزؤاً "[1]

الآية في إطار ذكر طرق من استهزاء المشركين بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم يقتصروا على تكذيبه بل زادوا عليه الاستهزاء و الاحتقار ، إذ التركيب مرتبط بما بعده : أهذا الذي يذكر آلهتكم ، و هم بذكر الرحمن هم كافرون . وهو استفهام إنكاري يتضمن تعجباً ، أي هذا الذي يسب آلهتكم ويسفه أحلامكم ؟

"و إذا رأوك إن يتخذونك إلا هزؤا " [2]

---

[7] – الجن 23–23 .

[8] – الأنبياء 3 .

[9] – سبأ 43 .

[1] – الأنبياء 36 .

[2]– الفرقان 41 .

المقصـور عليـه فـي التـركيبين (هـزءاً) مفعـول ثـان لفعـل الصـيرورة والتحويل

(اتخذ) وكلاهما يليه تركيب يفسر الاستهزاء : " أهذا الذي بعث الله رسولاً ؟ فهم يقولون بطريق التهكم و الاستهزاء : أهذا الذي بعثه الله إلينا رسولاً ؟

وقد ورد في نزول الآية الأولى (آية الأنبياء) أن سبب نزولها : مر النبـي صـلى الله عليه وسلم على أبي سفيان وأبي جهل وهما يتحدثان ، فلما رآه أبو جهل ضـحك وقـال لأبـي سفيان : هذا نبي بن عبد مناف! ؟ فغضب أبو سفيان وقال: ما تنكر أن يكون لعبد مناف نبي ؟ فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي جهل وقال له : ما أراك منتهياً حتى يصيبك ما أصاب عمك الوليد بن المغيرة فنزلت الآية .

ب-ما يتصل بغير النبي صلى الله عليه وسلم من الرسل ، وذلك في سياق القصـص ليتأسـى بهم الرسول صلى الله عليه وسلم في صبره ، يقول تعالى :

" ما هذا إلا بشر مثلكم . "[3]

السياق يشير إلى قوم نوح : " ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ... فقـال الملأ الـذين كفروا من قومه ... " ، أي ما هذا الذي يزعم أنه رسول إلا رجل من البشر يريد أن يطلب الرئاسة و الشرف بدعواه النبوة ، جاء في الصفوة : " ... و أعجب بضلال هؤلاء استبعدوا أن تكون النبوة لبشر ، وأثبتوا الربوبية لحجر . "[4]

" ما هذا إلا بشر مثلكم . "[5]

السياق يدل أن الخطاب من قوم هود : (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين فأرسلنا فيهم رسولاً منهم ، يقول المفسر : " أي وجدنا من بعد قوم نـوح قوم آخـرين يخلفونهم وهم قوم عاد ... أي أرسلنا إليهم رسولاً من عشيرتهم وهو هود عليه السلام . "[6]

" ما أنت إلا بشر مثلنا . "[7]

التركيب ورد في قوم صالح : " ... كذبت ثمود مرسلين ، إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ، إني لكم رسول أمين ... " ، أي لست يـا صـالح إلا رجـلاً مثلنـا ، فكيـف تـزعم أنـك رسول الله ؟

" ما أنت إلا بشر مثلنا . "[8]

السياق يدل على قوم شعيب : " إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ، إني لكم رسول أمين " ، و المقصود من كلامه لست يا شعيب إلا إنسانا مثلنا و لست برسول .

" فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه . " [1]

إن التركيب يحمل قرينة دلالة الخطاب على إبراهيم عليه السلام ، وذلك ما تشير إليه لفظـة (حرقوه) ناهيك من أن السياق الذي يبدأ بقولـه تعـالى : " و إبـراهيم إذ قـال لقومـه أعبـدوا الله اتقوه ذلك خير لكم إن كنـتم تعلمـون ... " ، فأجـابوه بقـولهم : اقتلـوه أو حرقـوه بالنار لتستريحوا .

" قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا . " [2]

---

[3] – المؤمنون 24 .

[4] – محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 307/2 .

[5] – المؤمنون 33 .

[6] – محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 308/2 .

[7] – الشعراء 154 .

[8] – الشعراء 186 .

[1] – العنكبوت 23 .

[2] – إبراهيم 13 .

لا يكتفي التركيب القصري في النص الشريف بهذا الحقل الدلالي على تخصيص رسول بعينه ، إنما يأتي الخطاب بشيء من العموم ، فالمتتبع لسياق التركيب يجده يؤكد هذا ، حيث يقول تعالى : " ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد و ثمود و الذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم و قالوا : " إنا كفرنا بما ارسلتم به ... " ، قال المفسرون : " وتوضيحه أنهم لما سمعوا كلام الأنبياء عجبوا منه و ضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك فوضع يده على فيه " [3]إلى أن قالوا لستم إلا بشراً مثلنا لا فضل لكم علينا.

" قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا و ما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ."[4]

التركيب الشريف ورد في سياق القصص و ذلك في قصة أهل القرية :

" واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ... " ، أي أنتم بشر مثلنا كيف أوحى الله إليكم ؟ و لم ينزل الله شيئا من الوحي و الرسالة فأنتم قوم تكذبون بادعائكم الرسالة .

" و كذلك ما أتى الذين من قبلكم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون . "[5]

فما هنا إلى جانب دلالتها على النفي بمعنى لم ، تتضمن معنى الإطلاق و استغراق الزمن أي في العصور السابقة ، و من يدل على عامة الرسل و هذا تسلية للرسول عليه الصلاة و السلام ، فلا تحزن يا محمد لما يقولون عنك إنك ساحرا و مجنون ، فكذلك قيل للرسل من قبلك .

" إن كل إلا كذب الرسل ." [6]

يشمل التركيب أمما كثيرة ، ذلك ما يستشف من السياق إذ يقول تعالى : " كذبت قبلهم قوم نوح و عاد و فرعون ذو الأوتاد و ثمود و قوم لوط و أصحاب ليكة أؤلئك الأحزاب ."

ذكرت الآية قوم نوح و قوم هود (عاد) وقوم فرعون و قوم صالح (ثمود) و قوم لوط و قوم شعيب ، كل هؤلاء كذبوا رسلهم الذين أرسلوا إليهم . فالمقصور (كل) لفظ العموم ، والمقصور عليه جملة فعلية فعلها ماض (كذب) خبر للمبتدأ و هو متعد إلى مفعول الرسل .

" إن أنتم إلا مبطلون ."[1]

" إن أنتم إلا في ضلال كبير ."[2]

التركيب الأول تأكيد على العناد ، و رد المقصور ضمير جماعة المخاطبين (أنتم) أي الرسل و المقصور عليه (مبطلون) خبر مفرد مشتق (اسم فاعل) من أبطل ، و الباطل عكس الحق ، أي ما أنت يا محمد و أصحابك إلا قوم مبطلون تدجلون علينا وتكذبون ، تريدون بهذا إفساد عبادة آبائنا و إلغائها .

و التركيب الثاني إمعان في التكذيب و هو تتمة كلام الكفار حين سألتهم الزبانية ، ألم يأتكم نذير ؟ سؤال تقريع وتوبيخ ، وهو بؤرة الخطاب الرباني ، أي ما أنتم يا معشر الرسل إلا في بعد عن الحق و في ضلال واضح عميق ، فالمقصور عليه تركيب جر (في ضلال كبير) خبر للمبتدأ الضمير (أنتم) .

---

[3] – محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 92/2 .

[4] – يسن 14 .

[5] – الذاريات 52 .

[6] – ص 13 .

[1] – الروم 57 .

[2] – الملك 9 .

" وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ."[3]

" و ما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون ."[4]

الفرق بين التركيبين الشريفين في الشكل ، الأول جاء بلفظة رسول و الثاني بلفظة نبي ، وذلك لمناسبة السياق ، إذ التركيب الأول سياقه العام : " وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ... ."

و التركيب الثاني سياقه العام : " و كم أرسلنا من نبي في الأولين ... " ، ولا غرو في ذلك فمن الأنبياء رسل كلفهم الله بتبليغ الخلق ، و المعنى أنهم كلما جاءهم رسول أو نبي مرسل إلا قوبل بالاستهزاء و التكذيب ، إلا أن الأول حسب السياق في مقام التحسر عليه يقول البيضاوي : " إنهم أحقاء بأن يتحسروا على أنفسهم أو يتحسر عليهم ، فإن الأمر لفخامته و شدته بلغ إلى حيث إن كل من يأتي منه التلهف إذا نظر إلى حال استهزائهم بالرسل تحسر عليهم ، وقال : يالها من حسرة وخيبة على هؤلاء المحرمين ، حيث بدلوا الإيمان بالكفر ، والسعادة بالشقاوة ."[5]

وفي الآية تعريض بكفار قريش الذين كذبوا سيد المرسلين .

أما التركيب الثاني فيأتي في مقام التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا تحزن يا محمد فأنه وقع للرسل ما وقع لك .

المقصور عليه في كليهما جملة فعلية فعلها ناسخ (كان) ويدل هنا على الاستمرار والديمومة ، فقد كانوا ولا يزالون .

هكذا نجد كل هذه التركيب وإن اختلفت بنية حيث إن بعضها وهو قليل تركيب فعلي ، ورد بفعل الإتيان ، أو الإتباع ، أو الرؤية بصرية كانت أو قلبية ، أو بفعل الاتخاذ وبعضها تركيب اسمي جاء بعد النفي فيه : اسم إشارة ، ضمير رفع هو ، أنت ، أنتم .

والمقصور عليه : بشر ، رجل ، موصوف تارة بالسحر، المثلية ، الاستهزاء الباطل ، الضلال ، الجنون ... ، كما ورد النفي فيها مرة بـ " ما " المجردة من الواو و المقترنة بها وأخرى بـ " إن " .

إلا أن هذه التراكيب تلتقي كلها في حقل دلالي واحد هو موقف المشركين والكفار المعاند والمنكر للرسالة والشرائع السماوية ، وجوهر هذا العناد هو استبعادهم أن يبعث الله رسولا إلى الخلق من البشر : **" وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبعث الله بشرا رسولا "** ؟ [1]

هذا ما يقرره ويؤكده التركيب القصري المبارك ، ولذا رموا الرسل بالافتراء والضلال والباطل والسحر : **" إن تتبعون إلا رجلا مسحورا. "** [2]

اقترحوا أن يكون الرسول ملكا لا بشرا ، أو تكون الرسالة خاصة بذوي الجاه و الثراء : " رؤساؤهم ، قادتهم ، جبابرتهم " ولذلك نجد أن أول من وقف في وجه الرسالة خاصة القوم وكبراؤهم وأغنياؤهم : **" ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة و إنا على آثارهم مقتدون . "**[3] ، وفي آية سبأ : **" ... إنا بما أرسلتم به كافرون ."** [4]

---

[3] – يسن 29 .

[4] – الزخرف 6 .

[5] – محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 12/3 .

[1] – الإسراء 94 .

[2] – الفرقان 8 .

[3] – الزخرف 22 .

[4] – سبأ 34 .

رد عليهم الله سبحانه وتعالى بالدليل الباهر والحجة القاطعة والبرهان الدامغ الذي يفصم ظهر الباطل وذلك ما بينه في الحقل الدلالي السابق .

4 - **موقف المشركين من القرآن الكريم المعجزة الخالدة وشبها تهم حوله :** حيث تفننوا بالطعن فيه والتكذيب بآياته ، فتارة زعموا أنه أساطير الأولين ، و أخرى أنه إفك وافتراء واختلاق محمد صلى عليه وسلم أعانه عليه بعض أهل الكتاب ، وثالثة زعموا أنه سحر فأعرضوا عنه ، ومن الآيات الواردة في ذلك :

" إن هذا إلا أساطير الأولين . " [5]

ينعت المشركون القرآن بخرافات وأباطيل الأولين ، وقد تواتر هذا التركيب في القرآن الكريم عدة مرات .

" إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ." [6]

المقصور عليه اسم مفرد (إفك) ، والإفك هو الكذب ، اقترن بجملة بفعلية صفة (افتراه) أي اختلقه ، عطف عليه جملة فعلية (أعانه) أي ساعد الرسول صلى وسلم على هذا الاختلاق قوم آخرون ، قيل من أهل الكتاب . [7]

وفي تركيب آخر يختلف عن هذا في أداة النفي وفي صيغة وصف المقصور عليه ففي الأول قرينة النفي " إن " ، وفي هذا "ما " ، والمقصور عليه في الأول موصوف بـ "إفتراه " وفي الثاني موصوف بـ مفترى ، وهذا من باب التفنن في الأوصاف والنعوت :

" ما هذا إلا إفك مفترى ." [8]

" إن هذا إلا اختلاق ." [9]

فالافتراء والاختلاق والإفك شيء واحد ، أي ما هذا القرآن إلا كذب مختلق .

" إن هذا إلا سحر يؤثر ." [10]

" إن هذا إلا سحر مبين ." [1]

تراكيب اسمية ما بعد النفي فيها اسم إشارة (هذا) ، يدل على نعتهم للقرآن الكريم " فهذا سحر " تشبيه بليغ ، النفي والاستثناء تأكيد لهذا الخطاب ، في الأول المقصور عليه (سحر) وصف(بيؤثر) ، وهو في سياق قصة الوليد بن المغيرة ، ذلك الشقي الفاجر و الذي سمع القرآن وعرف انه كلام الله ، ولكن على سبيل الزعامة وحب الرئاسة والتكبر يزعم أن القرآن من قبيل السحر الذي تعرفه البشر ، قال المفسر : " ما هو إلا كلام المخلوقين يخدع به محمد القلوب ويؤثر فيها كما يؤثر السحر بالمسحور." [2]

ويقول المغيرة على لسان الآية :**" إن هذا إلا قول البشر ."** [3] أي فليس هذا بكلام الله وما هو إلا كلام البشر .

قال الألوسي : " هذا كالتأكيد للجملة الأولى لأن المقصود منها نفي كونه قرآنا أو من كلام الله ، ولذلك لم يعطف عليها بواو ، وفي وصف أشكاله واستنباطه هذا القول السخيف استهزاء به وإشارة إلى أته عن الحق بمعزل ، ويظهر من تتبع كلام الوليد أنه إنما قال ذلك

---

[5] – الأنعام 26 .

[6] – الفرقان 4 .

[7] – محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 353/2 .

[8] – سبأ 43 .

[9] – ص 6 .

[10] – المدثر 24 .

[1] – سبأ 43 .

[2] – محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 477/2 .

[3] – المدثر 25 .

عنادا وحمية جاهلية ، لا جهلا بحقيقة الحال ، ألا تري أن ثناءه على القرآن ونفيه عنه جميع ما نسبوا إليه من الشعر والكهانة والجنون . " [4]

والتركيب الثاني المقصور عليه (سحر) خبر لاسم الإشارة (هذا) وصف بالمبين أي ما هذا القرآن إلا سحر واضح لا يخفى على ذي عقل ، قال الزمخشري : " وفيه تعجيب من أمرهم بليغ ، حيث بتوا القضاء على أنه سحر ، ثم بتوا على أنه بين ظاهر ، كل عاقل تأمله سماه سحر ، وفي قوله : لما جاءهم المبادهة بالكفر من غير تأمل ." [5]

5 - الرد على هذه المزاعم الكاذبة والأوهام الباطلة بإقامة الحجة والبرهان: يقول عز من قائل : **" طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ." [6]**

" إن هو إلا ذكرى للعالمين . " [7]

" إن هو إلا ذكر للعالمين ." [8]

" إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ." [9]

" وما هو إلا ذكر للعالمين . " [10]

هذه التراكيب على اختلافها، تتفق دلالة ، ففي الأول معنى النداء ، النفي فيه جاء مقترنا بفعل "أنزلنا "،في استثناء مفرغ تحقق به أسلوب القصر لنفي الشقاء عن الرسول بسبب إنزال القرآن وإثبات التذكرة التي هي خطورة المنسي في الذهن ، فإن التوحيد مستقر في الفطرة ، و الإشراك مناف لها :" كل مولود يولد على الفطرة " ،
و الدعوة إلى الإسلام تذكير لما في الفطرة ، قال المفسر : " أو تذكير لملة إبراهيم عليه السلام . "[11]

التراكيب الباقية تركيب اسمي يختلف من حيث أداة النفي ، ففي آية القلم جاءت "ما" و فيما عاداها "إن" . آية يس تختلف معهم في المقصور ورد اسم إشارة و ما عاداها ضمير الغائب " هو" ، كما يزيد هذا التركيب عن التراكيب الباقية " و قرآن مبين " بعد المقصور عليه . هذا كله راجع إلى اختلاف السياق فلوا أخذنا آية يس نجد أنها وردت في سياق نفي الشعر عن الرسول صلى الله عليه وسلم : " و ما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين " ، أي ما هذا الذي يتلو عليكم محمد إلا عظة وتذكرة من الله لعباده و قرآن واضح و ساطع لا يلتبس به الشعر بحال من الأحوال .

أما سياق آية القلم ففي رمي الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنون : " ... و يقولون إنه لمجنون ، وما هو إلا ذكر للعالمين " ، فكيف ينسب من نزل عليه إلى الجنون ؟
لكن التراكيب تلتقي في المقصور عليه و تجمعها مادة (ذكر) و إن اختلفت في صيغها ، ففي الآية الأولى وردت بلفظ تذكرة و معناها ما تستذكر به الحاجة ، و ما يدعو إلى الذكرى و العبرة . وفي التركيب الثاني وردت بلفظ (ذكرى) و التي هي الموعظة ، و في التراكيب الباقية جاءت بلفظ (الذكر) و الذي من معانيه : القرآن ، التفكر ، العظة.
فالملاحظ أن جميع هذه التراكيب تلتقي في العبرة والعظة ، و هي تشير مجتمعة إلى الوظيفة الأساسية للخطاب الشريف ، وهي وظيفة التذكير ، فأساس بناء الفرد في الحياة هو أن يقف عند حدود الله و لا يتجاوزها ، والأمة الإسلامية تعرف بأمة النص ، ذلك النص الذي يزيل غفلتها ، و يجعلها تتذكر كلما حاولت أن تنسى فترجع إلى الصواب .

---

[4] – الألوسي ، روح المعاني ، 124/29 .

[5] – الزمخشري ، المرجع السابق ، 464/3 .

[6] – طه 1-3 .

[7] – الأنعام 91 .

[8] – يوسف 104 ، ص 85 ، التكوير 27 .

[9] – يسن 68 .

[10] – القلم 52 .

[11] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 185/16 .

و من هنا نقول إن هذه التراكيب تصب في حقل دلالي واحد هو إثبات صحة القرآن الكريم و تبيين حقيقته ، و دحض الشبهات عنه ، كيف لا وهو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة ، أنزله الله لهداية الخلق ، وبلسماً شافياً للأمراض الإنسانية .

6 - **ملائمة الأحكام الشرعية للطاقة الإنسانية :** ذلك ما وقفنا عليه ونحن نستقرئ الخطاب في التراكيب التالية :

" لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. " [1]

" لا نكلف نفساً إلا وسعها. " [2]

" لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها . " [3]

كل هذه التراكيب فعلية ، فعلها مضارع (نكلف ، يكلف) لأن التكليف يكون بعد بلوغ الرشد والتمييز ، اقترن فيها النفي " لا " بفعل التكليف ، مادة (كلف) و من معانيها : أمر ، فرض ، أوجب . وكل هذا لا يخلو من مشقة لما فيه من مسؤولية و مهمة ، و التكليف واقع من الله سبحانه وتعالى يعبر عليه الاسم الظاهر (الله) لفظ الجلالة ، في التركيب الأول و الثالث ، ونون المضارع الدالة على التعظيم في الفعل (نكلف) ، والتكليف واقع عن النفس بلفظ التنكير (نفساً) ليدل على العموم .

و المقصور عليه واحد في المثالين الأول و الثاني (وسعها) الدالة على القدرة و الطاقة أي لا يكلف الله أحداً إلا بمقدار طاقته واستطاعته ، و في النظم الأخير جاء المقصور عليه مركب موصول (ما أتاها) ، اسم موصول " ما " ، صلته جملة فعلية فعلها (أتى).

هذا يقتضي اختلافاً في السياق ذلك أن النظم الشريف ورد في سياق الرزق و الإنفاق المقترن بفعل (أتى) : " ... و من قدر عليه رزقه فالينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا . "

و التراكيب الأخرى ورد كل في سياقه ، فآية النساء جاءت في إطار الوصايا العشر ، و النظم الشريف (لا نكلف نفساً إلا وسعها) اقترن بالكيل و الميزان : " ... و أوفوا الكيل و الميزان بالقسط ... " ، قال البيضاوي أي ما يسعها و لا يعسر عليها ، و ذكره بعد وفاء الكيل بأن إيفاء الحق عسر ، فعليكم بما في وسعكم و ما وراءه معفو عنكم " [1]

و من هذا كله يمكن القول ان هذه التراكيب الشريفة تلتقي في حقل دلالي واحد هو ملائمة الأحكام الشرعية لقدرة واستطاعة الإنسان ، رحمة من الله بعباده ، هكذا جاء التركيب القصري ليؤكد هذه الحقيقة .

7 - **الجزاء من جنس العمل :** هذا الحقل الدلالي يتأكد في هذه التراكيب الشريفة :

" هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ." [2]

" هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ." [3]

" هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ." [4]

" هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ." [5]

" وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ." [6]

---

[1] – البقرة 285 .

[2] – الأنعام 153 ، الأعراف 41 ، المؤمنون 63 .

[3] – الطلاق 7 .

[1] – البيضاوي ، المرجع السابق ، ص 184 .

[2] – الرحمن 59 .

[3] – الأعراف 147 .

[4] – النمل 92 .

[5] – يونس 52 .

[6] – الصافات 39 .

" من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ." [7]

" فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون "[8]

أول ما يلاحظ المتتبع للنظم الشريف في التراكيب السابقة هو اقتران النفي لجملة فعلية فعلها مضارع (فعل الجزاء) ، باستثناء التركيب السادس جاء تركيبا فعليا فعله ماض، فمن قدم المعروف و الإحسان في الدنيا استحق الإنعام والإكرام فضلاً من الله ، فالجملة الفعلية فيها تدل على التجديد والتحول تبعاً للسيئة وحجمها ، فالجزاء من جنس العمل .

في أربعة من هذه التراكيب جاءت قرينة النفي " هل " حرف استفهام أشرب معنى النفي ، و يفيد التعيير و الشماتة و العدالة ، ذلك ما نجده في سياق الآية : " و من جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار ، هل تجزون إلا ما كنتم تعملون . "

و في تراكيب خمس جاء المقصور عليه مركب موصول صلته (كان) التي تدل على الاستمرار في الفعل (العمل و الكسب في الماضي) .

8 - إنكار المشركين للساعة والبعث : يقول تعالى :

" إن هي إلا حياتنا الدنيا ." [9]

" إن هي إلا موتتنا الأولى ، و ما نحن بمنشرين . " [10]

" وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا . "[11]

التراكيب الثلاثة تلتقي في دلالة أن لا بعث ولا نشور و لا حياة أخرى ، قال ابن كثير: " هذا قول الدهرية من الكفار و من وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد ."[1]

9 - **أحقية الساعة والتأكيد على ثبوتها و ثبوت البعث :** اشترك في الدلالة على هذا المعنى تراكيب منها :

" وما امرنا إلا واحدة كلمح بالبصر . " [2]

" لا يجليها لوقتها إلا هو. " [3]

" يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . " [4]

" و ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة . "[5]

" هل ينظرون إلا الساعة ." [6]

" فهل ينظرون إلا الساعة "[7]

" ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار . "[8]

---

[7] – الأنعام 161 .

[8] – القصص 84 .

[9] – الأنعام 30 .

[10] – الدخان 33 .

[11] – الجاثية 23 .

[1] – ابن كثير، مختصر تفسير بن كثير، تلخيص و تحقيق محمد علي الصابوني، ط 7، دار القرآن الكريم بيروت 3،1981/311 .

[2] – القمر 50 .

[3] – الأعراف 187 .

[4] – الشعراء 88-89

[5] – ص 14 .

[6] – الزخرف 66 .

[7] – محمد 19 .

[8] – يونس 45 .

" كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار . "[9]

" كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها . " [10]

فأنت ترى أن كل هذه التراكيب تشترك في الدلالة على الساعة و الحياة الآخرة على الرغم من تباينها من حيث المبنى ، على مستوى أولاً قرينة النفي : " ما " ، " لا " ، " هل" " لم " . ما المقترنة بالاسم (أمرنا ، و الذي يدل على الثبات و التأكيد ، ما المقترنة بالفعل المضارع الدال على الاستقبال (ينظر) . لا التي يليها الفعل المضارع (يجليها ، ينفع) الدالان على الاستقبال أيضاً . لم المقترنة بفعل المضارع و التي تقلب معناه للماضي (يلبث) . هل الاستفهامية المتضمنة معنى النفي الذي غرضه الإنكار و الوعيد وإظهار الندم . وألفاظ التراكيب على اختلافها : (أمرنا ، نجليها ، لا ينفع ، الساعة ، يلبس ، ما يوعدون ، يوم يرونها) . كلها تدل على وقوع الساعة و وجود البعث .

10 - نظرة القرآن إلى الحياة الدنيا : ذلك ما تواتر في التراكيب القصرية التالية :

" و ما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ." [11]

" فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ." [12]

" و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . " [13]

" وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب . " [14]

كل هذه التراكيب على اختلاف سياقاتها تتفق في دلالتها على حقارة الدنيا و تصغير شأنها و على زوالها و قلتها و تفاهتها مقارنة بالآخرة ، و كلها جاءت في صورة تشبيه بليغ : (الحياة الدنيا لعب ، قليل ، متاع الغرور ، لهو) .

و مما تجدر الإشارة إليه في هذه التراكيب أن في الآية الأولى المقصور عليه (لعب) عطف عليه اللهو ، أما في المثال الرابع فإن المقصور عليه (لهو) عطف عليه اللعب ، ففي آية الأنعام قدم الحق سبحانه اللعب على اللهو ، و في آية العنكبوت قدم اللهو على اللعب و قرينة النفي واحدة " ما " ، وجاءت في كليهما مقترنة بالواو ولكن النظمين اختلفا من حيث وجود اسم الإشارة في التركيب الثاني ، و سقوطه في التركيب الأول ، وهو يدل على أن المشار إليه هي الحياة الدنيا .

11 - الوعيد : ونجد ذلك تردد في التراكيب الشريفة التالية :

" إن كل إلا كذب الرسل . "[1]

" هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة ."[2]

" هل ينظرون إلا سنة الأولين . "[3]

" فهل ينظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ."[4]

" هل يهلك إلا القوم الظالمون . " [5]

---

[9] – الأحقاف 34 .

[10] – النازعات 45 .

[11] – الأنعام 33 .

[12] – التوبة 38 .

[13] – الحديد 19 ، آل عمران 185 .

[14] – العنكبوت 64 .

[1] – ص .13

[2] – الأنعام 159 .

[3] – فاطر 43 .

[4] – يونس 102 .

[5] – الأنعام 47 .

" أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ." [6]
" و لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ." [7]
" إن في صدورهم إلا كبر . " [8]
" ما يأكلون في بطونهم إلا النار ."[9]
" وما كيد الكافرين إلا في ضلال ." [10]
" إن الكافرون إلا في غرور. " [11]
" وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون . "[12]
" فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم . " [13]

فالدارس للتراكيب يجدها تحمل دلالة أساسية وهي قصص هؤلاء المعاندين الذين نبذوا الأحكام ، وما يتوعدهم به الله من وعيد ، هذه التراكيب التي تنوعت فيها قرينة النفي : " ما " ، " لا " ، " إن " ، " لا " ، " هل " و التي يقترن نفيها بالوعيد : " هل يهلك إلا القوم الظالمون . " استفهام إنكاري متضمن معنى النفي يراد به الوعيد ، أي ما يهلك بالعذاب إلا القوم الظالمون لأنهم كفروا وعاندوا ، و في قوله تعالى : " إن في صدورهم إلا كبر " الآية في إطار قصة موسى ، أي ما في قلوب هؤلاء المعاندين إلا تكبر وتطاول يمنعهم من اتباعك يا موسى و الانقياد إليك ، وفي قوله سبحانه : " و لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى . " الآية في وعيد المنافقين فكفرهم يمنعهم من قبول نفقاتهم ، وما هو مستلزم لهذا الكفر إتيانهم الصلاة وهو متثاقلون .

12 - عظمة الله وقدرته و بعض مظاهرها : يتضح ذلك من خلال هذه التراكيب الشريفة:

" و إن من شيء إلا يسبح بحمده ."[1]
" وما من دابة إلا على الله رزقها ."[2]
" ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ."[3]
" وما تحمل من أنثى و لا تضع إلا بعلمه . "[4]
" وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ."[5]
" وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم ." [6]
" وما النصر إلا من عند الله . "[7]

---

[6] – هود 16 .
[7] – التوبة 54 .
[8] – غافر 55 .
[9] – البقرة 173 .
[10] – غافر 25 .
[11] – الملك 20 .
[12] – العنكبوت 49 .
[13] – الأحقاف 24 .
[1] – الإسراء .44
[2] – هود 6 .
[3] – هود 56 .
[4] – فاطر 11 .
[5] – فاطر 11 .
[6] – الحجر 21 .
[7] – آل عمران 126 ، الأنفال 10 .

" إن الحكم إلا لله ."[8]
" ما من شفيع إلا من بعد إذنه . " [9]
" وما توفقي إلا بالله . "[10]
" وما من غائبة في السماء و الأرض إلا في كتاب مبين ." [11]
" وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة . "[12]
" وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ."[13]
" وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ."[14]
" وما يعلم تأويله إلا الله ." [15]

" وما يعلم جنود ربك إلا هو ."[1]

الدارس لهذه التراكيب تتضح له جليا أنها تلتقي في الدلالة علي قدرة الله تعالى وحاكميته في الكون ، وأن أي شيء في هذا الكون لا يتحرك إلا بإذنه وتحت سلطانه : " وما من دابة إلا على الله رزقها " ، أي رزقها على الله لا على غيره، قصر الرزق في الكون على الله مجاز عقلي في العرف باعتبار أن الله مسبب ذلك الرزق ومقدره . [2]

" وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم. "

أي ما من شيء ـ وقد وردت نكرة لتدل على العموم ـ من أرزاق العباد ومنافعهم إلا عند الله خزائنه ومستودعاته ، لا عند غيره ، وينزله سبحانه على حسب حاجة الخلق إليه ، وعلى حسب المصالح كما يشاء ويريد .

" وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها " ، ،، دابة ،، بالتنكير تدل على العموم أي كل ما يدب على الأرض ، ولآية في سياق دعوة هود لقومه ، والأخذ بمعنى الإمساك أي ممسك ، والناصية ما انسدل على الجبهة من شعر الرأس ، والأخذ بالناصية في مقام التمثيل ، إمساك الإنسان من ناصيته حيث يكون بيد آخذه فلا يستطع الانفلات ، أي ما من دابة إلا هو متصرف فيها ، يقول المفسر : " المقصود من ذلك أنه القاهر لجميع ما يدب على الأرض ، فكونه مالكا للكل يقتضي أن لا يفوته أحد منهم ، وكونه قاهرا يقتضي أن لا يعجزه أحد منهم ." [3] فما من شيء في الكون إلا هو في قبضته سبحانه وتحت قهره .

" وإن من شيء إلا يسبح بحمده ." أي ما من شيء في الوجود إلا ناطق بعظمة الله شاهد بوحدانيته ، جاء في الظلال : " إنه لمشهد كوني فريد حين يتصور القلب كل حصاة وكل حجر ، كل حبة وكل ورقة ، كل زهرة وكل ثمرة ، كل نبتة وكل شجرة ،

---

[8] – الأنعام 58 .
[9] – يونس 3 .
[10] – هود 88 .
[11] – النمل 88 .
[12] – لقمان 27 .
[13] – غافر .88
[14] – آل عمران 145
[15] – آل عمران 7 .
[1] – المدثر 31 .
[2] –محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر، 12 / 6 .
[3] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 12 / 101 .

كل حشرة وكل زاحفة ، كل حيوان وكل إنسان ، كل دابة على الأرض ، وكل سابحة في الماء والهواء ، ومعها سكان السماء ، كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه . " [4]

13 - **السلوك والمواعظ :** دلت على ذلك غير ما آية ، ومنها :

" وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ." [5]

" لا يمسه إلا المطهرون ." [6]

" ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ." [7]

" وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ." [8]

" ولا تقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن . " [9]

" ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ." [10]

كل هذه التراكيب - وغيرها كثير - تأتي في إطار الوصايا وتهذيب السلوك ، التي تؤدي إلى سعادة البشرية : " وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ . " أي لا ينبغي لمؤمن ولا يلائمه ، ولا يليق به أن يقتل مؤمنا إلا على وجه الخطأ ، لأن الإيمان زجر عن العدوان ، وفي التركيب الشريف إشارة إلى حرص الإسلام على نفوس المؤمنين ذلك ما تؤكده صيغة الجحود (ما كان) .

" ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ." " ولا تقربوا مال اليتم إلا بالتي هي أحسن ."

الآيتان وردتا في إطار الوصايا العشر ، أي لا تقتلوا النفس البريئة التي حرم الله إلا بما يوجب قتلها ، جاء في الحديث الشريف : " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة ." [1]

أما الآية الثانية فيفها نهي عن التصرف وأكل مال اليتم إلا بالمعروف .

وقوله عز من قائل : " ولا تجدلوا أهل الكتاب ... " فيه أمر بالتلطف في دعوة أهل الكتاب وغيرهم إلى الإيمان ، أي لا تناقشوهم في أمر الدين إلا بالطريقة الحسنى ، والبينة والحجة .

كل هذا يجعلنا نقول إذا كان التركيب القصري يتمتع بمرونة من حيث قبوله الصيغ الفعلية المختلفة ، والأشكال الاسمية في الصيغ الاسمية ، فإن تركيب القصر في النظم الشريف يتمتع أيضا بهذه المرونة ، من حيث أداؤه للحقول الدلالية المختلفة التي تعكس الوظيفة التبليغية والتذكيرية التي يبتغيها النص القرآني .

الأسرار البلاغية لتركيب القصر في طريق النفي والاستثناء :

إن التركيب القصري الشريف وهو يؤدي المعاني المختلفة التي يقصدها النص القرآني ، والتي أدرجناها تحت حقول دلالية ، يشع بأسرار ونكت بلاغية تستوقف الدارس وتشد انتباهه ومنها :

إن النفي والاستثناء يستعمل في أمور يجهلها المخاطب وينكرها ، أو فيما يكون مجالا للشك ، ومن ثمة فهو يحتاج إلى فضل تقرير وتوكيد ، وبيان ذلك لا يدرك إلا بالتعرف الواعي الفطن إلى طبيعة المعني ، واستقراء السياق ، يقول تعالى :

---

[4] – سيد قطب ، المرجع السابق ، 15 / 39 .

[5] – النجم .38

[6] – الواقعة 82 .

[7] – الأنعام 152 .

[8] –النساء 91 .

[9] – الأنعام 153 .

[10] – العنكبوت 46 .

[1] – محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 1 /428 .

" ... إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . " [2]

الظالمون يخاطبون بهذا قوما آمنوا ، وينكرون دعوى سحر الرسول صلى عليه وسلم ، ولذلك جاء القصر بطريق النفي والاستثناء .

" إن هذا إلا أساطير الأولين " [3]

الخطاب من المشركين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو في سياق وصفه سبحانه لحال المشركين حين استماع القرآن ، الرسول صلى الله عليه وسلم ينكر أشد الإنكار أن يكون ما يدعون إليه أساطير ، ويعتقد يقينا أنه حق لا ريب فيه ، فجاء القصر بطريق النفي والاستثناء .

" وأن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون . " [4]

المشركون ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، وعن الاستماع إلى القرآن ويبعدونهم عن ذلك ، بهذا الصنيع لا يهلك المشركون إلا أنفسهم ، ويعتقدون أنهم يهلكون الرسالة والقرآن ، بدليل اقتران المقصور عليه (أنفسهم) بنفي الشعور عنهم (وما يشعرون) لأنهم ينكرون أن الهلاك لأنفسهم ، ولهذا أتي الخطاب بهذا الطريق الحاد القوى (النفي والاستثناء) .

" ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ، وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون . " [1]

السياق العام للنظم الشريف ورد في تنازع اليهود والنصارى بشأن إبراهيم عليه السلام ، والتركيب في وصف دعوة اليهود بعض الصحابة إلى اليهودية ، ومن خلال التركيب الشريف نلحظ أن هؤلاء اليهود أبعد عن الاعتقاد أنهم يضلون أنفسهم ، فقد ودوا إضلال الصحابة وهم يعتقدون ذلك يقنا ، فجاء قول الحق سبحانه : "وما يضلون إلا أنفسهم " فقصر الضلالة الواقعة منهم على أنفسهم ، وهي أيضا مقترنة ، (بما يشعرون) المؤكدة لإنكارهم وجهلهم أنهم يضلون أنفسهم .

" فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذبا ." [2]

التركيب نظير قوله تعالى : **" ولا تزد الظالمين إلا تبارا . " [3]**

أي لا تزدهم على ما هم فيه من المساوي إلا الهلاك ، قيد سبحانه الزيادة بالعذب والهلاك أي ذوقوا يا معشر الكفار فلن نزيدكم على استغاثتكم إلا عذابا فوق عذابكم ، والتركيب في إطار الوعيد ، قال المفسر : " ليس في القرآن على أهل النار آية هي أشد من هذه الآية ، كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشد منه ." [4]

التركيب الشريف قرينة النفي به (لن) التي تفيد تأبيد النفي كما تفيد النفي في المستقبل ، و التركبب القصري يفيد التأكيد ، ولذا فإن دلالة القصر في النظم الشريف تفيد : سنزيدكم عذابا مؤبدا.

يقول الطاهر بن عاشور : " وفي هذا الأسلوب ابتداء مطمع بانتهاء مؤيس وذلك أشد حزنا وغما مما يوهمهم أن ما ألقوا فيه هو منتهى التعذيب حتى إذا ولج ذلك أسماعهم

---

[2] – الإسراء 47 .

[3] – الأنعام 26 .

[4] – الأنعام 27 .

[1] – آل عمران 62 .

[2] – النبأ 30 .

[3] – نوح 30 .

[4] – محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 3 / 509 .

فحزنوا له أتبع بأنهم ينتظرون عذابا أخر أشد فكان ذلك حزنا فوق حزن ، فهذا منوال هذا النظم وهو مؤذن بشدة الغضب . [5]

وقد قيل : " لا تلقاك هذه الأداة (النفي والاستثناء) إلا حيث تلقاك النبرة العالية والنغمة الحاسمة والتعبير الشديد . " [6]

" وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم . " [7]

النظم الشريف في سياق ذكر ضلالات أهل الكتاب واختلافهم في أمر الدين اختلافا كبيرا وإعراضهم عن قبول حكم الله ، أي وما اختلف اليهود والنصارى في أمر الإسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن علموا بالحجج النيرة والآيات الباهرة.

فلم يكن كفرهم عن شبهة وخفاء وإنما كان عن استكبار وعناد ، فكانوا ممن ضل عن علم . لذا جاء التركيب بهذه النبرة العالية والنغمة الحاسمة والتعبير الشديد .

وتركيب القصر هنا يفيد بيان علة اختلاف أهل الكتاب وهو يبطل في الوقت نفسه ما يتبادر من أسباب غير ذلك ، مع إظهار المقابلة بين حال الدين الذي هم عليه يومئذ من الاختلاف وبين سلامة الإسلام من ذلك . يقول المفسر : " وقد جاءت الآية في نظم عجيب يشمل معان منها : التحذير من الاختلاف في أصول الدين ، التنبيه على أن اختلاف أهل الكتاب حصل مع قيام أسباب العلم بالحق ، فهو تعريض بأنهم أساءوا فهم الدين ، و فيه إشارة إلى أن الاختلاف الحاصل في أهل الكتاب نوعان :

1. اختلاف كل أمة منهما فيما بينها وافتراقها فرقاً متباينة .
2. اختلاف كل أمة مع الأخرى في صحة دينها (و قالت اليهود ليست النصارى على شيء و قالت النصارى ليست اليهود على شيء .) .[1]

فأنت ترى أن جوهر الخطاب وبؤرته التركيب القصري الذي فيه الحق حذر ونبه معرضاً بأهل الكتاب .

المتتبع لآي النص القرآني يجد أنه يتمرد عن القاعدة البلاغية و يخرج عن الرتابة و المألوف ،ذلك أن " النفي و الاستثناء " لا يستخدم في أمر يجهله المخاطب ، أي يأتي على خلاف الأصل ، و يكون لذلك سر لطيف من أسرار التعبير القرآني ، وهذا ما يطلق عليه البلاغيون المقامات الافتراضية او التنزيلية لأن المخاطب ينزل منزلة من يجهل الأمر .

يقول الدكتور أبو موسى : " المقامات الافتراضية أو التنزيلية هي أحوال يفرغها المتكلم على المخاطب و صفات يضفيها عليه ، و ذلك لأنه في رصده وملاحظاته لأحوال من يسمعه أو يحاوره أو يوجه إليه كلامه ، لاحت له منه عوارض و مواقف لا تتسق مع حقيقة حاله ، ولا تكون مبنية إلا على أساس الغفلة عن واقع الحال . " [2]

" و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ."[3]

التركيب القصري في سياق غزوة أحد وما نال المؤمنين فيها من الهزيمة بعد النصر بسبب مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي إطار ما أشاع الكافرون من أن محمدا قد قتل . الصحابة رضوان الله عليهم استعظموا نبأ موت الرسول صلى الله عليه وسلم على الرغم من أنهم يعلمون أن عليه السلام رسول كغيره من الرسل ، يموت كما ماتوا ، زلزلوا بذلك زلزالا شديدا ، كان لصيحة (محمد قد قتل) و قع شديد على المسلمين ، إنها غفلة أصابتهم أنزلوا بها منزلة من يجهل هذه الحقيقة : أن محمدا سيموت كما مات الرسل قبله ، فما هو إلا رسول من عند الله جاء ليبلغ كلمة الله ، و الله باق لا يموت ، فخوطبوا خطابا

---

[5] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 30 / 42-43 .

[6] –محمد أبو موسى ، الدلالات ، ص 105 .

[7] – آل عمران 19 .

[1] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 196/3 - 198.

[2] –محمد أبو موسى ، المرجع السابق ، 110.

[3] –آل عمران 144.

قوياً بطريق النفي والاستثناء ، و هم يومئذ أصحاب فطرة سامية يحسنون سماع و فهم التراكيب .

إن التركيب القصري كما ترى جاء ليرد الأمور إلى نصابها ، يرجع المسلمين إلى صوابهم ، إنه وسيلة من وسائل التربية إنه لفتة إلى أنهم كانوا قد جهلوا في دينهم أمراً عظيماً (بشرية محمد) و أنه يجري عليه ما يجري على غيره من الرسل .

يقول صاحب الدلالات : " و العبارة أكثر امتلاء ، و أدخل في باب الاعتبارات و أجرى في مسالك البيان لأنها تفيض بجملة معان ، فيها عتاب عنيف ، وفيها استجهال و إشارة إلى غفلتهم ." [4]

" إن أنت إلا نذير ." [5]

الخطاب الرباني في سياق ضرب الأمثال للتفريق بين المؤمن و الكافر : " وما يستوي الأعمى و البصير و لا الظلمات ولا النور ... إن الله يسمع من يشاء ، وما أنت بمسمع من في القبور ، إن أنت إلا نذير ."

ما قبل الآية يشير إلى أن هناك بذل طاقة فوق المطلوب مما يوحي بشيء من محاولة تجاوز المستطاع أو الطاقة أو التكليف ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم محتاجاً إلى هذا اللفت لما شق على نفسه من أمر الدعوة ، ملحاً ومكرراً ومبالغاً في ذلك حتى صار حاله كأنه في غمرة إخلاصه لهداية القوم و إبلاغ الرسالة يغفل حدود طاقته و أنه لا يستطيع إلا أن يفرغ كلمة الحق في الأذان أما أثرها و قبول النفوس لها فذلك محال لم يدخل في إمكانه ، إنها هداية التوجيه و الإنقاذ و ليس له هداية التأثير ، و لذلك نزل الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة من يعتقد أنه يملك مع الإنذار القدرة على هداية القوم فقيل بهذا الطريق الحاسم : " إن أنت إلا نذير " وهو معنى معلوم عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس المقصود به فائدة الخبر و إنما مرمى الكلام هو تنبيه الرسول صلى الله عليه وسلم و لفته إلى أنه نذير فحسب ، وأنه ليست له طاقة فوق ذلك .

" إنك تلاحظ كيف امتلأت العبارة بما يلوح بالإنكار ، و أنها تسلك بهذه العبارة سبيلها إلى القلب ـ (النفي و الاستثناء) ـ وذلك ما لا يكون في الطريق المباشر كقولنا : أنت رسول لا غير، أنت نذير لا تتعدى ذلك إلى الهداية ، و أنها ترمي بمعان نلتقطها وراء السطور ، و ليست في متون الكلمات وهذا كله يجعلها أدخل في باب التأثير و أرفع قدر في باب البيان ." [1]

كل هذه اللطائف مؤداة بطريق " النفي و الاستثناء " ، ليس هذا فحسب بل إن القرآن في بعض تراكيب هذا الطريق لا يراعي حال المخاطب :

" فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم...وما من إله إلا الله ..." [2]

" وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه ، فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ." [3]

التركيب الأول قصر الإلهية على الله تعالى منظور فيه حال المخاطب لأنه كلام موجه إلى من يرفض هذه الحقيقة (وحدانية الله) و يجادل فيها و يناهض بالحجة والدليل ، فيه رد على النصارى في قولهم بالتثليث ، أي لا يوجد إله غير الله كما تزعمون. " ومثل هذا التركيب كثير، وهي في باب البلاغة ." [4]

---

[4] –محمد أبو موسى ، المرجع السابق ، 111-113.

[5] –فاطر 23 .

[1] –محمد أبو موسى ، الدلالات ، ص 113 .

[2] –آل عمران 60 – 61 .

[3] –الأنبياء 86 .

[4] –محمد أبو موسى ، الدلالات ، ص 107 .

أما التركيب الشريف الثاني " لا إله إلا أنت " فقد ورد في سياق القصص لتسلية الرسول صلى الله عليه و سلم ليتأسى بالأنبياء ، وهو في إطار محنة يونس .

من تتبع السياق نقف على دلالة التضرع ، أي أن يونس نادى ربه في الظلمات بأن لا إله إلا أنت يا رب ، و في الحديث : " ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له ." [5]

و من هنا نقول : إن في التركيب ضراعة متجهة إلى الله سبحانه وتعالى و ليس فيه مراعاة حال المخاطب ، وإنما يعكس النظم الشريف حال المتكلم و إحساسه بالذنب .

هكذا نرى أن القرآن هنا يخرج عن ما هو أصل في باب البلاغة (اعتبار الحال المخاطب) إلى اعتبار حال المتكلم ، و أن المعنى متقرر في نفسه مؤكد في ضميره ، لقوة الشعور بالمعنى و عمق الإحساس به .

وهناك مواقع (للنفي و الاستثناء) لا يفسرها حال المخاطب ، و لا يفسرها حال المتكلم ، و إنما " النفي و الاستثناء " جاء لمحض التوكيد و التقرير :

" اتبع ما يوحى إليك من ربك لا إله إلا هو و أعرض عن المشركين." [6]

هذا المعنى أشار إليه صاحب الدلالات وهو يستقرئ التركيب الشريف ، يقول :

" فليس المخاطب عليه السلام منكراً أو منزلاً منزلة الملك ، كما أن المتكلم ليس عميق الإحساس بالفكرة قوي الشعور بها ، لأنه سبحانه جل عن ذلك ، و إنما النفي و الاستثناء هنا لمحض التوكيد و إفراغ الحقيقة في قالب متين موثق ، و لتقريرها و توكيدها في النفوس بهذه اللهجة الحاسمة. " [1]

والقصر في نظم القرآن الكريم قد يأتي و لا تدل عليه الدلالات الوضعية للنفي و الاستثناء ، و إنما يكون مستكناً و مختبئاً فيها :

" قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ." [2]

المتتبع للسياق في النظم الشريف يدرك أن العبارة الكريمة (إن نحن إلا بشر مثلكم) وردت جوابا على قول المكذبين للرسل عليهم الصلاة و السلام و هم يقولون : إن أنتم إلا بشر مثلنا " ، ففي العبارة الشريفة مجاراة وتسليم لما في العبارة الأولى لأنه حقيقة، فهم لم يخرجوا عن كونهم بشرا ، لكنهم بشر مصطفون ومختارون لتحمل و تبليغ الرسالة ، فقول الرسل عليهم السلام لا وجه فيه(للنفي والاستثناء) لأن من وجه إليهم لا ينكرون قصرهم على البشرية . ومن هنا يقول صاحب الدلالات : " ثم إن الرسل لما قالوا: " إن نحن إلا بشر مثلكم لن يسلموا لهم مقدمتهم بمعناها و فحواها فحسب ، و إنما بألفاظها وأنغامها و تراكيبها كما نطق بها الخصم ، و كما دار بها لسانه من غير أدنى تغيير ، و في هذا ما يؤنس نفوسهم ويستميلها نحو سماع الحجة و هذا من أرفع أساليب الحوار و الإنصاف ." [3]

فالتركيب القصري أيضاً لم يأت لشيء يجهله المخاطب و لا لإنزاله منزلة ذلك ، ولم يأت لاعتبار حال المتكلم و لا لمحض التوكيل و التقرير ، فقد زاد على ذلك المجاراة ليثبت بذلك طريقة من أبلغ وأرفع أساليب الحوار . يقول تعالى :

"قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة." [4]

يقول السيوطي : " إن الكفار لما كانوا يحلون الميتة والدم ولحم الخنزير و ما أهل لغير الله به و كانوا يحرمون كثير من المباحات ، وكانت سجيتهم تخالف وضع الشرع ،

---

[5] –محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 2 / 273 .

[6] –الأنعام 107 .

[1] –محمد أبو موسى ، الدلالات ، ص 107 .

[2] –إبراهيم 14 .

[3] –محمد أبو موسى ، الدلالات ، ص 112-.113

[4] –الأنعام 146 .

نزلت الآية مستوفية لذكر شبههم في البحيرة و السائبة و الوصيلة و الحامي ، وكان الغرض الرد عليهم والمضادة لا الحصر الحقيقي ." [5]

و إلى هذا يشير الشافعي حين ذكر أن القصر في التركيب غير وارد و ذلك لأنها (الآية) لم تشمل المحرمات و إنما المراد مناقضة القوم الذين حرموا ما أحل الله ،و أحلوا ما أحل الله فقد ذكروا أنعاماً و حرثاً و جعلوها محجورة لا يطعمها إلا من يشاءون ، وحرموا ما في بطون البحائر و السوائب ... ، و قد أحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير فناقضهم القرآن .

وجاء في الدلالات : " أن القصر و إن كان غير مقصود من هذه الآية و التي قبلها فإن المقصود من التركيب ناظر إلى هذا القصر المستكين فيه ، فالمناقضة و المضادة التي ذكرها الشافعي ، لا تنبثق من التركيب إلا لما فيه من ريح القصر لأنه يفيد أنه لا حرام إلا ما حللتموه ، ولا حلال إلا ما حرمتموه ، و هذا وجه التجهيل و التشهير ببعثهم ، وأنهم يحلون ويحرمون ، و كذلك مجاراة الخصم و إرخاء العنان له حتى يعثر في فضل خطامه في آية : " إن نحن إلا بشر مثلكم ." ناظر إلى ما يستكن في التعبير من قصر غير مقصود ." [1]

و في هذه المجاراة إيذاناً بأن التحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى و أن الله تعالى هو المشرع للأحكام ، و أن الرسول مبلغ عن الله .

" اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم و لا تتبعوا من دونه أولياء ." [2]

و في هذا التركيب نورد قول الدكتور حواس بري وهو يستقرئ المقاييس البلاغية في تفسير الطاهر بن عاشور ، يقول : " إن التركيب الشريف أملى صيغة القصر دون اعتماده على طريق القصر ... ، مفاد القصر كأنه قال : لا تتبعوا إلا ما أمر به ربكم دون ما أمر به أولياؤكم ، فعدل عن طريق القصر لتكون جملة : " و لا تتبعوا من دونه أولياء." مستقلة صريحة الدلالة اهتماماً بمضمونها ، على نحو قول السموأل :

تسيل على حد الظبات نفوسنا و ليست على غير الظبات تسيل

إن الأمر بالإتيان للشيء هو النهي عن الإتيان بضده . " [3]

إن العبارة الشريفة وردت في سياق الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم ، و هي تركيب بسيط ، و يأتي محمد الطاهر بن عاشور بمثال عن تركيب مركب :

" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ... " [4]

يقول : " مجموع الجملتين في قوة صيغة حصر إذ مفاده اعبدوا الله و لا تعبدوا غيره ، فاشتمل على معنى إثبات و نفي كأنه قيل : لا تعبدوا إلا الله ، و العدول عن طريق القصر في مثل هذا الطريق عربية جاء عليها قول السموأل :

تسيل على حد الظبات نفوسنا و ليست على غير الظبات تسيل

وإنما يصار إليها عندما يكون الغرض الأول هو طريق الإثبات ثم يقصد بعد ذلك نفي الحكم عن ما عدا المذكور ، و ذلك غير مقتضى المقام هنا ، ولأجل ذلك لما خوطب بنو إسرائيل بنظير هذه الآية خوطبوا بطريق القصر في قوله : " وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله و بالوالدين إحساناً ." لأن المقصود الأول إيقاظهم إلى إبطال عبادة غير الله ،

---

[5] –السيوطي (جلال الدين) ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ضبط أحمد شمس الدين ، ط3 ، دار الكتب العلمية لبنان ، 1988 ، 1/136-137 .

[1] –محمد أبو موسى ، الدلالات ، ص 136 .

[2] – الأعراف 3 .

[3] – حواس بري ، د. المقاييس البلاغية في تفسير التحرير و التنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ، (دكتوراه دولة) جامعة الجزائر 1996. ص .126

[4] – النساء 36

و كذلك البيت فإن الأهم هو التمدح بأنهم يقتلون في الحرب ، فتزهق نفوسهم بالسيوف ، ثم بدا له فأعقبه بأن ذلك سنة فيه لا تتخلف ولا مبالغة فيها ."[5]

ونخلص من هذا إلى أن أسلوب القصر بهذا الطريق (النفي و الاستثناء) في نظم القرآن الكريم يخضع للقاعدة البلاغية فهو يستعمل كغيره في أمور يجهلها المخاطب وينكرها . ولكننا وجدنا أن خضوع نظم القرآن للقاعدة البلاغية غير مطرد لوجود أساليب قصرية التعول في استخلاصها لا يكون انطلاقاً من القاعدة ما دام النص القرآني نصاً مطلقاً له خصوصياته التي تميزه عن غيره من النصوص ، فلا غرو إذاً أن يتمرد عن القاعدة البلاغية و يخرج عن الرتابة و المألوف كاعتبار المقامات التنزيلية في الخطاب ، و بانتقاله أحياناً من مراعاة حال المخاطب إلى مراعاة حال المتكلم النفسية ، و يخرج عن هذين الاعتبارين إلى محض التوكيد و التقرير ، وقد يأتي القصر في النظم الشريف لا تدل عليه الدلالة الوضعية للنفي و الاستثناء و إنما يكون مستكناً ومختبئاً فيها ، و قد يؤدى القصر بغير وجود هذا الطريق و إنما التركيب يملي هذه الصيغة و يتوصل إلى ذلك من تتبع السياق .

<u>المطلب الثاني :</u> طريق " إنما "

الطريق الثاني من طرق القصر المصطلح عليها هو " إنما " وتواتره في النص الشريف أقل من " النفي والاستثناء " .

" إنما " كلمة واحدة وهي قرينة تدل دلالة وضعية على القصر ، وهو ضرب من ضروب التوكيد المشدد .

قال البلاغيون : " إن دلالة " إنما " على القصر دلالة وضعية ، وأنها تفيد القصر في كل صورة من صوره ، فتأتي للقصر الحقيقي ، كما تفيد القصر الإضافي بأقسامه .

يقول المرادي : " واحتج من ذهب إلى أنها تفيد الحصر بوجهين :

أحدهما : لفظي ، وهو أن العرب أجرت عليها حكم النفي و " إلا " ففصلت الضمير بعدها كقول الفرزدق :

أنا الذائد الحامي الذمارة ، وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي .

لما كان غرضه أن يحصر المدافع عنه فصل الضمير ، ولو قال : " إنما أدافع عن أحسابهم لأفهم غير المراد، فدل ذلك على أن العرب ضمنت معنى " إنما " مع " ما و إلا".

والثاني معنوي : وهو وجه يسند إلى علي بن عيسى الزبعي وهو من أكابر النحاة ببغداد أنه لما كانت كلمة " إن " لتأكيد إثبات المسند والمسند إليه ثم اتصلت بها " ما " الزائدة المؤكدة ، ناسب أن تضمن معنى الحصر ، لأن الحصر ليس إلا تأكيدا على تأكيد ، فإن قولك : زيد جاء لا عمرو لمن يرد المجيء الواقع بينهما ، يفيد إثباته لزيد ، وفي الابتداء صريحا وفي الأخرى ضمنا . " [1]

" أنما " بالفتح عدها من طرق القصر الزمخشري والبيضاوي ، فقالا في قوله : **" قل إنما يوحي إلي أنما إلهكم إله وحد ."[2]**

" إنما " لقصر الحكم على شيء ، أو لقصور الشيء على حكم ، نحو : إنما زيد قائم ، وإنما يقوم زيد ، وقد اجتمع الأمران في هذه الآية ، لأن إنما يوحى مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد ، وأنما إلهكم بمنزلة إنما زيد قائم ، وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، مقصور على استئثار الله بالوحدانية . وصرح التنوخي في الأقصى القريب بكونها للحصر فقال : " كل ما أوجب " إنما " بالكسر للحصر أوجب " أنما " بالفتح للحصر ، لأنها فرع عنها ، وما ثبت للأصل ثبت للفرع ما لم يثبت مانع منه

---

[5] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 48/5 – 48.

[1] – المرادي ، المرجع السابق ، ص 397 .

[2] – الأنبياء 107 .

والأصل عدمه ، ورد أبو حيان على الزمخشري ما زعمه بأنه يلزمه انحصار الوحي في الوحدانية ، وأوجب بأنه حصر مجازي باعتبار المقام .[3]

يقول محمد الطاهر بن عاشور : " وأنما مفتوحة الهمزة أخت " إنما " المكسورة الهمزة وهي مركبة من " أن" المفتوحة و " ما " الكافة ، كما ركبت " " إنما " المكسورة الهمزة، فتفيد ما تفيده " أن " المفتوحة من المصدرية ، وما تفيده " إنما " من الحصر . "[4]

والجمهور على أنها للحصر ، فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ، وأنكر قوم إفادتها الحصر .

يقول الدكتور لاشين : " لقد نتج عن ملازمة " ما " لـ " إن " تغير في العمل والوظيفة التي كانت تؤديها منفردة ، فالكلمتان قبل التركيب كان لكل منها معنى على حدى ولما ركبتا أصبح لهما معنى جديد ، وقد تغيرت دلالتها على التوكيد ، من كونه توكيدا مخففا إلى توكيد مشدد . "[5]

فإذا قلنا : ينجح المجد تضمنت هذه الجملة حكما إيجابيا وهو إثبات النجاح للمجد ، وإذا قلنا لا ينجح الكسلان تضمنت حكما سلبيا وهو نفي النجاح عن الكسلان . وفي الأساليب العربية متسع لأن نؤدي هذين الحكمين المختلفين في الإيجاب والسلب في جملة وحدة ، فيقال : إنما ينجح المجد ، فقد أفادت ثبوت النجاح للمجد ، وأفادت ضمنا وفي الوقت نفسه نفي النجاح عن الكسلان ، وفي هذا الأسلوب تخصص النجاح بالمجد ، فهو بقوة جملتين فقد أفادت " إنما " إيجازا في الكلام وتمكينا في التعبير ، وتقريرا له في الذهن ، وكل أسلوب فيه هذا النوع من التخصص ، وأفاد حكمين مختلفين في الإيجاب والسلب يسميه علماء البلاغة قصرا . "[1]

لقد تواتر تركيب " إنما " دالا على القصر في القرآن بـ 126 مرة ، زائد 19 تركيبا " أنما "بالفتح مما يعطي مجموع 165 مرة تركيب قصر بهذا الطريق .

لقد تباينت جمل هذا التركيب من حيث الوظيفة ، فورد في جمل اسمية.

*إنما اسم (مفرد معرف باللام)

" إنما المؤمنون إخوة ."[2]

" إنما السبيل على الذين يستأذنوك . "[3]

14 إنما ضمير منفصل :

" إنما نحن مصلحون ."[4]

" قل إنما هو إله واحد . "[5]

" إنما أنت منذر . "[6]

" إنما أنا من المنذرين . "[7]

15 إنما اسم إشارة :

" إنما هذه الحياة الدنيا "[8]

---

[3] – السيوطي ، معترك الأقران في غعجاز القرآن، ضبط أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية لبنان 1988 139/1 .

[4] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 55/16 .

[5] – عبد الفتاح لاشين ، د. من أسرار التعبير القرآني ، ص 155 .

[1] – عبد الفتاح لاشين ، من اسرار التعبير، ص156 .

[2] – الحجرات 10 .

[3] – التوبة 94 .

[4] – البقرة 10 .

[5] – الأنعام 20 .

[6] – الرعد .08

[7] – النمل 93

[8] – غافر 39 .

16 إنما مركب إضافي :

" إنما إلهكم إله واحد ."[9]

" إنما بغيكم على أنفسكم . "[10]

17 أنما مركب جر :

" فأعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ."[11]

" فإنما عليك البلاغ ."[12]

فالملاحظ على هذه التركيب الاسمية التباين على مستوى المقصور فقد ورد اسما ظاهرا مقترنا بـ "الـ" ، كما ورد ضميرا : جماعة المتكلمين (نحن) ، ضميرا للمفرد المذكر الغائب (هو) ، ضميرا للمفرد الذكر المخاطب (أنت) ، ضميرا للمفرد المذكر المتكلم (أنا) ، كما ورد اسم إشارة دالا على تعيين المقصور (هذه) ، وورد مركبا إضافيا ، ثم جاء جارا ومجرورا .

18 إنما فعل :

"إنما يستجيب الذين يسمعون ."[1]

" إنما توفون وجوركم ."[2]

" إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ."[3]

ورد المقصور في التراكيب فعلا مضارعا ، لازما (يستجيب) ، وورد فعلا متعديا لمفعول اسم ظاهر (توفون) ، كما جاء فعل مضارع متعد لمفعول ضمير (يؤخر) .

" إنما كنا نخوض ... "[4]

" إنما استذلهم الشيطان ."[5]

" إنما انزل الكتاب على طائفتين ."[6]

" إنما أمرت أن اعبد رب هذه البلدة ."[7]

" إنما جعل السبت ... "[8]

المقصور جاء فعلا ماضيا : ناقصا (كنا) ، فعلا مبنيا للمعلوم (استذل) ، فعلا لم يسم فاعله (أنزل ، أمرت ، جعل) .

من هنا يمكن القول : إن إنما في النظم الشريف اقترنت بالفعل ، وجاء هذا الاقتران متنوعا مضارعا و ماض .

والمتتبع لتراكيب القصر في هذا الطريق يجد أن المقصور عليه شغل وظائف عديدة ، فجاء مبتدأ : " إنما عيك البلاغ ." ذهب الزمخشري والدكتور محمد أبو موسى من أن المعنى : " ما عليك إلا البلاغ و ليس الحساب ، وإنما الحساب علينا إذ سياق الآية يقتضي

---

[9] – الأنبياء 107 .

[10] – يونس 23 .

[11] – المائدة 94 .

[12] – الرعد .41

[1] – الأنعام 37 .

[2] – آل عمران .185

[3] – إبراهيم 44 .

[4] – التوبة 65 .

[5] – آل عمران 155 .

[6] – الأنعام 157 .

[7] – النمل 93 .

[8] – النحل 124 .

ذلك : " و إن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك ، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب يعني إما أن ترى مصارعهم وما تدربه الحال عليهم ، أو نتوفينك قبل ذلك ، فالذي عليك هو البلاغ ، بخلاف ما وراءه فإنه علينا لا عليك . يقول الدكتور محمد أبو موسى : " الجملة الأولى دلالة التقديم فيها على القصر ملغاة ، والجملة الثانية دلالة التقديم فيها على القصر ثابتة ، وقد تلائم التقديم الملغى أثره مع التقديم الباقي أثره من ناحية تقطيع الكلام وتنسيقه تنسيقاً إيقاعياً متقناً . عليك البلاغ علينا الحساب ... ولوا أنه قال : " البلاغ عليك و علينا الحساب لما رأيت فيها هذا التوازن وهذا التلائم ، و تلك الملابسة ، التي هي جزء من صقل العبارة و تأثيرها البلاغي ." [9]

كما جاء المقصور عليه في وظيفة الخبر وهو كثير :

" إنما نحن مستهزئون ." [1]

" إنما الآيات عند الله ." [2]

المقصور عليه مركب جر

" إنما يأمركم بالسوء ." [3]

" إنما أمرت أن اعبد الله ."[4] (مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض .)

المقصور عليه فاعل

" إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله ... " [5]

المقصور عليه نائب الفاعل

"... أنما أنزل إليك من ربك الحق ." [6]

المقصور عليه مفعول به :

" إنما تنذر الذين يخشون ربهم ." [7](المفعول به اسم مبهم وصلته)

المقصور عليه جملة مقول القول في محل نصب مفعول به :

" فإنما يقول له كن فيكون ." [8]

وفي خضم هذه الوظائف نقف على تراكيب يكون الخبر فيها تركيب موصول ، وصلته قول شرط ، فهو مؤلف من جملتين :

---

[9] – محمد أبو موسى، الدلالات، ص .169

[1] – البقرة 13 .

[2] – الأنعام 110 .

[3] – البقرة 168 .

[4] – الرعد 37 .

[5] – التوبة 18 .

[6] – الرعد 19 .

[7] – فاطر 18 .

[8] – آل عمران 47

" إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجدت قلوبهم ."[9]

وبعض هذه التراكيب يقترن بالواو التي توهم أن هناك معنيين ، وأن " إنما " تستقل بمعنى جديد ، وقد توحي بما بين الجملتين من تغاير ، وإن جمعها معنى واحد .

" وقالوا لولا أنزل عليه آياته من ربه ، قل إنما الآيات عند الله و إنما أنا نذير مبين ."[10]

وتقترن " إنما " بالفاء المؤذنة بالسبب :

" ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ."[11]

" ... فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ." [12]

" ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ." [13]

وأحياناً تقترن " إنما " بقل المؤذنة بالإجابة عن سؤال :

" قل إنما هو إله واحد ." [14]

" وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل إنما الآيات عند الله ... " [1]

"ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ، قل إنما العلم عند الله ." [2]

كما تقترن " إنما " بقال التقريرية :

" قال إنما أوتيته على علم ." [3]

" قالوا إنما أنت من المسحرين ."[4]

وقد لا تقترن " إنما " بشيء من هذا :

" إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ... "[5]

ونجد " أنما " بالفتح تسبق عادة بمادة علم ، حسب ، أوحى :

" وليعلموا أنما هو إله واحد ."[6]

" واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ."[7]

" أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ." [8]

" قل إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ." [9]

***الحقول الدلالية لإنما :**

---

[9] – الأنفال 2 .

[10] – العنكبوت 50 .

[11] – فاطر 18 .

[12] – الفتح 10 .

[13] – محمد 39 .

[14] – الأنعام .20

[1] – العنكبوت 50 .

[2] – الملك 26 .

[3] – الزمر 46 .

[4] – الشعراء 153 ، 185 .

[5] – النور 49 .

[6] – إبراهيم.50

[7] – الأنفال 28 .

[8] – المؤمنون 116 .

[9] – فصلت 5 ، الكهف 105 ، الأنبياء 107 .

الحقول الدلالية التي غطتها إنما لا تخرج عن الحقـول التي شملها طريق " النفــي و الاستثناء " .

أ- توحيد الله و إفراده بالعبادة ، ونبذ الشرك :

" قل إنما هو إله واحد ." [10]

" إنما أمرت أن اعبد الله ." [11]

أي قل لهم يا محمد ، أمرت بعبادة الله وحده ولا أشرك معه غيره

" إنما إلـهكم إله واحد ."[12]

" إنما الله إله واحد ." [13]

" إنما إلـهكم إله واحد ."[14]

كل هذه الآيات دالـة علـى التحـريض علـى نبذ الشـرك ، و كلهـا متلـو بالاسـم الجـامع لحقيقـة الإله ، فهي تخبر عنه بأنه إله واحد ، مستأثر بالوحدانية دون غيره .

---

[10] – الأنعام 20 .

[11] – الرعد 37 .

[12] – فصلت 5 .

[13] – النساء 170 .

[14] – الكهف 105 ، الأنبياء 107 .

ب- **بيان مهمة الرسل وحقيقتهم :**

" إنما أنت نذير ." [1]

" إنما أنا من المنذرين ." [2]

" إنما أنا بشر ." [3]

" إنما أنا بشر مثلكم . " [4]

" إنما أنذركم بالوحي ." [5]

" فإنما عليك البلاغ ... " [6]

" إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله . " [7]

كل هذه التراكيب تلتقي في دلالتها على وظيفة الرسل من تبليغ و إنذار و تبشير ، و بيان حقيقة، أي أنهم بشر لم يتجردوا عن بشريتهم و إنهم هم مصطفون أختارهم الله من بين خلقه لأداء هذه المهمة .

ج- **نظرة القرآن إلى الحياة الدنيا :**

" اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو . " [8]

" إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء . " [9]

" إنما هذه الحياة الدنيا متاع . " [10]

" إنما الحياة الدنيا لعب ولهو . " [11]

تلتقي هذه التراكيب في دلالاتها على تفاهة الدنيا وحقارتها و صغرها عند الله سبحانه وتعالى ، ولذلك مثلها بالمتاع الزائل ، باللهو و اللعب ... .

د- **الساعة وما يتعلق بها :**

" إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. " [12]

" فإنما هي زجرة واحدة . " [13]

عبر المولى عز وجل عن حدوث الساعة ببعض ما يصيب الناس من هلع يومها (تشخص فيه الأبصار) ، وببعض أوصافها (زجرة واحدة) .

هـ- **الموعظة والتوجيه، والنهي عن ترك المحرمات :**

" إنما حرم عليكم الميتة ... " [14]

أي ما حرم عليكم إلا الخبائث كالميتة وغيرها مما يسبب أذى وضررا .

" إنما الخمر والمسير و الأنصاب والأزلام رجس ... " [1]

---

[1] – هود 12 .

[2] – النمل 94 .

[3] – فصلت 5 .

[4] – الكهف 105 .

[5] – الأنبياء 45 .

[6] – الرعد 41 .

[7] – النساء 170 .

[8] – الحديد 19 .

[9] – يونس 24 .

[10] – غافر 39 .

[11] – محمد 37 .

[12] – إبراهيم 44 .

[13] – النازعات 13 .

[14] – البقرة 172 .

الآية في إطار تحريم الخمر والقمار .

" إنما يعمروا مساجد الله من آمن بالله .. " [2]

التركيب وارد من جهة في الرد على زعم المشركين بعمارة المسجد الحرام ومن جهة أخرى التركيب الشريف ترغيب وحث على عمارة المساجد ، أي لا يعمر المساجد إلا من كان مؤننا بالله ومصدقا .

" إنما الصدقات للفقراء والمسكين .. " [3]

التركيب الشريف في الأصناف المستحقة للزكاة ، أي لا تعطي الصدقات (الزكاة) إلا للفقراء والمساكين ومن سماهم الله في الآية ، فالله عز وجل يقصر الصدقات على هذه الأصناف الثمانية .

" إنما النجوى من الشيطان ."[4]

" وعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ."[5]

التركيبان في سياق أمر المؤمنين بالاستجابة لله والرسول وقبول دعوته من جهة ، والتحذير من أن تشغلهم الأموال والأولاد عن طاعة الله ، وهي اختبار من جهة أخري .

ومما يلاحظ أن الأمر والترك بهذه التراكيب الشريفة متبوع بالسبب والجزاء، ترغيبا وترهيبا .

و - **الوعد والإشادة بالمؤمنين :**

" إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب."[6]

" إنما يتقبل الله من المتقين . "[7]

الآية الكريمة إشارة إلى أن التوبة و الأعمال الصالحة لا تقبل إلا من مؤمن متقي لله .

" إنما وليكم الله ورسوله والمؤمنون . "[8]

ثنى بالرسول و ثلث بالمؤمنين تكريما وتشريفا .

" إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ..." [9]

أخبر الحق سبحانه عن المؤمنين باسم الموصول (الذين) صلته متضمنة لثلاث مقامات عظيمة : مقام الخوف ، مقام الزيادة في الإيمان ، مقام التوكل عليه .

" إنما المؤمنون الذين أمنوا بالله ورسوله ."[10]

أخبر عنهم كذلك في التركيب باسم الموصول (الذين) صلته فعل الإيمان والتصديق بالله ورسوله ... إشادة بأعمالهم . والتركيب الشريف تمدح المؤمنين الخالصين من جهة وتعريض بالمنافقين .

" إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا ... " [11]

" إنما يتذكر أولوا الألباب ... " [1]

---

[1] – المائدة 92 .

[2] – التوبة 18 .

[3] – التوبة 60 .

[4] – المجادلة 10 .

[5] – الأنفال 28 .

[6] – النساء 17 .

[7] – المائدة 29 .

[8] – المائدة 57

[9] – الأنفال .2

[10] – النور 60 .

[11] – السجدة 15 .

" إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . " [2]

" إنما المؤمنون الذين أمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ... "[3]

صفات المؤمن الكامل الإيمان ثلاث : التصديق الجازم بالله ورسوله، عدم الشك والارتياب الجهاد بالمال والنفس .

" إنما المؤمنون إخوة ."[4]

قال المفسر : " إنما للحصر فكأنه يقول : لا أخوة إلا بين المؤمنين ، ولا أخوة بين مؤمن وكافر ، وفي الآية إشارة إلى أن أخوة الإسلام أقوى من أخوة النسب . " [5]

ز- قدرة الله سبحانه وتعالى ومطلق تصرفه في الكون :

" قل إنما الآيات عند الله ." [6]

التركيب الشريف في سياق بيان قدرة الله وفي إطار طلب الكفار من الرسول صلي الله عليه وسلم الآيات والمعجزات : " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمن بها، قل إنما الآيات عند الله ... " ، حلفت قريش بأغلظ الإيمان لئن جاءتهم معجزة أو أمر خارق مما اقترحوه على النبي صلى الله عليه وسلم ليؤمنن فأجابهم عز من قائل : " قل لهم يا محمد ، أمر هذه الآيات عند الله لا عندي فهو القادر على كل شيء .

" فقل إنما الغيب لله . " [7]

أي قل لهم : أمر الغيب لله وحده .

" إنما يأتيكم به الله . " [8]

النظم الشريف في سياق قصة نوح عليه السلام ، وفي إطار استعجال قومه العذاب، فأمر تعجيل العذب أو تأخيره لله وحده .

" إنما قولنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون . "[9]

قال المفسرون : " هذا تقريب إلى الأذهان ، وحقيقة أنه تعالي إذا أراد شيئا لكان بغير احتياج إلى لفظ (كن) ." [11]

" قل إنما العلم عند الله ."[12]

" قل إنما علمها عند الله . " [13]

الكلام عن وقت الساعة ، وقت العذاب ، فعلم الساعة ووقتها ، ووقت العذاب عند الله لا يعلمه غيره .

---

[1] –الرعد 21، الزمر .10

[2] – الزمر 11 .

[3] – الحجرات 15 .

[4] – الحجرات 10 .

[5] – محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 253/3 .

[6] – الأنعام 110 .

[7] – يونس 20 .

[8] – هود 33 .

[9] – النحل 40 .

[11] – محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 344/2 .

[12] – الملك 26 .

[13] – الأحزاب 63 .

ح- **وعيد الكفار :**

" إنما أمرهم إلى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ." [1]

قال المفسر : " لم يقصد به الخبر ولكنه تأنيب من الله للمنافقين وتأديب منه للآخرين ." [2]

" إنما المشركون نجس ." [3]

الجمهور على أن هذا على التشبيه ، أي هم بمنزلة النجس ، أو كأنه النجس ، لخبث اعتقادهم بالله وكفرهم به جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في الوصف . [4]

" فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها ... " [5]

"ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا ... " [6]

التركيبان الشريفان في سياق ذكر الأعمال القبيحة للمنافقين ، ظاهر هذه الأموال والأولاد رحمة ومسرة ، وباطنها عذاب ، جراء ما اقترفوه من أعمال قبيحة ، فما هذه الأموال و الأولاد إلا لأجل تعذبهم بها .

" إنما بغيكم على أنفسكم . " [7]

أي لا يجني ثمار البغي والظلم إلا أنتم (كفار قريش) .

" إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون ." [8]

أي لا يكذب على الله إلا من لم يؤمن بالله وآياته .

ط - **بيان عناد المشركين والمنافقين وخروجهم عن الحق :**

" ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ." [9]

أي أن هذا القرآن من تعليم بشر (نصراني ويقال له جبر) ، والتركيب إذن في تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتقول على الله .

" إنما نحن مصلحون ." [10]

أي ليس شأننا الإفساد ، قال البيضاوي : " تصوروا الفساد بصورة الصلاح ، لما في قلوبهم من المرض و فكانوا كمن قال الله فيهم : " أفمن زين له سوء عمله فراه حسنا . " [11]

" إنما نحن مستهزئون . " [12]

أي ما نحن إلا مستهزئون نسخر من المؤمنين بإظهار الإيمان .

" إنما البيع مثل الربا ." [13]

التركيب الشريف في إطار استحلال ما حرم الله .

---

[1] –الأنعام .160

[2] –محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 344/2 .

[3] –التوبة .28

[4] –محمد علي الصابوني ، المرجع السابق ، 530/1.

[5] –التوبة .55

[6] –التوبة.86

[7] –يونس .23

[8] –النحل .105

[9] –النحل .103

[10] –البقرة .10

[11] –البيضاوي ، المرجع السابق ، 12/1 .

[12] –البقرة .13

[13] –البقرة .274

المتتبع للتركيب القصري في هذا الطريق يجده لم يخرج عن المرونة التي أبداها طريق النفي والاستثناء في تغطيته للحقول الدلالية التي يسعى إليها النص القرآني في تبيان مقاصده ، فقد وقفنا على الحقول الدلالية التالية : توحيد الله وإفراده بالعبادة ، بيان مهمة الرسل وحقيقتهم ، نظرة القرآن للحياة الدنيا ، وجود الساعة ، الجزء من جنس العمل ، الموعظة والتوجيه وترك المحرمات ، وعد المؤمنين والإشادة بأعمالهم ، وعيد الكفار والتحذير من اتبع طريقهم ، بيان عظمة الله وقدرته .

وظائف " إنما" البلاغية :

من خلال هذه الوظائف سنقف على أسرار ونكت طريق " إنما " من حيث البلاغة ، فطريق "إنما " له خصائص في التعبير القرآني منها :

يستعمل طريق " إنما " في الأمور التي تكون غاية في الوضوح والظهور ، وفي الشؤون التي يعلمها المخاطب ويقرها، نجد هذا واضحا في أساليب القصر القرآنية في هذا الطريق:

" إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ." [1]

يقول المفسر : " فواضح أن المؤمنين ليسوا سوى هؤلاء الذين تخافوا قلوبهم إذا ذكر الله و يزدادون إيماناً إذا تليت عليهم آياته ويتوكلون على ربهم ، وعلى هذا جاء قوله تعالى :

" إنما يستجيب الذين يسمعون و الموتى يبعثهم الله ." [2]

" إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب . " [3]

" إنما أنت منذر من يخشاها ." [4]

فكل ذلك تذكير بأمر ثابت معلوم ، حيث إن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا ممن يغفل ما يقال له ، وكذلك معلوم أن الإنذار إنما يكون إنذاراً ، ويكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله ، فأما الكافر والجاهل فالإنذار وترك الإنذار معه سواء . [5]

البلاغيون يقولون " إنما " تأتي للأمر الذي لا يجهله المخاطب ولا ينكره ، أو للأمر الذي ينزل هذه المنزلة وفي هذا يقول صاحب الدلالات : " المعاني التي تدخل عليها " إنما " معان مأنوسة قريبة من النفوس ليينة ، وهذا بخلاف ما و إلا التي تسمع لها قعقعة وتجد لها حدة . " [6]

فإذا جاءت إنما في بعض أساليب القرآن القصرية غير مستخدمة في الأمور الواضحة كان ذلك على خلاف الأصل ، ويكون ذلك لحكمة لطيفة وسر بديع .

" إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ." [7]

يقول المفسر : " في هذا الأسلوب الجليل مزايا منها : حرف النداء في قوله : (أهل البيت) وهو مشعر بالتقرب والتكريم ، فلأن أهل هذا البيت في حضرة القدوس وفي المكانة المتسامية يخاطب خطاب القرب و الملاطفة ، ومنها أداة القصر التي تصدرت الجملة الشريفة ، وهي تفيد الكلام قدراً من التوكيل ، وكأن المعنى : ما يريد الله إلا أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت وتطهيركم ، فمراد الله جل جلاله قد انحصر في ذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم وليس هناك مراد وراء ذلك في شأن من شؤون ، أي أن الله سبحانه قد أقبل على أهل البيت إقبالاً كاملاً وهذه زيادة في التكريم ومبالغة في إظهار عظيم العناية والرعاية ، و يصح أن يكون المراد بهذا القصر قصر مراد الله سبحانه على إذهاب الرجس

---

[1] –الأنفال .2

[2] –الأنعام 37

[3] –يس .10

[4] –النازعات .44

[5] –عبد الفتاح لاشين ، أسرار التعبير القرآني ، ص .157

[6] –محمد أبو موسى ، المرجع السابق ، ص .148

[7] – الأحزاب 33

و التطهير لا على العنت والتضييق ، فهذه الشرائع لا يريد بها وضع قيود ثقيلة وإرهاقهم بتكاليفها ، وإنما يراد بذلك إذهاب الرجس عنكم و التطهير .

وجاء " القصر " "بإنما" التي تفيد أن ما تدخل عليه كأنه شيء مقرر ومعلوم لا يسع أحد أن ينكره لشهرته وذيوعه ، وكأن القصر مراد المولى سبحانه على إذهاب الرجس عن هذه الجماعة ، وتطهيرها أمر معلوم لا يدفعه دافع ولا يخالف فيه عاقل ، وناهيك عن ما وراء ذلك من التكريم . [1]

" قالوا إنما أنت من المسحرين ." [2]

التركيب الشريف في سياق قصة شعيب وقومه ، فهم يخاطبون شعيب عليه السلام الذي ينكر هذا الحكم ولكنهم أتوا بتلك الصيغة واختاروا لفظ "إنما " كأنهم يدعون وضوح أنه مسحور وأنه لا ينطق عن عقل واع مفكر . [3]

" إنما نحن مصلحون ." [4]

لقد ادعى اليهود إدعاء وليس حقيقة ، أن صلاحهم أمر واضح لا يحتاج إلى دليل وعبروا عليه بطريق القصر واستعملوا فيه " إنما " ، إشعارا بأن ما يدعون من كونهم مصلحين أمرا جليا لا ينبغي إنكاره ، مع أن صلاحهم هذا أمر منفور من قبل المؤمنين ، لذا احتوى الرد عليه أنواعاً من التوكيد . وفي هذا يقول صاحب الدلالات : " دخلت " إنما " لتدل على أنهم حين أدعوا لأنفسهم أنهم مصلحون ، أظهروا أنهم يدعون بذلك أمراً ظاهراً معلوماً ، ولذلك أكد الأمر في تكذيبهم و الرد عليهم فجمع بين " ألا " الذي هو للتنبيه و بين " إن " الذي هو للتأكيد فقيل : " ألا إنهم ." ، 'ن اليهود على عادتهم الخبث و المجادلة لما سمعوا مقالة الناس لا تفسدوا في الأرض لم يقولوا : لسنا مفسدين ، ولم يقولوا : إننا مصلحون ، ولم يلتفتوا إلى ما في نفوس الجماعة من الإعتقاد بأنهم مفسدون، و إنما ذهبوا في شططهم إلى القول بأننا مقصرون على الإصلاح ، فليس لنا وصف سواه وليس هذا فحسب بل إنه حقيقة شائعة وخبر بين للناس مستفيض ، ولهذا لا نعبأ بإنكار من ينكر أنه ليس في دمنا و لحمنا إلا الإصلاح ، و هكذا تفيض كلمة " إنما " في عبارتهم بمثل هذا الشطط في الكذب و الضلال .

فانفتل القرآن بصرامة وحدة ليكفح هذا الكذب وكانت النغمة الأولى التي أطلقها على تعقيبه على هذا الأسلوب هي كلمة " ألا " وهي أداة لا يستفتح بها إلا القول ذو خطر وبال ، وهي صوت ينطلق ولا دلالة له وإنما يوقظ وينبه ويستفتح نوافذ القلب وكأنه ناقوس مؤذن بأهمية السياق ، وبعدما أحضر القرآن وعي الجماعة المسلمة لهذه الأداة قذف في هذا الوعي بهذه الحقيقة (إنهم مفسدون) وعناصر التوكيد نراها تتزاحم في هذه الجملة حتى كأنها بنيت عليه .[5]

" إنما المؤمنون اخوة ." [6]

الجملة الشريفة تعليل لإقامة الإصلاح بين المؤمنين إذا استشرى الحال بينهم فهي في موقع العلة ، وجيء بصيغة القصر المفيدة لقصر حالهم في حال الأخوة مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين ، فهو قصر ادعائي إضافي للرد على أصحاب الحالة المفروضة الذين يبغون على غيرهم من المؤمنين وأخبر عنهم بأنهم إخوة مجازاً على وجه التشبيه البليغ زيادة لتقرير معنى الأخوة بينهم ، حتى لا يحق أن يقرن بحرف التشبيه المشعر بضعف صفتهم عن حقيقة الأخوة . يقول المفسر : " وفي هذه الآية دلالة قوية على تقرير

---

[1] –محمد أبو موسى ، المرجع السابق ، ص .201

[2] –الشعراء .185

[3] –عبد الفتاح لاشين ، المرجع السابق ، ص .157

[4] –البقرة .10

[5] – محمد أبو موسى، الدلالات، ص .158

[6] – الحجرات .10

وجوب الأخوة بين المسلمين لأن شأن " إنما " أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ، أو لما ينزل منزلة ذلك ، فهو مفيد أن معنى الأخوة بينهم معلوم مقرر ، و قد تقرر ذلك في تضاعيف كلام الله . " [1]

يقول البلاغيون : إن أفضل مواقع " إنما " موقع التعريض ، وإنها فيه أقوى ما تكون ، و أعلق بالقلب .

وقد أشار عبد القاهر إلى هذا المعنى : " ثم اعلم أنك إذا استقريت وجدتها ـ أي " إنما " ـ أقوى ما تكون و أعلق ما ترى بالقلب ، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناها ، و لكن التعريض بأمر هو مقتضاه ... " [2]

يقول الدكتور أبو موسى : " ... ولعل هذا هو فضل هذا الأسلوب ، وسر تمكنه ، وأنه أعلق بالقلب ، لأن إدراك مرماه محتاج إلى قدر من الفطنة و اللقانة و الوعي بالسياق ، إذ يصبح ليس المقصود ب " إنما " معنى الكلام بعدها ، وإنما التعريض بأمر هو ما يقتضيه معنى الكلام . " [3]

و إلى هذا يشير الدكتور عبد الفتاح لاشين ، يقول : " تستعمل " إنما " للتلويح بالكلام إلى معنى آخر على سبيل التعريض وهو أحسن و مواقعها . " [4]

" إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب . " [5]

" إنما أنت منذر من يخشاها ." [6]

فليس المراد من الآيتين ظاهرهما ، وهو تعلق الإنذار بمن في قلبه إحساس بالخشية من الله تعالى ، فذلك معلوم ، وإنما المراد هو التعريض بمن لا يخشون الله ، و الإشارة إلى أن إنذار هؤلاء لا يجدي فإنذارهم مثل عدمه .

" إنما يتذكر أولوا الألباب ." [7]

معنى الكلام أن أولي الألباب يتذكرون ، و المفهوم يؤدي إلى أن غيرهم لا يتذكرون ، وليس هذا مقصوداً لأنه من البداهات التي لا تحتاج إلى من ينبه عنها .

يقول المفسر : " ... لا بد إذاً من مرمى آخر يرمي إليه التعبير وهو مقتضى المعنى ، يعني إذا كان التذكر ثابتاً لأولي الألباب و منفي عن غيرهم اقتضى هذا أن يكون غير المتذكرين من غير أولي الألباب ، و هناك و على مقربة من هذا القول طائفة رفضت التفكير فيما عرض عليها من قضية الإيمان بالله و لم تناقشها مناقشة معقولة ، تنتهي بها إلى القبول أو الرفض ، و إنما ركبت متن الشطط و العناد ، هؤلاء ليسوا من أولي الألباب ، هكذا ينبعث المعنى المباشر من العبارة و يتولد منها لازمه ، و يلامس السياق ، وبعد ذلك ينتج المعنى المعرض به ، المرمى هنا لا ينال إلا بعد نشاط النفس ، و ملاحظة الإطار العام الذي تتحرك فيه العبارة ." [8]

" إنما يستجيب الذين يسمعون ." [9]

قصر الله سبحانه وتعالى الاستجابة على من يسمع ، وهؤلاء لن يستجيبوا ، فهم لم يسمعوا لأنهم فقدوا أهلية السماع فالمعنى ليس المعنى السطحي الذي تعكسه الآية وإنما هناك معنى تخفيه سطور الآية وهو معنى التعريض ، فهناك أناس استجابوا ، وأناس لم

---

[1] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ص 26/.243

[2] –عبد القاهر جرجاني ، دلائل الإعجاز، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر (سلسلة أنيس)1991، ص .325

[3] –محمد أبو موسى ، المرجع السابق ، ص .159

[4] –عبد الفتاح لاشين ، المرجع السابق ، ص .157

[5] –فاطر .18

[6] –النازعات.44

[7] –الرعد.21

[8] –محمد أبو موسى ، الدلالات ، ص .160

[9] –الأنعام .37

يستجيبوا ، لأن الآية في سياق ذكر سبب إعراض المشركين عن القرآن الكريم ، وعن الإيمان به ، فهم بمنزلة الموتى الذين يسمعون ولا يستجيبون ، وما يؤكد التعريض ما جاء بعد التركيب الشريف : " والموتى يبعثهم الله ." وهو يعني بهذا الكفار على سبيل التشبيه و الغرض منه التعريض و التهكم والازدراء ، لأن الكفار موتى القلوب ، فثراء الموقف في الآية يثير معنى التعريض .

إن المتتبع لطريق "إنما" في تركيب القصر يلمس تلك المرونة في أداء الوظائف اللغوية على مستوى المقصور و المقصور عليه من ابتداء و خبر، وفاعلية و مفعولية...الخ.

كما أسهم التركيب القصري في " إنما " في أداء الوظائف الدلالية للنص القرآني من جهة ومن جهة أخرى في أداء الوظائف البلاغية ، فجاء لأمر يعلمه المخاطب ، و جاء على خلاف الأصل (المقامات التنزيلية) ، وجاء ليؤدي معنى التعريض .

المطلب الثالث : طريق التقديم

لقد أشرنا إلى أن التقديم يمس بناء العبارة ، أي هو ما تتعرض إليه عناصر الجملة، اسمية كانت أو فعلية من تغيير في الرتبة لأغراض بلاغية من أهمها التخصيص و الذي يدخل في باب القصر ، وخلصنا إلى أن " التقديم " مبحث واسع من مباحث البلاغة تكمن وراءه العديد من المزايا و الأسرار البلاغية ، ذلك أن بناء العبارة في الحقيقة بناء خواطر و مشاعر قبل أن يكون بناء قواعد و ترتيب ألفاظ أو تصميم قوالب .

وذكرنا أن المقصور عليه لهذا الطريق هو المقدم دائماً ، وهذا الطريق كغيره من طرق القصر صالح لكل أنواع القصر من حقيقي وإضافي .

المتتبع لأقوال البلاغيين في هذا الطريق " التقديم " يجد أن أغراض التقديم عديدة كالاهتمام بأمر المتقدم ، و التأكيد و التقوية والتقرير ، و مراعاة نظم الكلام وموسيقاه :

" **خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه** ... " [1]

ويأتي للتخصيص أيضاً، وعلى الرغم من ذلك فإن تواتر هذا الطريق في النص القرآني مفيداً للتخصيص أي كتركيب قصري يزيد عن 120 مرة ، متفاوتة من حيث البناء، أي أن هناك تراكيبا نجد فيها تقديم المعمول على العامل ، وأخرى يقدم فيها المسند على المسند إليه وثالثة يقدم فيها المسند إليه على المسند (تقديم المبتدأ على الخبر الفعلي).

أولاً : تقديم المعمول على العامل : الظاهر من كلام البلاغيين أن تقديم المعمول من المفعول وشبهه في الخبر المثبت يدل على الاختصاص غالباً ، وقد كان تواتره في نظم القرآن يزيد عن 50 مرة يتشكل فيها التركيب كالتالي :

" **إياك نعبد وإياك نستعين .**" [2]

" **بل الله فاعبد وكن من الشاكرين .**" [3]

" **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .**" [4]

نلاحظ في هذه التراكيب الشريفة تقديم المعمول (المفعول على العامل الفعلي) .

---

[1] –الحاقة 30-31.

[2] –الفاتحة .4

[3] –الزمر .63

[4] – البقرة 56

في الآية الأولى الاختصاص كان في الضمير المنفصل (إياك) ، معمول للفعل المضارع (نعبد ، نستعين) الذي يدل على الاستمرار و التجديد .

وفي الآية الثانية الاختصاص في الاسم الظاهر (الله) المقترن ببل التي تفيد الإضراب معمول لفعل الأمر المؤذن بالطلب .

أما التركيب الثالث فإن الاختصاص جاء أيضاً في الاسم الظاهر (أنفس) وعامله فعل المضارع .

والمتتبع لمثل هذه التراكيب يجد أن الضمير المنفصل المنصوب متباين من حيث التصريف ، لاختلاف السياق ، يكون :

للمخاطب :

" إياك نعبد " [1]

للمتكلم :

" وإياي فاعبدون " [2]

" وإياي فارهبون " [3]

للغائب :

" بل إياه تدعون " [4]

و من أشهر ما يبدو فيه القصر في هذا التركيب مواضع الاستفهام الإنكاري ، لتضمنه معنى النفي :

" قل أغير الله اتخذ ولياً " [5]

" قل أرأيتم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون . " [6]

" قل أفغير الله تأمرني أعبد ." [7]

في هذه التراكيب الشريفة تعلق المتقدم بالفعل ، و قد يكو تعلقه بالمشتق :

" ... ويكون الرسول عليكم شهيداً ." [8]

" إن الله بالناس لرؤوف رحيم . " [9]

---

[1] –الفاتحة .4

[2] – البقرة 39

[3] – البقرة 40

[4] –الأنعام .42

[5] – الأنعام .15

[6] –الأنعام .41

[7] – الزمر 61

[8] –البقرة .142

[9] –البقرة .142

" ... وإنا له لحافظون . " [1]

إن المقصور عليه (المتقدم) يكون مقترناً بالواو :

" ونحن له عابدون ." [2]

" و على الله فاليتوكل المؤمنون . " [3]

و يأتي المقصور عليه (المتقدم) مقترناً بالفاء ، المسبوقه بهمزة الاستفهام التي تفيد الإنكار :

" أفغير الله تتقون . " [4]

" أفبالباطل يؤمنون . " [5]

وقد لا يقترن المقصور عليه بشيء من هذا :

" إليه يرد علم الساعة . " [6]

" لها ما كسبت ." [7]

الدارس لتراكيب القصر في هذا الطريق يجد أن المقصور عليه قد شغل وظائف نحوية فجاء :

أ - مفعولاً :

" إياك نعبد وإياك نستعين . " [8]

" قل أغير الله اتخذ ولياً . " [9]

ب - مركب جر مقترن بلام التوكيد :

" لإلى الله تحشرون . " [10]

- مركب جر يتوسط جزئي الجملة :

" ونحن له مخلصون . " [11]

- مركب جر :

" وعليها ما اكتسبت . " [12]

ثانيا : تقديم المسند إليه على المسند (المبتدأ على الخبر الفعلي) : أشار عبد القاهر وجمهور البلاغيين إلى أن تقديم المسند إليه على المسند لإفادة التخصيص ، إذا كان الخبر مثبتاً ، أما إذا كان منفياً فإنه يفيد الاختصاص عند عبد القاهر قطعاً .

أحصينا في هذا التقديم ما يزيد عن 38 تركيباً بين مثبت ومنفي:

أ-المسند منفي :

" يا بني آدم اذكروا نعمة الله عليكم ... ولاهم ينصرون " [1]

---

[1] –يوسف12

[2] –البقرة137

[3] –المائدة12

[4] –النحل .52

[5] –العنكبوت.67

[6] –فصلت.46

[7] –البقرة 285

[8] –الفاتحة .4

[9] –الأنعام .15

[10] –آل عمران .158

[11] –البقرة138

[12] –البقرة285

ب-المسند مثبت :

" **لا تعلمهم نحن نعلمهم** . " [2]

ويكون التخصيص في المسند إليه الذي يرد :

أ-اسماً ظاهر :

" **الله يبسط الرزق لمن يشاء** ." [3]

ب-ضميراً :

" **هو أنشأكم من الأرض** . " [4]

يأتي الضمير (المسند إليه) :

أ- مقترناً بالواو :

" **ونحن نسبح بحمدك** . " [5]

ب- مجرداً من الواو :

" **إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً** . " [6]

ج- ويكون المسند إليه مسبوقاً بنفي صريح :

" **وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم** . " [7]

" **وما أنت بمؤمن لنا** . " [8]

ويأتي الضمير مسبوقاً بهمزة الاستفهام المباشرة :

" **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الناس** ." [9]

ويكون مسبوقاً بهمزة الاستفهام المتبوعة بالفاء :

" **أفأنت تسمع الصم** ." [10]

وفي كل هذه التراكيب الشريفة يكون المسند فعلاً أو مشتقاً :

أ- المسند فعل :

"و **إن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون** ." [11]

" **نحن نرزقكم وإياهم** ." [12]

ب- المسند مشتق :

" **وما أنت بمسمع من في القبور** . " [13]

" **وما أنت علينا بعزيز** ." [1]

---

[1] –البقرة 47-.48

[2] – التوبة 102

[3] –الرعد .27

[4] – هود 60

[5] –البقرة 29

[6] – الإنسان 23

[7] –النمل .83

[8] –يوسف17

[9] –المائدة118

[10] –الزخرف .39

[11] –يس .42

[12] –الأنعام152

[13] –فاطر .22

[1] –هود .91

ثالثا : تقديم المسند على المسند عليه :

الاختصاص فيه يعني قصر المسند إليه على المسند ، أي تقديم الخبر على المبتدأ ، وهو المشهور في قولهم : (تميمي أنا) .

وقد ورد هذا التقديم في القرآن الكريم بتواتر يزيد عن 28 مرة حسب ما يرمي به السياق ، أكثر هذه التراكيب يأتي فيها المقصور عليه مركب جر (اسم مجرور باللام التي تفيد الملك) :

" لله ملك السماوات والأرض ." [2]

" ولله غيب السماوات والأرض ." [3]

" له الملك وله الحمد . " [4]

" له مقاليد السماوات والأرض ." [5]

وقد يرد المقصور عليه مركب جر :

أ- مجرور بـ "على" :

" فعلي إجرامي ." [6]

" ... ثم إن علينا حسابهم . " [7]

ب- مجرور بـ " إلى " :

" إن إلينا إيابهم . " [8]

ج- حرف الجر به " في " :

" لا فيها غول . " [9]

ويجيء المسند إليه اسم نكرة :

" سلام هي حتى مطلع الفجر ." [10]

ويعرب المسند إليه في أغلب هذه التراكيب خبرا للمبتدأ المؤخر ، أو متعلقا بمحذوف خبرا.

ويأتي المسند إليه خبراً لـ "كان" أو "لأن" :

" قل إن كانت لكم الدار الآخرة . " [11]

" واعلموا أن فيكم رسول الله . " [12]

والمتتبع لهذه التراكيب يلاحظ كمثيلاتها تأتي مقترنة بالواو أو الفاء أو بقل أو بأداة التوكيد وقد تكون مجردة من كل هذا :

" ولله جنود السماوات والأرض . " [1]

" فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض . " [2]

---

[2] –الجاثية .26

[3] –هود .121

[4] –التغابن 1

[5] – الشورى 10

[6] –هود .35

[7] –الغاشية .26

[8] –الغاشية .25

[9] –الصفات .47

[10] –القدر .5

[11] – البقرة 93

[12] – الحجرات 7

[1] –الفتح .4

" قل فلله الحجة البالغة . " [3]

" إلى ربك منتهاها . " [4]

" إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم . " [5]

ونشير إلى أن معظم هذه التراكيب في النظم الشريف مثبتة ، وقد تكون منفية نحو :

" لا فيها غولا. " [6]

ثم إن المقصور في المسند إليه يأتي :اسماً مفرداً محلاً بلام التعريف ، أو نكرة ، أو ضميراً أو تركيباً إضافياً :

" وله الكبرياء في السماوات والأرض . " [7]

" وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة . " [8]

" له مقاليد السماوات والأرض . " [9]

ويمكن أن نسجل أيضاً أن المسند إليه (المبتدأ المؤخر) ، أي المقصور قد يكون محذوفاً:

" قل لمن ما في السماوات والأرض ، قل لله . " [10]

أي لله ما في السماوات والأرض .

الوظائف البلاغية بحسب حقولها الدلالية لطريق التقديم :

لقد أسهم هذا الطريق كسابقيه في تأدية المعاني الكلية للقرآن الكريم و منها :

1 - **توحيد الله وإفراده بالعبودية :**

" إياك نعبد وإياك نستعين . " [11]

أي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك ، ونخصك بالاستعانة فلا نمد يداً لسواك .

" بل الله فاعبد وكن من الشاكرين . " [12]

أي اعبده وحده ولا تشرك به شيئاً .

" وإياي فاتقون . " [13]

أي لا تتقوا ولا تخافوا إلا الله .

2 - **إظهار عظمة الله تعالى وقدرته :**

" ولله المشرق والمغرب . " [14]

و المعنى الأرض لله تعالى فقط لا لهم ، فليس للمشركين حق في منع شيء منها عن عباد الله المخلصين .

" و لله ملك السماوات والأرض ." [1]

---

[2] –الجاثية .35

[3] – الأنعام 150

[4] –النازعات .43

[5] –الغاشية 25–.26

[6] –الصافات .47

[7] –الجاثية 36

[8] –القيامة 21–.22

[9] –الشورى .10

[10] –الأنعام 13

[11] –الفاتحة .4

[12] –الزمر .63

[13] –البقرة 40

[14] –البقرة 114

[1] –المائدة 19

يقول المفسر : " تذليل مؤذن بانتهاء الكلام ، عبودية كل الموجودات لله تعالى " [2]

" قل فلله الحجة البالغة . " [3]

يقول المفسر : " تقديم المجرور على المبتدأ لإفادة الاختصاص ، أي لله لا لكم ، ففهم منه أن حجتهم داحضة ." [4]

" نحن نرزقكم وإياهم . " [5]

أي نحن ـ الله سبحانه - نرزقكم و أبناءكم ، لا أنتم ترزقون أنفسكم و لا ترزقون أبناءكم .

يقول المفسر : " والتركيب متضمن لمعنى التحذير لأن كثيراً من القبائل العربية كانت تئد البنات ." [6]

3 - **وجوب الساعة و البعث :**

" إليه يرد علم الساعة ." [7]

التركيب الشريف جواب من الرسول صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الساعة ووقتها فقال : " إلى الله وحده يفوض علم الساعة لا إلي . "

" ذلك حشر علينا يسير ." [8]

التركيب الكريم رد على نفاة الحشر ، فهو يسير في جانب قدرتنا يقول عز وجل : لا كما تزعمون ، و في الإيضاح : " لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذي لا يشغله شأن ."

" ... إلى ربكم ترجعون ." [9]

أي لا إلى غيره ، فيحاسبكم على أعمالكم .

" أنه على رجعه لقادر ." [10]

أي أنه على بعثه لقدير .

" وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ." [11]

وذلك يوم القيامة .

" إلى ربك منتهاها ." [12]

أي لا إليك .

4 - **الوعيد :**

" ... أغير الله تدعون ." [1]

أي أتعرضون عن دعاء الله فتدعون غيره دونه كما هو دأبكم الآن ، يقول المفسر: " تقديم " أغير الله " على عامله " تدعون " لتكون الجملة المستفهم عنها جملة قصر ،

---

[2] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ص 119./7

[3] –الأنعام 150

[4] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ص 159./8

[5] –الأنعام 152

[6] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ص 159./8

[7] –فصلت 46

[8] – ق 44

[9] –الجاثية .14

[10] –الطارق 8

[11] –القيامة 21-.22

[12] –النازعات .43

[1] –الأنعام 41

فالقصر لحكاية حالهم لا لقصد الرد على الغير ، فقد دل الكلام على التعجب ، أي تستمرون على هذا الحال ، والكلام زيادة في الإنذار . " [2]

" أفغير الله أبتغي حكما ." [3]

يقول المفسر : " الهمزة للاستفهام الإنكاري ، المفعول هو محل الإنكار فهو الحقيق بمولاة همزة الاستفهام ، والمعني لا أطلب حكما بيني وبينكم غير الله الذي حكم حكمه عليكم بأنكم أعداء مقترفون . " [4]

والظاهر في التركيب نفي ابتغاء الحكم في حال تعلقه بغير الله ، أي لا أتخذ حكما غير الله

" إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم ." [5]

أي أن إيابهم لا يكون إلا لله ، وحسابهم لا يكون إلا عليه ، وفي التركيب إشارة إلى البعث

5 - **حقيقة الرسل ووظفتهم :**

" أ فأنت تسمع الصم ... " [6]

أ أنت خصوصا قد أوتيت أن تسمع الصم ، يقول المفسر : " تجد فيه معنى الاختصاص وأنك أنت خصوصا ليست قادرا على ذلك ، وإنما القادر هو الله ، ويبن ذلك قوله : " إن الله يسمع من يشاء ." [7]

" وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ." [8]

شبههم بعميان تنزيلا لهم ، أي ولست خصوصا قادرا على هدايتهم (هدية تأثير)، وإنما الذي يقدر عليه هو الله الذي يهدي من يشاء .

" أما من استغني فأنت له تصدى ." [9]

أي أنت لا غيرك ، يقول المفسر : " الإتيان بضمير المخاطب مظهر قبل المسند الفعلي دون استتاره في الفعل مقيد للاختصاص ، أي ذلك التصدي لا يليق بك ، وهذا قريب من قولهم : " مثلك لا يبخل " ، أي لو تصدى له غيرك لكان هونا ، فأما أنت يتصدى مثلك لمثله ، فمناط العتاب هو أنه من أنه وقع من النبي صلى الله عليه وسلم في جليل قدره " [10]

والتركيب الشريف ورد في سياق دعوة صناديد قريش إلى الإسلام .

---

[2] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 7/.224

[3] –الأنعام 115

[4] ––محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 8/.14

[5] –الغاشية 25-.26

[6] – الزخرف 40

[7] –محمد أبو موسى ، الدلالات ، ص .181

[8] –النمل 83 ، الروم .52

[9] –عبسى 6

[10] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ص 30/.108

6 - وعد المسلمين والإشادة بهم :

" ...لتكون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا." [1]

تقدم الجار والمجرور " عليكم " على عامله " شهيدا " للتخصيص ، وفيه اهتمام وتشريف لأمر هذه الأمة فهي تشهد على الأمم السابقة ، وهي لا يشهد عليها إلا رسولها.

" لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم اليوم . " [2]

تقديم المجرور لإفادة الاختصاص ، أي الجنة للقوم الذين يذكرون لا لغيرهم .

" لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون . " [3]

وذلك عن خمور الجنة ، فهي بلا شك معدة للمتقين والمؤمنين ، يقول المفسر : " أي عدم الغول مقصور على الاتصاف بفي خمور الجنة ، لا يتجاوزه بفي خمور الدنيا ، والمعني أن الغول مقصور على عدم الحصول في خمور الجنة ، لا يتجاوز إلى عدم الحصول في خمور الدنيا ، فهو قصر حقيقي ." [4]

7- **القصص والعبرة :**

" أ أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . " [5]

الآية في سياق قصة عيسى عليه السلام ، يقول المفسر : " وتقدم المسند إليه على الخبر الفعلي يدل على أن الاستفهام موجه إلى تخصيصه للخبر دون غيره . " [6]

" وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ." [7]

تقدم المجرور " على " ، علي متعلقه " حرم " يفيد الاختصاص ، أي عليهم لا على غيرهم من الأمم .

" ... وإنا له لحافظون ... ،و إنا له لناصحون ." [8]

النظم الشريف في سياق قصة يوسف عليه السلام وإخوته، جعلوا أنفسهم لفرط عنايتهم به تصنعا و ادعاء أمام أبيهم بمنزلة من لا يحفظ غيره ولا ينصح غيره، أي "يوسف".

" قال هي راودتني عن نفسي ." [9]

السياق دائما في قصة يوسف ، فتقديم المسند إليه الضمير " هي " ، على خبره الفعلي "راود" يفيد القصر للرد على امرأة العزيز ، قيل إنه كان مع العزيز رجل من أهل امرأته وهو الذي شهد وكان فطنا عارفا بوجوه الدلالة .

" ... فعلي إجرامي ." [10]

النظم الشريف في سياق قصة هود عليه السلام ، تقديم "على " مؤذن للقصر ، أي إجرامي علي لا عليكم ، فلماذا تكثرون ادعاء الافتراء كأنكم ستؤاخذون بتبعتي .

8 - نعم الله على خلقه ورحمته بعباده :

" وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . " [11]

" والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ." [1]

---

[1] –البقرة 142

[2] –الأنعام 128

[3] –الصافات .47

[4] –الزمخشري ، المرجع السابق ، ص 27./1

[5] –المائدة 118

[6] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ص 113./7

[7] –الأنعام 147

[8] –يوسف 11-12

[9] –يوسف 26

[10] –هود .64

[11] – يس 32

يقول الزمخشري : " فالأكل محصور في الحب لأنه هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم منه صلاح الإنس ، وإذا قل جاء القحط ، فوقع الضر ، وإذا جاء فقد جاء الهلاك ونزل البلاء . " [2]

وفي الآية الثانية فإن المفسر يقول : " والأكل محصور في الأنعام لأن كلا منها هو الأصل الذي يعتمد عليه الناس في معاشهم ، وأما الأكل من غيرها ، من الدجاج والبط وصيد البحر والبر كغير المعتد به ، وكالجاري مجرى التفكه ." [3]

والقصر في الآية الأولي حاصل من تقديم الجار والمجرور "منه " أي الحب على عامله " يأكلون " ، وفي التركيب الشريف الثاني حصل القصر من تقديم المفعول " الأنعام " على عاملها "خلق " .

إنها للفتة طيبة من الزمخشري ، فقد اعتبر أن الحب والأنعام أصل على سبيل القصر الادعائي .

الوظائف البلاغية لطريق التقديم :

لقد أشرنا إلى أن طريق التقديم ، وفي تركيبه القصري يشع بكثير من الأسرار والنكت البلاغية ، يقول الدكتور بكري شيخ أمين وهو يتحدث عن الجمال الفني لأسلوب القصر : " لو استقرأنا بدائع التعبير الفني في لغتنا الجميلة لوجدنا كثيرا منها معتمدا على أسلوب القصر ... وإذا كان لطرق القصر المختلفة جمال ، فلتقديم ما حقه التأخير قصب السبق وراية الجمال وشارة الحسن . " [4]

هذا ما لا يراه الدكتور محمد أبو موسى إذا يقول وهو يشير إلى طريق التقديم : " فلم نر في القصر هنا تلك الأسرار والكوامن التي رأينها مع " إنما " ، و " النفي والاستثناء" ، وإنما هو قصر فقط ويجاء بمعونة السياق ... ، حيث لا تكون الحقيقة المخبر بها مما يجهله المخاطب ولا تكون مما يعلمه ، المقامات هنا أشبه بتلك المقامات الحقيقية ، وهي بليغة ولا شك ، أما مقامات " إنما " و " النفي والاستثناء " فهي أشبه بمقامات المقتضية للمجازات وهي أخلب وأخصب . " [5]

حسب طريق التقديم من البلاغة أنه يمثل طاقات تعبيرية يديرها المتكلم ويسخرها تسخيرا منضبطا للبوح بأفكاره وألون أحاسيسه ومختلف خواطره ، وموقع الكلمات في الجملة عظيمة المرونة كما هي شديدة الحساسية ، وأي تغير فيها يحدث تغيرا جوهريا في تشكيل المعاني التي تحدث ظلالا ونكتا .

ونحسب أن الدكتور محمد أبو موسى لا ينفي أن لطريق التقديم أسرارا وظلالا ، وإنما لا يراه يرقي في ذلك إلى ما في الطريقين " إنما والنفي والاستثناء " من مجازات وأسرار بلاغية .

ولنقف مع بعض تراكيب القصر بهذا الطريق لنكشف معاً بعض هذه الأسرار والظلال :

" أ فغير الله تتقون ." [1]

---

[1] –النحل 5

[2] –الزمخشري ، المرجع السابق ، 11/4 .

[3] –الزمخشري ، المرجع السابق ، 460/2 .

[4] –بكري الشيخ أمين ، المرجع السابق ، ص

[5] –محمد أبو موسى ، الدلالات، ص 186 .

[1] – النحل 52 .

الهمزة للاستفهام الإنكاري ، فتقواهم منكرة في حال تعلقها بغير الله ، لا في كل حال ، والتركيب الشريف يحمل مع هذا التخصيص للمتقدم تعظيما له ، وتشنيعا لفعل هؤلاء القوم

" أ فبنعمة الله يجحدون ." [2]

فظاهر التركيب الشريف إنكار جحدهم للنعمة ، ويتضمن مع ذلك تعظيما من جهة المفهوم لهذه النعمة ، ناهيك عما تخفيه السطور من توبيخ لهؤلاء الجاحدين للنعمة .

" أ فبعذابنا يستعجلون ." [3]

في التركيب الشريف استفهام إنكاري ، فإنكار الاستعجال منحصر في معموله " العذاب " المقدم عليه ، هذا منطوق ، أما المفهوم يوحي بتهويل العذاب ، والتعجب من أفعال الكفار التي تعكس مدي غفلتهم وعنادهم .

" أ فغير الله ابتغي حكما ." [4]

في النظم الشريف نفي ابتغاء الحكم في حال تعلقه بغير الله ، والمفهوم يعكس تعظيم الله ، وتحقير المشركين وشركائهم .

كل هذه التراكيب الشريفة تصرح بإنكار منحصر في المعمول المقدم ، وتختلف أحيانا في الظلال المشعة منها من خلال ما يبطنه النظم الشريف من تهول وتحقير وتعظيم وتعجب ، أ فبعد هذا من أسرار ؟

" إياك نعبد وإياك نستعين ." [5]

يقول المفسر : " يحمل التركيب فنا بديعا من فنون نظم الكلام البليغ عند العرب وهو المسمي في البلاغة " التفاتا " ، عنوا به لأنه فيه تجديد أسلوب التعبير عن المعنى بعينه تحاشيا من تكرار أسلوب بعينه . الحصر المستفاد من تقديم المعمول حصر حقيقي لأن المؤمنين الملقنين لهذا الحمد لا يعبدون إلا الله ، نخصك بالعبادة كما نخصك بالاستعانة .

والحصر المستفاد من التقديم " إياك نستعين " حصر ادعائي (مجازي) للمبالغة لعدم الاعتداد بالاستعانات المتعارفة بين الناس ، بعضهم ببعض في شؤونهم ، ومعناه لا نستعين على عظائم الأمور التي لا يستعان فيها بالناس إلا بالله تعالى .

يفيد هذا القصر فيهما التعريض بالمشركين الذين يعبدون غير الله ويستعينون بغيره ، وقد استفاد الرد على المشركين ونحوهم بطريق التعريض ، أي بطريق عرض الكلام ، لأن القصر الحقيقي لا يصلح أن يكون لرد الاعتقاد إلا تعريضا ، لأن معناه حاصل على الحقيقية ... فمقام الآية مقام مفتتح الوحي والتشريع ، واستهلال الوعظ والتقريع ، فناسب تأكيد الحكم بالقصر مع التعريض بحال الشرك الشنيع ، على ان تعليق الأمر بهما في جواب الشرط على حصول أي سؤال وأية استعانة يفيد القصر تعريضا بالمشركين ."[6]

تركيب شريف في غاية الإيجاز ولكنه ملئ العبارة دلالة ، نقف فيه على الالتفاف ، وعلى التعريض ، وعلى القصر الحقيقي، و على القصر الادعائي ذلك أن الاستعانة يمكن أن تكون بالعبد في بعض الأمور التي بإمكان العبد القيام بها كيف لا وقد قال تعالى : " وتعاونوا على البر والتقوى " ، ولكنه لا يستعين في عظائم الأمور إلا بالله سبحانه وتعالى ، ولا تعد الاستعانة حقيقية إلا الاستعانة بالله .

" أ فأنت تسمع الصم أو تهدي العمي... " [1]

---

[2] – النحل 71 .

[3] – الشعراء 204 .

[4] – الأنعام 115

[5] – الفاتحة 4 .

[6] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 186/1 .

[1] – الزخرف 39

التركيب القصري ورد على سبيل التمثيل ، لأن إسماع الصم مما لا يدعه أحد ، فشبه النبي صلى الله عليه وسلم في هدية الكفرين الذين أصروا على كفرهم بمن يحاول إسماع الصم وهدية العمي ، فكل منهما يطلب أمرا لا يحصل ، يقول الدكتور لاشين : " قدم الفاعل هنا لأن القصد بالإنكار إليه على معني : أ أنت لا غيرك تقدر على هداية البشر ؟ بل نحن لا أنت نستطع هدايتهم . " [2]

لا يخفي على أحد ما في العبارة الشريفة من تنبيه وتوجيه تبطنه السطور .

يطلعنا الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وهو يستقرئ النظم الشريف على لطائف وأسرار عجيبة ، يقول تعالى :

" فلله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين وله الكبرياء ... وهو العزيز الحكيم ." [3]

يقول المفسر : " الفاء لتفريع الحمد والثناء على الله تفريعا على ما احتوت عليه السورة من ألطاف الله ... كان ذلك كله دالا على اتصافه بصفات العظمة والجلالة وعلى إفضاله على الناس بدين الإسلام كان حقيقا بإنشاء قصر الحمد عليه ، فيجوز أن يكون هذا الكلام مرادا منه ظاهر الإخبار ، وأن يكون مع ذلك مستهلا في معناه الكنائي ، وهو أمر الناس بان يقصروا الحمد عليه .

أو إنشاء حمد لله تعالى وثناء عليه ونظيره : " فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ." وتقديم "لله " لإفادة الاختصاص أي الحمد مختص به تعالى يعني الحمد الحق الكامل مختص به تعالى ، وإجراء وصف " رب السموات والأرض " على اسمه إيماء إلى علة قصر الحمد على الله إخبارا وإنشاء وتأكيدا .

وتقديم المجرور في " له الكبرياء " مثله ، والكبرياء معناه الكبر الحق الذي هو كامل الصافات وكامل وجود ." [4]

" وما أنت علينا بعزيز ." [5]

التركيب الشريف في سياق قصة هود عليه السلام مع قومه ، يقول المفسر إن التقديم فيه للاختصاص ، وأنهم يريدون نفي ذلك عنه خصوصا ، بخلاف قومه فإنهم أعزة عليهم ، قد دل إيلاء الضمير حرف النفي على أن الكلام وقع في الفاعل لا في الفعل ، كأنه قيل : وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ، ولذلك قال في جوابهم : " أرهطي أعز عليكم من الله ؟ ولو قيل : وما عززت علينا لم يصح هذا الخبر ." [6]

كل هذا اسهم فيه طريق التقديم .

" خذوه فغله ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ." [7]

تقديم المفعول " الجحيم " يفيد الاختصاص ، ويفيد إلى جانب ذلك التهويل والغضب ، ورعاية الفاصلة التي تضفي عل التركيب جانبا موسيقيا على الرغم من هول الموقف الذي يسلكه المشهد الحركي في النظم الشريف ، وهكذا فإن المتتبع لطريق القصر في التقديم سيقف على لطائف وأسرار بلاغية جمة.

ونحن نستقرئ التركيب القصرية بهذا الطريق وجدنا تلك المرونة التي أبدها القصر في الطريقين السابقين : " النفي والاستثناء " و "إنما " ، وإن كانت اقل منهما على

---

[2] – عبد الفتاح لاشين ، من أسرار التعبير القرآني ، ص 164 .

[3] – الجاثية 36 .

[4] – محمد الطاهر بن عاشور المرجع السابق ، 377/30 – 378 .

[5] – هود 91 .

[6] – الزمخشري ، المرجع السابق ، 331/2 .

[7] – الحاقة 30-32

مستوي الوظائف النحوية ، والوظائف البلاغية ، كما اسهم تركيب القصر في طريق التقديم في ابراز الدلالات والمقاصد التي يرمي إليها النص القرآني .
وخلصنا إلى أن صور التقديم بالنسبة لدلالتها على القصر متفاوتة ، بعضها يدل عليها دلالة مطلقة ، وبعضها دلالة غالبة ، وبعضها يدل عليه أحيانا .

المطلب الرابع : ضمير الفصل وتعريف الجزأين :

ضمير الفصل يأتي به للفصل بين المسند إليه والمسند المعرفتين تجنبا للالتباس بالصفة و تعريف الجزأين أي تعريف المسند (الخبر).

وإنما ادمجناهما معا لكونهما لا ينفصلان في كثير من التراكيب ، ثم إن القصر في كليهما لا تدل عليه الكلمة أو القرينة وإنما يتولد بطريقة احتكاك الألفاظ ، وتفاعل معانيها على الرغم من العبارة لا تقديم فيها ولا تأخير ، وذلك باعتماد التركيب الترتيب المعتاد بين المسند إليه والمسند .

يقول الدكتور أبو موسى : " القصر بتعريف المسند ، وضمير الفصل هو التصرف في استخدام الكلمات واستثمار أحوالها في توليد الدلالات ، فهي وسائل في الصياغة وتصرف في العبارة ولقانة في استخدم الكلمة .

فالقصر المفاد من قولك : " محمد هو الشاعر " لم تدل عليه الكلمة ، وإنما تولد بطريقة خفيفة لطيفة ، من احتكاك الألفاظ وتفاعل معانيها ، لأنك لما قلت : " هو " بعد قولك : " محمد " أفدت أنك تقصد إلى تمييزه وتحديده وتخصيصه ، قبل أن تخبر عنه وهذا لا يكون إلا إذا كنت حريصا على أن لا يشاركه غيره في هذا الخبر ، وهذا هو معنى قصر هذا الخبر عليه ، الدلالة هنا لم تنشق عنها ظهر الكلمة ، كقولك : هو مقصور على الشعر ، أو يشغل وقته كله بالشعر ، وإنما تولدت مما بين الكلمات ليس من متن الكلمة وإنما من حافتها ، " محمد الكاتب " وذلك لأن التعريف باللام يفيد الجنسية ولهذا اتسعت بها الكلمة فاستغرقت الأفراد فردا فردا حتى زادت عن قولك : الكاتبون ، لأنه لا يستغرق المجموعة جمعا جمعا ، فكان الإخبار بها عن محمد يعني أن محمدا هو كل كاتب ، وما دام كذلك فليس كاتبا سواه ، وهذا هو معني القصر." [1]

أما الأمام عبد القاهر فيقول : " إن مذهب الجنسية في الاسم هو خبر غير مذهبها وهو مبتدأ تفسير هذا ، أنا وإن قلنا إن اللام في قولك (أنت الشجاع ، للجنسين ، كما هو في قولهم : الشجاع موقى والجبان ملقى ، فإن الفرق بينهما عظيم ، وذلك أن المعني في قول الشجاع موقى ، أنك تثبت الوقاية لكل ذات من صفتها الشجاعة فهو في معني قولك الشجاع كلهم موقون ... أنك تجعل الوقاية تستغرق الجنس وتشيع فيه ، وأما في قولك أنت الشجاع فلا معني فيه الاستغراق إذ ليست تريد أن تقول : أنت الشجاعان كلهم حتى كأنك تذهب به مذهب قولهم : أنت الخلق كلهم وأنت العالم . " [2]

ومهما يكن فإنك تريد أن تخصص الضمير بالشجاعة دون غيره ، فشجاعتهم باعتبار شجاعته لا اعتبار لها عندك ، وإن كانوا هم أيضا شجعان .

علماء البلاغة يعدون تعريف المسند وضمير الفصل من طرق القصر ، وقد شاع استعملهما في النص القرآني ، فاق تواترهما به طريقة التقديم ، باعتبار أن دلالة التقديم على الاختصاص ليست اشهر دلالاته بجانب العناية والاهتمام ، وإن كنا نرى أن كل هذا يدخل تحت أغراض القصر ، بخلاف تعريف المسند والضمير فإن الاختصاص أبرز المقصود بهما . يقول تعالى :

" وهو القاهر فوق عباده ." [1]

التركيب الشريف مسند إليه ومسند (مبتدأ وخبر) ، فهو من طريق تعريف الجزئين .

---

[1] – محمد أبو موسى ، الدلالات، 92-93 .

[2]– عبد القاهر الجرجاني ، المرجع السابق ، 196-197 .

[1] – الأنعام 19

" أولئك هم المفلحون " [2]

التركيب الشريف مسند إليه ومسند يفصل بينهما ضمير ، القصر فيه بطريق ضمير الفصل .

ضمير الفصل يأتي في صيغ متباين من حيث التصريف :

أ ـ صيغة المخاطب المفرد :

" ...إنك أنت الوهاب ." [3]

" ...كنت أنت الرقيب عليهم ." [4]

ب - صيغة الغائب المفرد :

" إن شانئك هو الأبتر ." [5]

" إن هدى الله هو الهدى ." [6]

ج- صيغة الغائبين (هم) :

" و أولئك هم الراشدون ." [7]

" و أولئك هم المهتدون . " [8]

قد يكون الضمير مقترنا باللام ، ويختص بالتراكيب التي بها " إن " مفيدا للتأكيد :

" إن هذا لهو القصص الحق . " [9]

وبهذا تكون الجملة الشريفة مؤكدة لعدة مؤكدات : إن ، اللام ، الضمير ، القصر .

وفي هذه التراكيب القصرية نجد ان المسند إليه يرد :

1- اسما ظاهرا (مبتدأ) :

" فالله هو الولي ، وهو يحي الموتى . " [10]

" الله الصمد ." [11]

2- اسما ظاهرا (اسم إن) :

" إن هدى الله هو الهدى ." [12]

3- ضميرا (مبتدأ) :

" هو الذي خلقكم من طين . " [13]

4- ضميرا متصلا (اسم أن) :

" وأنه هو أمات وأحيا . " [1]

5- اسم إشارة (مبتدأ) :

" ذلك الفضل من الله . " [2]

---

[2] – لقمان 5 .

[3] – آل عمران .8

[4] – المائدة 119 .

[5] – الكوثر .3

[6] – البقرة 119 .

[7] – الحجرات 7 .

[8] – البقرة 156 .

[9] – آل عمران .61

[10] – الشورى 7 .

[11] – الإخلاص 2 .

[12] – البقرة 119 .

[13] – الأنعام 3

[1] – النجم 43 .

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون . "[3]

و الملاحظ أن تراكيب ضمير الفصل لم يرد فيها المبتدأ ضميراً منفصلاً ، إذ لا يمكن ذلك عربية .

وعلى هذا فالمسند إليه ورد مبتدأ ، واسماً لـ "إن" أو "أن" ، واسماً لـ " كان " :

" فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم . "[4]

أم المسند (المقصور) فقد جاء في تراكيب ضمير الفصل :

أ-جملة فعلية فعلها ماض (في محل رفع خبر) :

" وأنه هو أضحك وأبكى . " [5]

" وأنه هو أمات وأحيا . " [6]

تلاحظ أن الأفعال الماضية الثلاثة : (ضحك ، بكى ، مات) عديت بالهمزة للمفعولية لأنها لا تناسب الذات العلية ، فمحال في حقها مماثلة البشر ، أم الحياة فهو الحي الذي لا يلحقه العدم .

ب-اسماً ظاهراً (خبر لمبتدأ) :

" أولئك هم المفلحون ." [7]

ج-اسماً ظاهراً (في تركيب وصف ، خبر إن) :

" إنك أنت العليم الحكيم . "[8]

د-تركيباً إضافياً :

" أولئك هم شر البرية . " [9]

هـ- ويجيء جملة فعلية فعلها مضارع :

" فالله هو الولي ، وهو يحي الموتى . "[10]

ويمتنع أن يكون جملة اسمية أو ضميراً ، لأن ذلك مما لا يستقيم عربية .

و الملاحظ على هذه التراكيب أن أغلبها مصدرة "بإن" أو "أن" المؤذنة بتقرير الخبر وتأكيده ومصدرة أيضاً باسم الإشارة "أولئك" المؤذن بالقوة و التنبيه .

" وأنه هو أضحك وأبكى " [11]

" وأنه هو رب الشعرى " [12]

" وأنه هو أمات وأحيا . " [1]

" إنه هو التواب الرحيم . " [2]

" إن هدى الله هو الهدى . " [3]

---

[2] – النساء 69

[3] – المائدة 47 .

[4] – المائدة 119 .

[5] – النجم 42 .

[6] – النجم 43 .

[7] – البقرة 4

[8] – البقرة 31

[9] – البينة 6 .

[10] – الشورى .7

[11] – النجم 42 .

[12] – النجم 48 .

[1] – النجم 43 .

[2] – البقرة 36

" فإنك أنت العزيز الحكيم ."[4] (وقد تكررت مثل هذه الصيغة كثيراً في النص القرآني).

" أولئك هم شر البرية . " [5]

" أولئك هم خير البرية . "[6]

" أولئك هم الظالمون . " [7] (وقد تكررت مثل هذه الصيغة كثيراً في نظم القرآن) .

وقد تأتي قبل " إن" "ألا" الاستفتاحية .

" ألا إنهم هم المفسدون . " [8]

" ألا إنهم هم السفهاء . " [9]

وقد تكررت مثل هذه الصيغة كثيراً .

أما في تراكيب تعريف المسند فقد تنوع المسند هو الآخر :

فجاء اسماً ظاهراً :

" وهو الولي الحميد . " [10]

" ... ليعملون أنه الحق . " [11]

" إن الهدى هدى الله . " [12]

ولكنه جاء في الغالب اسم موصول وصلته :

" هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً . " [13]

" هو الذي أنزل عليك الكتاب . " [14]

" هو الذي أنزل إليك الكتاب مفصلاً . " [15]

" هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء. " [16]

" وهو الذي ينزل الغيث " [17]

وجاء المسند مركب جر في مثل هذه الصيغة التي تكررت أيضاً كثيراً في نظم القرآن .

" الحمد لله . "[1]

جاءت في بداية أربع سور (الأنعام ، الكهف ، السجدة ، الفاتحة) ناهيك عما جاء منها في طيات السور.

---

[3] – الأنعام 71 .

[4] – المائدة 120 .

[5] – البينة 6 .

[6] – البينة 7 .

[7] – المائدة 47 .

[8] – البقرة 11

[9] – البقرة 12

[10] – الشورى 26

[11] – البقرة 143

[12] – آل عمران 72

[13] – البقرة 28

[14] – آل عمران .7

[15] – الأنعام 115 .

[16] – آل عمران .6

[17] – الشورى 28 .

[1] – الفاتحة 1 .

والذي يدقق النظر في هذه التراكيب القصرية يجد أن المسند (المقصور) تغلب عليه صيغة التفضيل التي تفيد الكمال و بلوغ النهاية في الصفة ، كما يأتي في صيغة المبالغة المفيدة للتقوية والكثرة :

" إن ربك هو أعلم بالمعتدين . "[2] (صيغة أفعل).

" إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله . " [3]

" إن شانئك هو الأبتر . " [4]

" أولئك هم خير البرية . " [5]

" أولئك هم شر البرية . " [6]

" ذلك هو الفضل الكبير . " [7]

" إنك أنت علام الغيوب . " [8] (صيغة فعال)

" إنك أنت الوهاب . " [9]

" إن الله لهو العزيز الحكيم . " [10] (صيغة فعيل)

الحقول الدلالية بطريقي : ضمير الفصل وتعريف الجزأين

1 - توحيد الله :

" الحمد لله " [11]

أي الحمد لله لا لغيره ، فاللام للاختصاص .

" فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم " [12]

التركيب الشريف في سياق قصة عيسى عليه السلام ، يقول السيوطي : " لأنه لو لم يكن للحصر لما حسن ، لأن الله لم يزل رقيبا عليهم ، وإنما حصر بتوفيته أنه لم يبق له رقيب غير الله ." [13]

" ربي الذي يحي ويميت " [14]

أي أنه وحده سبحانه هو الذي يحي ويميت .

" وأنه هو أضحك وأبكي " [1]

يقول المفسر : " جاء ضمير الفصل ليفيد قصر الخبر على المبتدأ ، لأن الخبر قد يدعي فيه أنه يكون لغير الله سبحانه ." [2]

" وأنه هو أمات وأحيا ." [3]

---

[2] – الأنعام .120

[3] – القلم .7

[4] – الكوثر .3

[5] – البينة .7

[6] – البينة 6 .

[7] – الشورى .20

[8] – المائدة 118 .

[9] – آل عمران .8

[10] – آل عمران 61.

[11] – الفاتحة 1 .

[12] – المائدة 119 .

[13] – السيوطي ، معترك الأقران ، ص 141 .

[14] – البقرة 258 .

[1] – النجم 42 .

[2] – محمد أبو موسى ، الدلالات ، ص 93 .

كثير من الجاهلين يعتقدون أن حياة الناس وموتهم في أيديهم ، وليس كذلك بل الموت والحياة بأمر الله وحده .

" ... والأمر يومئذ لله ." [4]

التركيب الشريف في سياق البعث ، أي لا يأمر يومها إلا الله ، حتى الذي كان يدعي الأمر في الدنيا لن يكون كذلك.

"ألا إن الله هو الغفور الرحيم ." [5]

أي أن غفران الذنوب لا يكون إلا لله وحده

2 -الوعد :

" ... فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين ." [6]

لا شك أن الجنة هي أكبر فوزا يومها .

" ... وألئك هم المفلحون . " [7]

العبارة الشريفة واردة في سياق الإشادة بالمؤمنين في إخلاصهم وطاعتهم لله ، أي هم المفلحون لا غيرهم والفائزون بالدرجات العالية في جنة النعيم .

" ذلك الفضل من الله وكفي بالله عليما ." [8]

يفيد القصر في العبارة الشريفة أن فضل الله أنوع وأصناف بدليل اسم التفضيل ، ولكنه أريد المبالغة في قوة هذا الفضل ، كقولهم : أنت الرجل ، فالقصر قصر ادعائي .

3 - الوعيد :

" أولئك هم شر البرية ." [9]

أي هم مختصون بكونهم شر الخلق لا يشاركهم في ذلك غيرهم ، يقول المفسر : " وأقحم اسم الإشارة بين اسم إن وخبرها كتنبيه أنهم أحرياء بالحكم الوارد بعد اسم الإشارة من أجل الأوصاف التي قبل اسم الإشارة كما في قوله : " أولئك على هدى من ربهم . " ، ولا يريد أن الشيطان أشد شرا منهم لما علمت أن اسم البريئة اعتبر إطلاقه على البشر . "[10]

" أولئك هم الظالمون ." [11]

التركيب الشريف في سياق الاستهزاء والسخرية ، أي من لم يتب من هذه المعاني : السخرية ، اللمز ، الهمز ، ... فهو ظالم للناس بالاعتداء عليهم ، وظالم نفسه بأن رضي لها عقاب الآخرة ، يقول المفسر : " ... جيء له بصيغة قصر الظالمين عليهم كأن لا ظلم غيرهم لعدم الاعتداد بالظالمين الآخرين في مقابلة هؤلاء على سبيل المبالغة ليزدجروا ، وتوسيط اسم الإشارة لزيادة تمييزهم تفظيعا لحالهم وللتنبيه ." [1]

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ." [2]

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون . "[3]

---

[3] – النجم 43 .

[4] – الانفطار 18 .

[5] – الشورى 5 .

[6] – الحاثية 30 .

[7] – البقرة 5 .

[8] – النساء 69

[9] – البينة 6 .

[10] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق 507/30 .

[11] – الحجرات 11 .

[1] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق 250/26 .

[2] – المائدة 46 .

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . " [4]

ذهب أهل السنة من الصحابة إلى أن المراد بالآية خصوصا اليهود ، فقد بلغوا أقصى درجات الكفر ، كفر صاحبه الجور وتبديل الأحكام .

يقول المفسر : المراد بالظالمين الكافرون لأن الظلم يطلق على الكفر فيكون هذا مؤكدا للذي في الآية السابقة ، ويحتمل أن المراد به الجور فيكون إثبات وصف الظالم لزيادة التشنيع، عليهم في كفرهم لأنهم كافرون ظالمون . "[5]

يظهر من خلال هذا الطريق أن الحقل الدلالي المسيطر هو جانب التوحيد وإبراز صفات الله تعالى ، بإسناد صفات الكامل للذات العلية .

الوظائف البلاغية لطريقي (ضمير الفصل و تعريف المسند) :

جاء في كلام السيوطي عند حديثه عن ضمير الفصل قوله : " وممن ذكر أنه للحصر البيانيون في بحث المسند إليه ، و استدله السيهلي بأنه أتي به ـ في النص القرآني ـ في كل موضع ادعى نسبة ذلك المعنى إلى غير الله ، ولم يؤت به حيث لم يدع ... : " وأنه هو أضحك وأبكي ... الآيات ، ولم يؤت به في : " وأنه خلق الزوجين "، و أن عليه النشأة الأخرى " ، " وأنه أهلك عادا الأولي ." لأن ذلك لم يدع لغير الله ، وأتي به في الباقي لادعائه لغيره . " [6]

"لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون." [7]

العبارة الشريفة ممتلئة ، إنها مقارنة لطيفة تنتهي بنتيجة دقيقة ، قول فصل بأبلغ طريق : " أصحاب الجنة هم الفائزون " ، " أصحاب الجنة " العبارة وحدها تمييز لهم ، " الفائزون " فالتعريف يوحي بهذا التمييز ، ويأتي ضمير الفصل " هم " الذي يعطي للتركيب قوة ونغما ويوازن بين الجملتين ، جملة الحكم (عدم الاستواء بين أصحاب النار وأصحاب الجنة) ، وجملة التعليل (أصحاب الجنة هم الفائزون) ، ويأتي الضمير أيضا لتأكيد الخبر .

فالتركيب الشريف به قصر ملازمة (أصحاب النار) ، (أصحاب الجنة) ، وقصر بطريق ضمير الفصل وبتعريف المسند ، كلها جاءت لتجذب السماع والقارئ وترغب في عمل أهل الجنة .

يقول المفسر : " فبقدر ما قصر من تبشير ووعد لأصحاب الجنة ، فإنه تيئيس ووعد لأصحاب النار . " [8]

" ... وأولئك هم المفلحون ."[1]

التركيب الشريف في سياق الإشادة بالمتقين ، يقول المفسر : " هم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه (أولئك مبتدأ مقصور عليه ، والمفلحون خبر مقصور) ، وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة ، أو الإشارة إلى ما يعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم ، تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد

---

[3] – المائدة 47 .

[4] – المائدة 49 .

[5] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق 113/6 .

[6] – السيوطي ، معترك الأقران ، ص 140 .

[7] – الحشر 20 .

[8] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 110./8

[1] – البقرة 5 .

من وجوه شتى : بناء الكلام على اسم الإشارة للتعليل مع الإيجاز ، وتكرره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لإظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء آثرهم . " [2]

" ... أولئك هم الكافرون حقا ." [3]

التركيب الشريف في سياق الوعيد ، القصر فيه بطريق تعريف المسند ، والإتيان بضمير الفصل الذي يؤكد صفة الكفر عليهم ، يقول المفسر : " القصر ادعائي مجازي بتنزيل كفر غيرهم في جانب كفرهم منزلة العدم كقوله تعالى في المنافقين : " **هم العدو**... " [4]

ومثل هذا القصر يدل على كمال الموصوف في تلك الصفة المقصورة ، ووجه هذه المبالغة أن كفرهم قد اشتمل على أحوال عديدة من الكفر وعلى سفاهة في الخلق أو سفاهة في الرأي بمجموع ما حكى عنهم من تلك الصلات ، فإن كل خصلة منها اذا انفردت هي كفراً فكيف بها إذا اجتمعت ." [5]

" هو الذي أنزل عليك الكتاب مفصلا . " [6]

التركيب الشريف طريق القصر به تعريف المسند ، قصر صفة إنزال القرآن على الله تعالى ، يقول المفسر: " الجملة مع كونها تأكيدا وتنهدا ، إبطالاً أيضاً لقول المشركين : " إنما يعلمه بشر " ، " أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلة " ، " وما تنزلت به وما ينبغي له " ، ذلك أنهم قالوا : هو كاهن ، قول شاعر .

ومن خلال هذا يطلعنا المفسر على طريق من طرق القصر غير معهود ، فيقول : " ومن بدائع البلاغة أن ذكر في القصر فعل " أنزل " الذي هو مختص بالله تعالى ولو بدون صيغة القصر ، إذ الإنزال يرادف الوحي ، ولا يكون إلا من الله بخلاف لو قال : هو الذي أتاك الكتاب . [7]

" هو الذي خلقكم من طين . " [8]

أي هو الذي خلقكم لا غيره ، من طين لا من غيره ، وهو الذي قضى أجلا وأجل مسمى.

التركيب الشريف في سياق إنكار البعث ، لآن المشركين لما أنكروا البعث وهو الخلق الثاني نزلوا منزلة من أنكر الخلق الأول إذ لا فرق بين الخلقين ، بل الإعادة في المتعارف أيسر لقوله تعالى : " هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهول عليه ." ، " "أفعيينا للخلق الأول بل هم في لمس من خلق جديد ".

يقول المفسر: " والخطاب موجه في قوله : " خلقكم " إلى الذين كفروا ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ." [1]

" وهو القاهر فوق عباده و هو الحكيم الخبير ." [2]

جاء التركيب في إطار الاستعارة التمثيلية لحال الله سبحانه وتعالى (القاهر فوق عباده) وغرضها التوضيح وتجلية المعنى ، فالله سبحانه وتعالى يأخذ المغلوب من أعلاه فلا يجد حركة ، فهو قهر حقيقي لا يجد منه المقهور ملاذا ولا ملجأ ، إنه لمشهد عظيم يمثل الكمال المطلق في صفة القهر والغلبة ، أسهم في إنشائه طريق القصر بتعريف المسند .

---

[2] – البيضاوي ، المرجع السابق 65/1 .

[3] – النساء 150

[4] – المنافقون 4

[5] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 11/6-12 .

[6] – الأنعام 110

[7] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 153/3-.154

[8] – الأنعام 3 .

[1] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 129/7 .

[2] – الأنعام 19 .

المطلب الرابع : العطف (لا ، لكن ، بل) :

قبل أن نخوض هذا الطريق نذكر ما ذهب إليه الدكتور محمد أبو موسى إذ يقول: " إننا لا نحصي طرق القصر وإنما نشغل بالطرق التي يكشف البحث فيها عن دقائق معنوية وأسرار من الدلالة تفيض بها أداة القصر في السياق البارع ، وحين تتكشف لنا هذه الدقائق وهذه الأسرار نجد للجملة مغزى وسراً ومتاعاً ، ولست واجداً شيئاً من ذلك في طريق العطف ، فهو أقرب إلى تحديد الدلالة الأولية منها إلى التحليل الممتع . "[3]

ذلك أن طريق العطف يدل دلالة نصية على القصر ، أي أن الجملة تنص عن النفي والإثبات معاً ، بخلاف الطرق الأخرى فإن النفي فيها يفهم بالفحوى أو بالمفهوم و المقتضى ، فالنفي يفهم ضمناً ، فهي بهذا أقرب إلى الدلالات الانزياحية البلاغية .

وقد أشرنا إلى أن السكاكي يقدمه على " النفي والاستثناء " ، لأنه أقوى الطرق، للتصريح فيه بالنفي والإثبات .

وعلى الرغم من ذلك فإننا نقف عند بعض تراكيبه في النظم الشريف ، بخاصة من حيث الوظائف النحوية ، و الحقول الدلالية التي أسهم فيها .

أولاً : " العطف بلا " : وهي تفيد رد المخاطب إلى الصواب بنفي الحكم عن التابع بعد إثباته للمتبوع : " الأرض متحركة لا ثابتة ".

أما في نظم القرآن فإننا لم نحصل على طريق العطف بـ "لا" ، أي أنها لم ترد في تركيب قصري .

ثانياً : " العطف ببل " :

"بل" تفيد القصر إذا جاءت بعد نفي لأنها إذا جاءت بعد الإثبات فإنها تفيد إثبات الشيء للشيء فقط ، فقولك : " جاء خالد بل صالح " ، لا يفيد قصراً لأن المعنى هنا على أنك نقلت الحكم الأول إلى التابع ، وجعلت المتبوع في حكم المسكوت عنه ، وبذلك تفيد الجملة إثبات الشيء للشيء فقط ، أما قولك : " ما حضر خالد بل صالح " ، فإنك قد أثبت حكم الحضور إلى التابع (صالح) ، ونفيته عن المتبوع (خالد) .

وفي الجنى الداني : " "بل" إذا وقع بعده جملة كان إضراباً عن ما قبله إما على جهة الإبطال نحو قوله تعالى : **" أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق. "** [4]

إبطال لما زعموا ، وإما على جهة الترك و الانتقال من غير إبطال [5] : **" ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة . "** [6]

وقد أنكر قوم كونه للعطف ، فالعطف عند من يقول بالقصر لا يلاحظ النفي ، وإنما تكون لثبوت

الحكم لما بعدها ويصير حكم ما قبلها في حكم المسكوت عنه حتى بعد النفي فلا تفيد قصراً .

وقد تواتر تركيب القصر بطريق العطف " ببل " في النص القرآني 38 مرة من أصل 123 تركيباً ببل .

---

[3] – محمد أبو موسى ، المرجع السابق ، ص .101

[4] – المؤمنون 71 .

[5] – المرادي ، المرجع السابق ، ص .270

[6] – المؤمنون 64 .

فقد دلت على الإضراب الإبطالي تارة بصريح العبارة وهو قليل ، وتارة عن طريق التأويل الذي لجأ إليه المفسرون وهو كثير :

" ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ... " [1]

أي هم أحياء .

" لا تحسبن الذين يبخلون ... هو خير لكم بل هو شر . " [2]

" وقالت اليهود يد الله المغلولة ... بل يداه مبسوطتان . " [3]

أي بل نعمة الله مبسوطة ينفق كيف يشاء ، " عطف على مقدر يقتضيه المقام ، أي كلا ليس هو كذلك بل هو في غاية الجود . " [4]

و المستقرئ لتراكيب القصر بهذا الطريق يجد أنها تأتي :

أ-بعد الإثبات وهو كثير :

" ... قال بل سوت لكم أنفسكم أمراً . " [5]

" وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله لكفرهم . " [6]

ب-بعد النفي :

" وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه . " [7]

ج-بعد النهي :

" لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرً لكم . " [8]

" لا تحسبن الذين يبخلون ... هو خير لهم بل هو شر . " [9]

د-بعد الاستفهام (وهو كثير أيضاً) :

" قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا ... بل فعله كبيرهم هذا . " [10]

" أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد . " [11]

هـ-بعد " أم " :

" أم يقولون أفتراه بل هو الحق . " [12]

و-بعد الشرط :

" لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه ... بل نقذف للحق على الباطل . " [1]

"وإذا قيل لهم إتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا." [2]

وإجراء القصر في هذا الطريق كما بينه بعض المفسرين :

---

[1] – البقرة 153 .

[2] – آل عمران 180 .

[3] – المائدة 66 .

[4] – أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر للنشر و التوزيع، 2/.43

[5] – يوسف 18 .

[6] – البقرة 87

[7] – النساء 156-157 .

[8] –النور 11 .

[9] – آل عمران .180

[10] – الأنبياء 63 .

[11] – ق 15 .

[12] – السجدة .2

[1] – الأنبياء 18 .

[2] – البقرة 169 .

" قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا ... قال بل فعله كبيرهم هذا . " [3]

الظاهر أن بل للإضراب عن جملة محذوفة أي قال : لم أفعله و إنما الفاعل حقيقة هو الله و أسند الفعل إلى كبيرهم على جهة المجاز "[4]

" قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً . " [5]

التقدير : لم يأكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم ... ، أي ليس الأمر حقيقة كما أخبرتكم بل سولت لكم أنفسكم . [6]

" أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد . " [7]

قيل : هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلط من خلق جديد مستأنف.[8]

"وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا." [9]

جاء في البحر : وبل هنا عقف جملة على جملة محذوفة التقدير : لا نتبع ما أنزل الله بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . " [10]

" قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام . "

أي ما لبثت هذه المدة بل لبثت مائة عام .

" أم يقولون أفتراه بل هو الحق من ربك . " [12]

جاء في الفتوحات الإلهية : " ... إضراب ثان ، ولو قيل : إنه إضراب إبطال لنفس (إفتراه) وحده لكان صوابا ، وعلى هذا يقال : كل ما في القرآن إضراب انتقال إلا هذا فإنه يجوز أن يكون إبطالا ، لأنه إبطال لقولهم ، أي ليس هو كما قالوا مفترى بل هو الحق. " [13]

الظاهر أن كثيراً من التقديرات و التأويلات فيها تكلف .

ثالثاً : " العطف بلكن " :

" لكن " تفيد القصر إذا سبقها نفي أو نهي وجاء بعدها مفرد كبل يقول المرادي : " اعلم أن لكن لا يعطف بها إلا بعد نفي ، نحو : ما قام زيد لكن عمرو ، أو نهي نحو : لا تضرب زيداً ولكن عمرو ، والمعطوف بها محكوم بالثبوت بعد النفي والنهي ، ولا تقع

---

[3] – الأنبياء 63 .

[4] – أبو حيان ، المرجع السابق ، 324/6 .

[5] – يوسف 18 .

[6] – أبو حيان ، المرجع السابق ، 337/5 .

[7] – ق 15 .

[8] – الجمل سليمان ، الفتوحات الإلهية ، دار إحياء التراث العربي بيروت، 187./4

[9] – البقرة .169

[10] – أبو حيان ، المرجع السابق ، 480/1 .

[11] – البقرة 258

[12] – السجدة2.

[13] – –الجمل سليمان ، المرجع السابق ،10/3 .

في الإيجاب عند البصريين ، وأجاز الكوفيون أن يعطف بها في الإيجاب ، نحو : أتاني زيد لكن عمرو ... ومعنى لكن في جميع مواضعها الاستدراك . "[1]

" لكن " تأتي لإثبات الحكم للتابع بعد نفيه على المتبوع عكس " لا " ، فالذي بعد " لا " منفي عنه الحكم ، والذي بعد " لكن " ثابت له الحكم .

وللعلماء حبل ممدود للخلاف في كونها تفيد القصر أو لا تفيد ، ومنهم من يرى أنها لا تكون للقصر إلا إذا سبقت بنفي أو نهي ، وهناك من لا يشترط ذلك ، وقد عدلنا على هذا الخلاف إذ لا جدوى من الخوض فيه .

لقد تواترت " لكن " في نظم القرآن كتركيب قصر 30 مرة من أصل 66 تركيبا .

ولقد جاءت تراكيب القصر في هذا الطريق منفية بـ :

أ-" لا " :

" فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله . "[2]

ب-" ما " :

" ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً . "[3]

ج- " ليس " :

"ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب ولكن البر من آمن ... "[4] (في قراءة نافع وابن عامر برفع البر .)

د- " لن" :

" لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم . "[5]

ه- " لم" :

" قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا... "[6]

والملاحظ أن " لكن " في جميع تراكيب القصر مقترنة بالواو .

وقد جاء ما بعد " لكن " :

1- جملة فعلية فعلها مضارع :

" لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان." [7]

" ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ." [8]

2- جملة فعلية فعلها ماض (وهو كثير) :

" وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ." [9]

" وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ." [10]

3- جملة فعلية فعلها أمر :

" قالت الأعراب أمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ." [1]

---

[1] – المرادي ، المرجع السابق ، ص 591 .

[2] – يونس 104 .

[3] – آل عمران 66 .

[4] – البقرة 176 .

[5] – الحج 35 .

[6] – الحجرات 14 .

[7] – المائدة 91

[8] – المائدة 7 .

[9] – هود 101 .

[10] – البقرة 56 .

4- جملة اسمية خبرها مركب موصول :

" وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقي . " [2]

(في قراءة نافع وأبن عامر)

5- جملة فعلية حذف فعلها :

"وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه." [3] ، والتقدير : ولكن كان تصديق الذي بين يده .

6- جملة اسمية محذوفة المبتدأ :

" وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكري لعلهم يتقون ." [4] ، والتقدير : ولكن هي ذكرى .

وعلى هذا يكون ما بعد لكن جملة خلافا لما قيل من أنها لا تكون للقصر إلا إذا وليها مفردا .

الحقول الدلالية لطريق العطف :

تجدر الإشارة إلى أن كلا من "بل " و " لكن " اسهما في استجلاء معاني ومقاصد النظم القرآني التي تتحقق من خلالها وظائف الخاطب الرباني ورسالة الإسلام .

جاء في المقتضب : " بل" لا تأتي في الواجب في كلام واحد إلا للإضراب بعد غلط أو نسيان ، وهذا منفي عن الله عز وجل ." [5]

1- إبطال مزاعم الكفار وتفنيد أقوالهم في الله والرسل والقرآن وتسفيه أحلامهم :

"وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ... بل أنتم بشر ممن خلق." [6]

التركيب القصري واردة في الرد على قولهم نحن أبناء الله ، يقول في البحر : عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ، أي لستم كذلك بل أنتم بشر ." [7]

" ...وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ." [8]

الآية في سياق قصة عيسى عليه السلام ، وجاء " ببل " إبطالا لما ادعوه من قتله وصلبه .

" وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ." [9]

أي : " كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود ." [10]

" ... بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا ." [11]

التركيب في سياق المخلفين عن الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال المفسر : " بل هنا للإضراب عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لن تتبعونا) وهو

---

[1] – الحجرات 14 .

[2] – البقرة 188 .

[3] – يونس 37 .

[4] – الأنعام 69 .

[5] – الزجاجي ، المقتضب ، 350/3 .

[6] – المائدة .20

[7] – أبو حيان ، المرجع السابق ، 451/3 .

[8] – النساء 156 – 157 .

[9] – المائدة 66 .

[10] – أبو السعود ، المرجع السابق ، 2 /43 .

[11] – الفتح 15 .

اضرب إبطال عن قوة الغضب المخلوط بالجهالة وسوء النظر ، أي ليس بكم الحفاظ على أمر الله ، بل بكم أن لا نقاسمكم في المغانم حسدا لنا على ما نصيب من المغانم . " [1]

" ولقد أوحي إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ." [2]

اجتمع في التركيب الشريف قصران إن سلمنا بأن " بل " تفيد القصر ، فدلالة التقديم على القصر أقوى وآكد ، وذلك في تخصيص الله بعبادة دون غيره مما زعموه .

وجاء في الكشاف : " ردا لما أمروه به من الاستسلام لبعض آلهتهم ، كأنه قال : لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن كنت عاقلا فاعبد الله ، فحذف الشرط فجعل تقديم المفعول عوضا عنه ." [3]

2 - **إثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم :**

" ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله ... " [4]

أي هو رسول الله وخاتم النبيئين ، يفيد القصر في التركيب الشريف نفي أبوة محمد صلى الله عليه وسلم لزيد وإثبات الرسالة له ، لأن المشركين كانوا يعتقدون في الأبوة لزيد ونفي الرسالة عنه ، فقلب عز وجل عليهم اعتقادهم .

3 - **تقرير أن القرآن من عند الله تعالى :**

" ما كان حديثا يفتري ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ." [5]

التركيب ناطق بمعناه ودلالته فالقرآن جاء ليثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجاء بأحكام (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ، (فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم) ، وهو هدية ورحمة لعباد الله المؤمنين ، وليس افتراء كما تزعمون .

4 - **القصص والوعيد للعبرة والاتعاظ :**

وردت تراكيب قصرية عديدة تتفق من حيث الدلالة ولكنها تختلف بعض الشيء بنيتا :

" وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ." [6]

تكرر هذا التركيب بالصيغة نفسها في سورة الأعراف .

" وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ." [7]

بذكر الاسم الظاهر (اسم جلالة) .

" وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ." [8]

جاء الضمير عوض الاسم الظاهر .

" وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ." [9]

لم يقدم المعمول .

" وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ." [1]

" إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ." [2]

---

[1] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 170./26

[2] – الزمر 62 – 63

[3] – الزمخشري ، الكشاف ، 355/3 .

[4] – الأحزاب 40 .

[5] – يوسف 111 .

[6] – البقرة 56 .

[7] – النحل 33 .

[8] – النحل 118 .

[9] – هود 101 .

[1] – الزخرف 76 .

(قراءة حمزة والكسائي وخلف ، برفع "الناس ")

فالتركيب الأول جاء بعد لكن فعل ناقص كان ، وعوض لفظ أنفس بالضمير .

أما التركيب الثاني فقد جاء بعد كان اسم ثم لفظ أنفس المعمول المقدم .

إن هذه التراكيب بهذا التباين الطفيف تخفي أسرارا جمة وهي كثيرة في القرآن ، وهي جديرة بالبحث والاهتمام .

وتلتقي هذه التراكيب القصرية كما تري ، في كونها تقصر ظلم الخارجين عن الطريق والجاحدين لدين الله والغافلين عن الحق على أنفسهم .

5 - **التوحيد والعبادة وما يتعلق بهما :**

" **فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله** ." [3]

التركيب ورد في سياق قصة يونس عليه السلام .

" **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ." [4]

النظم الشريف جاء في سياق مناسك الحج ، فالعبرة بالتقوى .

"**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن**." [5]

" و **ليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقي** ." [6]

قصر الحق سبحانه البر على الإيمان الصادق والتقوى لا في الشكليات والمظاهر .

" **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم** ." [7]

والسياق في النظم الشريف يفضي إلى الطهارة لاستقبال الله في الصلاة ، فلا يريد الله من جراء أمركم بالطهارة إلا ليطهركم طهارة حسية ومعنوية .

وخلاصة القول في هذا الطريق ، أن قرينة العطف به : " لا " ، " بل " ، " لكن " ، وهي نفسها التي تشكل أسلوب القصر ، الذي يدل عليه التركيب دلالة نصية وعلى الرغم من ذلك فإننا وجدنا أن هذه التراكيب تخفي أسراراً ولطائف بلاغية .

" لا " لم نقف عليها في تركيب قصر بالنظم القرآني الشريف ، " بل " و " لكن " رأينا من تراكيب القصر بهما ما يدل على القصر بصريح العبارة : " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله . " وما يدل على القصر بطريق التأويل : " ... بل يداه مبسوطتان . " أي ليس هو كذلك بل هو غاية في الجود .

وقد أسهم تركيب القصري بهذا الطريق في أداء المعاني و الدلالات التي يثبتها النص القرآني في كل مستوياته .

رأينا في ما سبق أن القصر ينشأ من تخصيص شيء بشيء بطرق مخصوصة ، وهذا ما يعرف بالقصر الاصطلاحي ، وقفنا على هذه الطرق في النص القرآني الشريف : " النفي والاستثناء " ويعبر عنه " لا و إلا " ، ويأتي كما يقول الوظيفيون في دال متقطع ، ما يسبق إلا يكون للنفي صراحة كـ " لا " ، "ما " ، " إن " ، " لم " ، " لن " ، "ليس " ، وبعضها يكون للاستفهام الذي أشرب معني النفي كـ : " هل " ، " من " .

" النفي والاستثناء " وهو راس الباب ، تليه " إنما " وهي فرع عنه لأن معناها " ما وإلا " ،وإن كانت تختلف عنه كما أشار إلى ذلك الأمام عبد القاهر ، ثم يأتي الطريق الثالث

---

[2] -يونس 44 .

[3] -يونس 104 .

[4] -الحج 35 .

[5] -البقرة 176 .

[6] -البقرة 188 .

[7] -المائدة 7 .

وهو " التقديم " ودلالته عن العناية والاهتمام والتقوى أقوى من دلالته على القصر ويأتي في تراكيب مختلفة :

- تقديم المسند على المسند عليه .
- تقديم المعمول على العامل أو المتعلق .
- تقديم المسند إليه على المسند الفعلي .

وبعد هذا الطريق يأتي طريق تعريف المسند " بـ ال " التي للجنس ، وطريق ضمير الفصل (أدمجناهما معاً) ، دلالاتهما على القصر أقوى خلافا للتقديم .

وخلصنا إلى الطريق السادس العطف بـ "لا" و " بل " و " لكن " ، وكانت دلالتها على القصر دلالة نصية بخلاف الطرق الأخرى التي دلالتها على القصر بالمفهوم .

وقد وجدنا أن طرق القصر تتفاوت في الدلالة ضروباً من التفاوت بحيث لا يستقيم لنا معنى الكلام ولا ينفتح لنا باب الفهم الصحيح للنص القرآني إلا إذا أمعنا في التعرف على هذه الفروق ، وما يفيض به كل طريق من إشارات وتلميحات لا نجدها في الطريق الآخر.

" فالنفي والاستثناء " يأتي للمعنى الذي يحتاج إلى فضل تقرير وتوكيد ولأمر ينكره المخاطب ويشك فيه ويتميز بحدته وشدته .

أما " إنما " ففيها رقة نعومة وليس فيها من الإقتدار و الحدة ما يجعلها قادرة على أن تحمل تلك المعاني التي يراد بها لفت المخاطب إلى حقيقة قد أغفلها أو سار في أمره على غير هداها .

وتأتي للرد على من يعتقد نفي ما أثبته به ، وقد يؤتى بها حين يراد تصحيح معتقد أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم منها .

ورأينا أن المعاني التي تدخل عليها معان مأنوسة قريبة من النفوس لينة ، كيف لا وهي توجه إلى أمر يعلمه المخاطب ولا ينكره ، وأحسن مواقعها التعريض .

وقد وجدنا أن كلا الطريقين :- " النفي والاستثناء " ، " إنما " ـ يأتي على خلاف " الأصل " فقد ينزل الجاهل منزلة من يعلم ، وينزل العالم منزلة من يجهل و ينكر الشيء .

وطريق " التقديم " القصر فيه ليس مطرداً ، يأتي لحكاية الحال : " **أغير الله تدعون** "[1] ، يأتي للرد والإبطال : " **بل إياه تدعون** . "[2]

وعلى الرغم مما قيل فيه فقد وجدنا أنه يزخر بالظلال و الأسرار البلاغية من إلتفات ، وتعريض : " **إياك نعبد وإياك نستعين** . "[3]

كما وجدنا فيه التهويل والغضب ورعاية الفاصلة : " **خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه** ... "[4]

وفي طريق " تعريف المسند " ، وطريق " الضمير " وجدنا أنه يأتي لرد الادعاء وتفنيد الكذب ، كما أنه لا يخلو من النكت و الأسرار البلاغية .

و انتهينا عند طريق العطف ، فرأينا أن " بل " تأتي عادة للإبطال ، و " لكن " تأتي في غالب أحوالها لرد المخاطب للصواب : " **ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً** . "[1]

و الملاحظ أن كل هذه الطرق تشترك في دلالتها على القصر مع شيء من التفاوت في الدلالة على : التعريض و التوبيخ و التوكيد و الإبطال وهكذا .

---

[1] – الأنعام 41

[2] – الأنعام 42

[3] –الفاتحة .4

[4] –الحاقة 30 – 31

[1] –آل عمران 66

ونسجل أن أغلب هذه الطرق تأتي في تراكيب منها المنفي و منها المثبت، ما عدا طريق " النفي و الاستثناء " وطريق العطف " بلكن " فهي تراكيب منفية ، و" إنما " يكون تركيبا مثبتا دائما .

وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور عبد الخالق عضيمة قد أحصى عدد من تراكيب القصر بطريق " النفي والاستثناء " في النص القرآني الشريف جاء فيها الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب ، يقول : " يرى النحويون أن الاستثناء المفرغ لا يأتي بعد الإيجاب ، وإنما اشترطوا له تقدم نفي أو شبهه ، وعللوا ذلك بأن وقوع المفرغ بعد الإيجاب يتضمن المحال أو الكذب ... أحصيت آيات الاستثناء في القرآن الكريم وكان من ثمرة هذا الاستقراء أن وجدت آيات كثيرة جاء فيها الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب ، وبعض هذه الآيات جاء الإثبات فيها مؤكدا مما يبعد تأويل هذا الإثبات نفيا : [2]

" **وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** . " [3]

" **وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله** . " [4]

" **لتأتنني به إلا أن يحاط بكم** . " [5]

الآيتان الأولى والثانية أولهما الزركشي بقوله : " إنها لا تسهل ... "

و الآية الثالثة أولها الزمخشري بتقديره : " لا تمتنعون من الإتيان ... "

ويعترض الدكتور عبد الخالق عضيمة على منع النحويين أن يجيء الاستثناء المفرغ بعد (مازال) و أخواتها لأنها تفيد الإفادة ، يقول في قوله تعالى : " **لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم** . " [6] الاستثناء هنا مفرغ فكيف وقع بعد (لا يزال) التي تفيد الإثبات و التي نص النحويون على أنه لا يقع الاستثناء المفرغ بعد (مازال) و أخواتها .

نقول إن هذا كله جدير بأن يفرد له بحث مستفيض لإزالة اللبس .

ومن الأشياء التي وقفنا عليها أن تركيب القصر في نظم القرآن الكريم يتشكل في بنيات مختلفة ، وتتنوع وظائفه بتنوع السياقات - (مقصور ، مقصور عليه) - فقد يكون مفرداً ، وقد يكون مركبا إضافياً ، أو مركبا جر ، أو مركبا موصولياً ، كما يأتي جملة بنوعيها اسمية وفعلية وبهذا فقد أبدى تركيب القصر مرونة في أدائه الوظائف النحوية .

وقد أدى تركيب القصر الوظائف الدلالية التي من خلالها تتضح وظيفة الخطاب الرباني في التذكير و الإبلاغ و التوجيه، ارتأينا أن نفصلها في حقول دلالية كإظهار عظمة الله وقدرته ، وبيان لوظيفة الرسل وحقيقتهم ، و الوعد والوعيد ، و القصص و المواعظ و السلوكات ...، فيأتي الخطاب في كل هذا تارة رداً ، وأخرى تعريضاً ، وثالثة تأكيداً وتقريراً ... .

ونسجل في هذا أن تركيب القصر في نص القرآن لم يبق في كل أحواله أسير النمطية المعهودة و الرتابة المعروفة ، ولكنه كان يتمرد على القاعدة البلاغية من حين لآخر ، كيف لا وهو في قمة البلاغة والإعجاز ، ونشير هنا إلى :

أن الدكتور حواس بري وقف على أنواع من هذا الانزياح والخروج عن القاعدة وهو يستشرف المقاييس البلاغية في تفسير " التحرير و التنوير " للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، يقول الباحث : " أن أسلوب القصر خضوعه للقاعدة البلاغية ليس أمراً مطرداً ، ولذلك وجدنا أساليب من القصر التعول في استخلاصها لا يكون انطلاقا من القاعدة :

---

[2] -عبد الخالق عضيمة ، د.دراسات الأسلوب القرآن الكريم ، ص 172-.177

[3] -البقرة .44

[4] -البقرة .142

[5] --يوسف .66

[6] --التوبة 111.

" اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء . " [1]

مفاد صيغة القصر ، كأنه قال : لا تتبعوا إلا ما أمر به ربكم أي دون ما يأمركم به أولياؤكم فعدل عن طريق القصر لتكون جملة : " و لا تتبعوا من دونه أولياء " مستقلة ، صريحة الدلالة اهتماماً بمضمونها على نحو قول السموأل :

تسيل على حد الظباء نفوسنا وليس على غير الظباء تسيل .

إن التركيب هو الذي أملى صيغة القصر وقررها حيث بدا من السياق الأمر بإتيان الشيء هو النهي عن الإتيان بضده . [2]

التركيب الأول كان تركيباً بسيطاً ، أما التركيب الموالي فتركيب مركب :

" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا و بالوالدين إحساناً . " [3]

(مجموع جملتين في قوة صيغة قصر) إذ مفاده : أعبدوا الله ولا تعبدوا غيره ، فاشتمل على معنى إثبات ونفي كأنه قيل : لا تعبدوا إلا الله ... ، وإنما يصار إليها ـ أي هذه الطريقة ـ عندما يكون الغرض الأول هو طرف الإثبات ثم يقصد بعد ذلك نفي الحكم عما عدا المذكور ، وذلك غير مقتضى المقام هنا ، ولأجل ذلك لما خوطب بنو إسرائيل بنظير هذه الآية خوطبوا بطريقة القصر في قوله : **" وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً . "** [4]

لأن المقصود الأول إيقاظهم إلى إبطال عبادة غير الله ، لأنهم قالوا لموسى : " اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . " ، ولأنهم عبدوا العجل في مدة مناجاة موسى ربه فأخذ عليهم الميثاق بالنهي عن غير عبادة غير الله ... " [5]

وفي تمرد النص القرآني على القاعدة البلاغية نقف مع تراكيب وقف عليها محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره :

" واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون ... يوم سبتهم " [6]

فقد رأى المفسر أن القصر استفيد في هذه الآية من اسم العلم المضاف (سبتهم) بمعنى العلم لليوم المعروف بهذا الاسم من أيام الأسبوع ، وإضافته إلى ضمير " هم " اختصاصه بهم ، تعريضاً لهم لاستحلال حرمة السبت .

وغير بعيد عن هذا ما يسميه فضيلة الشيخ بقصر الملازمة وقد وقفنا عليه في قوله تعالى:

" والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ... " [1]

" ... أولئك أصحاب الميمنة ... " [2]

أوضح المفسر من خلال قوله تعالى " أولئك أصحاب " أن لفظ (أصحاب) مؤذن بالملازمة ، ملازمة النار عليه ، وكذا نجد ذلك في قوله تعالى : " أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون . "

وهناك قصر آخر يستفاد من مادة (نزل) :

---

[1] –الأعراف .2

[2] –حواس بري ، المرجع السابق ، ص .126

[3] – النساء .36

[4] –البقرة 82

[5] –حواس بري ، المرجع السابق ، ص 48–.49

[6] –الأعراف .163

[1] –الأعراف 34

[2] –البلد .18

" **هو الذي أنزل عليك الكتاب** . " [3]

ذهب المفسر إلى أن فعل " أنزل " مختص بالله تعالى ، ولو بدون صيغة القصر، إذ الإنزال يرادف الوحي ، ولا يكون إلا من الله لخلاف لو قال:**"**هو الذي أتاك الكتاب.**"**[4]

وهناك قصر باعتبار القيد :

" ... **ويكفرون بما وراءه وهو الحق** ." [5]

فالنظم الشريف به قصر باعتبار القيد أي هو المخصوص بكونه حقاً مع كونه مصدقاً ، فإن الكتب السماوية الأخرى حق ولكنها ليست مصدقة لما معها ، إلى ذلك أشار محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره .

وجاء القصر في القرآن بصريح القصر و منطوقه لا بمفهومه وهو الأصل في القصر ، على أن التركيب الكريم لم يستعمل الطريق المعروف (العطف) في ذلك :

" **الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل** . " [6]

أي الله حفيظ عليه لا أنت ، يقول المفسر : " جاء في رفع التبعية عن الرسول صلى الله عليه وسلم من عدم استجابتهم للتوحيد ، أي لا تخشى أن نسألك على عدم اهتدائهم إذ ما عليك إلا البلاغ .

وإذ قد كان الحفيظ الوكيل بمعنى كان إثبات كون الله حفيظ عليه وني كون الرسول صلى الله عليه وسلم وكيلاً عليه ، مفيد قصر الكون عليهم على الله تعالى دون الرسل بطريق غير أحد طرق القصر المعروفة ." [7]

فالقصر في التركيب من صريح القصر على الرغم من أننا لا نجد قرينة من قرائن العطف : " لا " ، " بل " ، " لكن " .

ومما وقفنا عليه ونحن نستقرئ أساليب القصر في نظم القرآن ورود تراكيب قصرية لا يعقل فيها مراعاة حال المخاطب وإنما يراعى فيها حال المتكلم الذي يؤذن بما في نفسيته كتلك التي تأتي في مقام الدعاء والتضرع :

" ... **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ." [8]

و التركيب الشريف ورد في سياق قصة يونس عليه السلام .

بل أكثر من هذا فإن هناك تراكيب شريفة لا ينظر فيها إلى حال المخاطب ولا إلى حال المتكلم ، وإنما يأتي الطريق لمحض التوكيد وإفراغ الحقيقة في قالب متين كتلك التي تستخدم في مقام المجاراة و المضادة للخصم ، وقد أشرنا إليها عند قوله تعالى :

" ... **إن نحن إلا بشر مثلكم** . " [1]

" **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة**"[2]

ويجد المتتبع لآي القصر في النص القرآني حسب هذه الطرق تراكيب متشابهة ، تختلف من حيث الزيادة أو النقصان ، أو من حيث تقديم لفظ على آخر وغالبا ما تكون هذه التراكيب الشريفة من حقل دلالي واحد ، نورد بعضا منها على سبيل التمثيل لا الحصر :

" **ولله ما في السماوات وما في الأرض** . " [3]

---

[3] –آل عمران .7

[4] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 3/153–.154

[5] –البقرة .90

[6] –الشورى.4

[7] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ص 25/34–.35

[8] –الأنبياء 86

[1] –إبراهيم .14

[2] –الأنعام .146

[3] –النساء 131

تكرر التركيب الشريف ثلاث مرات متتاليات متحدة لفظاً ومعنى أصلياً ومختلفة تبعا لأغراض الكناية المقصودة منها وذلك لاختلاف السياق ، مع الإشارة إلى أن هذا التركيب قد تكرر كثيراً في نظم القرآن ، ومن التعليلات الواردة في ذلك :

الآية الأولى واقعة موقع التعليل للجملة الشريفة : " إن الله لا يغفر أن يشرك به ولـ:"ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ، كما وقعت احتراسا للجملة الشريفة : "واتخذ الله إبراهيم خليلاً . "

و الآية الثانية واقعة موقع التعليل للجملة الشريفة : " ... يغني الله كل من سعته . " والآية الثالثة علة للجواب المحذوف وهو جواب قوله تعالى : " ... وإن تكفروا . " فالتقدير وإن تكفروا فإن الله غنياً عن تقواكم وإيمانكم فإن له ما في السماوات وما في الأرض ...

التركيب الشريف الرابع ، عاطفة على مقدر معطوف على جواب الشرط تقديره :

"وإن تكفروا بالله وبرسوله فإن الله وكيل عليكم ووكيل على رسوله وكفى بالله وكيلاً . " [4]

ونجد كذلك آية التوحيد ذكرت في النص القرآني أكثر من 30 مرة ومنها :

" شهد الله أن لا إله إلا هو . " [5]

التركيب الشريف جرى هنا مجرى الشهادة .

" ... لا إله إلا هو ... " [6]

أما هنا فقد جرى التركيب الشريف مجرى الحكم بصحة الشهادة .

" ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء . " [7]

" ... خالق كل شيء لا إله إلا هو . " [8]

فالتركيب الشريف الأول ذكر قبله سبحانه الشركاء و البنين والبنات ، فدفع قول القائل بقوله : " لا إله إلا هو . " ، ثم قال بعدها : " خالق كل شيء . "

و التركيب الشريف الثاني ورد قبله ذكر الخلق : " لخلق السماوات أكبر من خلق الناس." فخرج الكلام على إثبات خلق الناس لا على نفي الشريك . [9]

وفي سياق نظرة القرآن إلى الحياة الدنيا نقف على مثل هذه التراكيب :

" وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو . " [1]

" إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا ... " [2]

" اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو . " [3]

" وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو و لعب . " [4]

قدم الحق سبحانه اللعب على اللهو في الإنعام بموضعين ، وكذلك في سورة القتال والحديد ويرجع ذلك المفسر إلى أن اللعب زمانه الصبا ، واللهو زمانه الشباب ، وزمان الصبا مقدم على زمان الشباب ، يبينه ما ذكره في الحديد : " اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو" لعب كلعب الصبيان ، ولهو كلهو الشباب ، وزينة كزينة النسوان ، وتفاخر كتفاخر الإخوان ، وتكاثر كتكاثر السلطان .

---

[4] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 5/.221

[5] –آل عمران 18

[6] –آل عمران 18

[7] –الأنعام .104

[8] – غافر .62

[9] – الكرماني، ص .47

[1] –الأنعام .33

[2] – محمد 37

[3] –الحديد.19

[4] ––العنكبوت .64

وفي العنكبوت قدم اللهو على اللعب ، يرجع ذلك المفسر إلى أن المراد بذكرها زمان الدنيا ، وأنه سريع الانقضاء قليل البقاء ، بدأ بذكر اللهو لأنه في زمان الشباب وهو أكثر من زمان اللعب وهو زمان الصبا .

وفي سياق الإشادة بالقرآن نجد بعضاً من هذه التراكيب :

" **إن هو إلا ذكرى للعالمين** . " [5]

" **إن هو إلا ذكر للعالمين** . " [6]

ويرجع المفسر هذا التباين إلى أن في الآية الأولى تقدم لفظ الذكرى ـ ذلك ما يطلعه علينا السياق ـ فكان " الذكرى " أليق بها .

وفي سياق تسفيه الكفار وكشف نواياهم وقفنا على جملة من هذه التراكيب ومنها :

" **ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون** . " [7]

" **ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** . " [8]

يقول المفسر في ذلك : " لأن في سورة الزخرف متصل بقوله : " وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إناثاً . " والمعنى أنهم قالوا الملائكة بنات الله ، وإن الله قد شاء منا عبادتنا إياهم ، وهذا جهل منهم .

وفي آية الجاثية خلطوا الصدق بالكذب ، فإن قولهم : " نموت ونحيا " صدق فإن المعنى يموت السلف ويحيا الخلف وهي كذلك إلى أن تقوم الساعة ، وكذبوا في إنكار البعث وقولهم : " وما يهلكنا إلا الدهر " ولهذا قال : " إن هم إلا يظنون " أي هم شاكون فيما يقولون " [9] ، وفي التركيب الأول قال : " يخرصون " أي يكذبون .

مهما يكن من التفسيرات و التأويلات التي تعطى لهذا التباين في هذه التراكيب نظراً لاختلاف سياقاتها وهي كثيرة في نص القرآن ، يجعلنا نقول بأن الأمر يحتاج إلى إفرادها ببحث ودراسة ، لأن الكشف عنها من أدق أسرار البلاغة القرآنية ونحسب أنه إثراء للبحث اللغوي .

وقفنا من خلال هذه الطرق وتواترها في نظم القرآن الشريف على أن قصرين أو أكثر قد يجتمعان في تركيب واحد ، وبطرق مختلفة ، فإذا اجتمع قد يكون أحدهما مؤكدا للثاني وهو كثير ، نحو :

" **إن هدى الله هو الهدى** . " [1]

اجتمع في التركيب الشريف قصران : ضمير الفصل " هو " ، وتعريف " الهدى " يقول المفسر : " و الجمع بينهما أفاد معنى تحقيق القصر وتأكيده للعناية ، فأيهما اعتبرته طريق قصر كان الآخر تأكيدا للقصر وللخبر أيضاً ." [2]

" **فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين ، وله الكبرياء ... وهو العزيز الحكيم** . " [3]

قصر في لله (التقديم) ، وفي الحمد (التعريف) وله الكبرياء (التقديم) ،وهو العزيز(التعريف) كل هذا اجتمع في آية واحدة ، فيها من التأكيد والتعظيم ما لم يبلغه تركيب

---

[5] –الأنعام .91

[6] –يوسف .104

[7] –الزخرف .19

[8] – الجاثية .24

[9] – الكرماني–أسرار التكرار ،ص .191

[1] –البقرة .119

[2] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 671./1

[3] –الجاثية 36

عربي ، فعلى الرغم من أن كل قصر يؤكد الآخر نجد أن كل قصر يختص بصفة معينة هي من هذا الكل : (الحمد و الثناء ، الكبرياء ، العزة) .
وقد يجتمع تأكيدان فيلغي أحدهما الآخر :

" **إنما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب** . " [4]

اجتمع في التركيب " التقديم " مع " إنما " ، يقول المفسر : " قد تلغى الدلالة على القصر في التقديم إذا اجتمع التقديم مع إنما وذلك تبعاً للسياق . " [5]
هكذا نرى أن النص القرآني قد استوعب طرق القصر الست كما تناولها البلاغيون وزاد عنها فياضات ولطائف وأسرارا لم تكن في غير هذا النص الشريف .

---

[4] --الرعد .40

[5] -محمد أبو موسى ، المرجع السابق ، ص .168

الفصل الثالث

أقسام القصر

القصر باعتبار المنفي عنه

القصر باعتبار اعتقاد المخاطب

المبحث الأول

القصر الحقيقي

التحقيقي

المجازي

المبحث الأول: القصر الحقيقي

القصر هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص .

فتخصيص الشيء بالشيء يعني أنك تجعله له وألا تجعله لغيره ، فيها إثبات ونفي (إنما جاء سعد) ، كأنك قلت المجيء منه وليس من غيره ، إثبات منصوص عليه و نفي متضمن .

ينبثق من هذا النفي تصور أن كلاهما ممكن : فالمنفي قد يكون عاماً ، فإذا قلت إنما جاء سعد ، فقد أثبت المجيء لسعد وجعلته مقصوراً عليه ، يعني نفيته عن غيره ، والمنفي عنه (أي الفاعل) قد يكون عاماً فيشمل كل ما عدا سعد .

والمنفي عنه قد يكون خاصاً ، فإذا قلت " إنما جاء سعد " أثبت المجيء لسعد ، ونفيته عن غيره بالنظر إلى خاص كعلي ومحمد ، من حيث اعتقاد المخاطب أن الذي فعل ذلك علي أو محمد لا سعد .

فإذا كان القصد هو العموم كان القصر قصراً حقيقياً ، وإذا كان موجه إلى معين (خاص) أي باعتبار شيء آخر كان القصر قصراً إضافيا ، نقول : بالنظر إلى المنفي من جهة العموم والخصوص يعطي قصرين : قصراً حقيقياً وقصراً إضافياً .

هذا القصر الحقيقي قد يكون قصراً حقيقياً تحقيقياً وهو الذي يكون فيه المنفي عاماً يتناول كل ما عدا المقصور عليه من حيث واقع الحال وحقيقة الأمر ، فقولنا لا يحج إلى مكة إلا المسلمون قول مطابق للواقع لأن الحج إلى مكة مقصور على المسلمين ومنفي عن كل ما عاداهم من أصحاب الملل الأخرى .

وقد يكون قصراً حقيقياً إدعائياً وهو ما يعرف بالقصر المجازي ، فالمقصور يختص بالمقصور عليه وينفى عن كل ما عاداه نفياً يقوم على المبالغة و التجاوز ولا يقوم على المطابقة الحقيقية للواقع ، ولو كان في نفسه حقيقياً ، فإذا قلت : لم يفعل هذا إلا خالد و الواقع أن غيره يفعله لكن المتكلم إدعى أنه لم يفعله لعدم اعتداده بغير خالد في ذلك الأمر كأن تكون الصفة أكثر بروزا فيه ... ، كان هذا القصر ادعائياً مبنياً على المبالغة . ثم إن البلاغيين نظروا إلى القصر الإضافي من حيث طبيعة المخاطب فقسموه إلى قصر إفراد وقصر قلب ، وقصر تعيين .

كما أنهم نظروا إلى القصر من حيث طبيعة الطرفين (المقصور والمقصور عليه) لأن تخصيص الشيء بالشيء يعني أن هناك شيئاً هو وصف يقوم بشيء هو موصوف ، و الكلام في هذا الأسلوب إما أن يجعل الوصف مقصوراً على الموصوف أو العكس أن يجعل الموصوف مقصورا على الوصف :

1- **القصر الحقيقي :** هو إثبات شيء لشيء ونفيه عن كل ما عداه ، وقد دلت تراكيب شريفة كثيرة علي ذلك نذكر منها على سبيل المثال :

" وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ." [1]

فالقصر هنا حقيقي تحقيقي هو من قصر الصفة على الموصوف ، لأن مفاتح الغيب ثابتة لله سبحانه وتعالى ، ومنفية عن كل ما سواه ، فلا يطلع على غيبه أحد ، يقول المفسر: " تقدم فيه المسند فأفاد مفاتح الغيب عنده وليس عند غيره ، وكأنه لما قدم لفظ " عنده "أشار إلى أن المراد عنده وحده لا يشاركه فيها غيره، وقد فهم ذلك بمعونة السياق."[2]

وبطريق أخر " النفي والاستثناء " وفي السياق نفسه يقول تعالى تأكيدا لما سبق :

" ... لا يعلمها إلا هو ... "[3]

أي ثابت لله ومنفي عن كل ماعداه ، يقول الباحث : " ترى في تكرار المعنى في الجملتين توكيدا وتقريرا لهذه الحقيقة حتى لا يتسرب إلى الأوهام أن أحدا من خلق الله سواء

---

[1] – الأنعام .60

[2] – محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص 39 .

[3] – الأنعام .60

من رسله أو ملائكته ، من الناس أو من الجن يعلم شيئا من الغيب المراد في هذه الآية ، ويبقي بذلك معرفته مقصورة على الله سبحانه لا يتعده إلى غيره . " [1]

يلاحظ أن المقصور " علم الغيب " لا يمكن أن تقع فيه الشركة فهو خاص بالله سبحانه وأن المقصور عليه اسم الجلالة " الله " لا مانع من وصفه بأوصاف أخرى : فهو حي ، سميع ، رحيم ... من صفات الكمال.

" **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا** ." [2]

قصر حقيقي ، فالخلق ثابت لله تعالى ومنفي عن كل ما سواه ، لا يشاركه فيه أحد ، يقول المفسر : " ... سيق للمخاطبين من المشركين الذين لاشك عندهم أن الله خالق الأرض ، ولكن نزلوا منزلة الجاهل بذلك فسيق لهم الخبر المحصور لأنهم في كفرهم وانصرافهم عن شكره والنظر في دعوته وعبادته لحال من يجهل أن الله خلق جميع الموجودات .

فهو يذكرهم بان الله خالق الأرض وما عليها وما في داخلها ، وان ذلك كله خلقه بقدر انتفاعنا بها وبما فيها في مختلف الأزمان والأحوال فأوجز الكم إيجازا بديعا بإقحام قوله " لكم " . " [3]

فالمقصور وهو صفة " الخلق " لا تتعدى الذات العلية ولا يصح فيه الشركة بعكس المقصور " الله " فلك أن تصفه كما أشرنا بكل صفات الكمال .

" **ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون** ." [4]

القصر هنا بطريق " النفي والاستثناء " ، وهو من قصر الصفة على الموصوف ، المقصور " الكفر بالآيات " ، والمقصور عليه " الفاسقون " ، فليس هناك من يتصف بهذه الصفة إلا الفاسقون ، الكفر إذن منفي عن كل أصناف الناس إلا هذا النوع ، يقول المفسر: " ... والفاسق هو الخارج عن الحق ، وهو مأخوذ من قولهم : " فسقت الرطبة أي خرجت عن قشرتها ، المقصور عليه الوصف " الفاسقون " يمكن أن تكون لهم أوصاف غير الكفر بآيات الله فهم : المجاهرون بالكفر ، أو منافقون أغنياء أم فقراء ... ، أما الكفر فإنه لا شركة فيه ، إذا أنه لا يقع إلا ممن فسق أي خرج عن جادة الطريق ."[5]

" **إياك نعبد** ... " [6]

وهو من قصر الصفة على الموصوف ، أي إثبات العبادة لله ونفيها عن كل ماعداه.

" **قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا**." [7]

قصر التركيب الشريف العبادة على الله بحيث لا تتعده إلى غيره مطلقا ومن القصر الحقيقي التحقيقي في النص القرآني أيضا :

" **إليه يرد علم الساعة** . " [8]

فعلم الساعة لا يعلمه إلا الله.

" **ومن عنده علم الكتاب** ." [1]

علم الكتاب عند الله سبحانه وتعالى وحده ومنفي عن كل ما سواه .

---

[1] –محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص 39 .

[2] – البقرة 27

[3] – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، 1/ 164

[4] – البقرة 98 .

[5] –محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص41 .

[6] – الفاتحة 4 .

[7] – آل عمران 63 .

[8] – فصلت .46

[1] –الرعد .44

" ومن يغفر الذنوب إلا الله " [2]

غفران الذنوب مختص بالله تعالى ، منفي عن كل ما عداه في الواقع والحقيقة .

" والأنعام خلقها لكم ." [3]

" وأخرجنا منها حبا فمنها يأكلون ." [4]

فالخلق ، والإخراج من العدم مختصان بالله لا يتجاوزانه إلى غيره من الخلق .

" وإلي ربك فارغب ." [5]

" ... إلى ربك منتهاها ." [6]

" أولئك هم شر البرية ." [7]

" أولئك هم خير البرية ." [8]

2- **القصر الحقيقي المجازي الادعائي :** وهو من القصر الحقيقي ، فهو قصر يختص فيه المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره مجازا وعلى سبيل المبالغة ، ومما ورد منه في نص القرآن الكريم :

" إنما يخشى الله من عباده العلماء ." [9]

في التركيب قصر خشية الله على العلماء ونفيها عن كل ما عداه ، ولكننا في الواقع قد نجد من هو أشد خشية لله من العلماء ، إلا أن المتتبع لسياق الآية يجد أن التركيب الشريف سيق للتنويه والإشادة بشأن العلماء ، والتعظيم للمنزلة ، وهو في ذلك يحث على النظر والتأمل ، ألست ترى ذلك من خلال قوله تعالى : " أ لم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألونها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألونها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألونه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ." المتتبع لهذا يتضح له سبب قصر خشية الله على العلماء دون غيرهم ، لأن خشية غيرهم لا يعتد بها بجانب خشيتهم في هذا المقام ، فخشية العلماء مقرونة بالعلم والنظر والتأمل لا عن تقليد أو غيره .

" قال رب إني لا املك إلا نفسي وأخي ... ." [10]

التركيب الشريف في سياق قصة موسى عليه السلام ، قال موسى معتذرا إلى الله ومتبرئا من مقولة السفهاء ، لأن القوم نكثوا الميثاق إلا اثنين منهم ، أي لا أملك في سبيل الله والدفاع عن كلمة الحق إلا نفسي وأخي ، بقصر ملكيته لنفسه وأخيه ، على الرغم من أن هناك رجلين يخافان الله قد أنعم الله عليهما بالإيمان ، ولكن موسى لم يعتد بإيمانهما نظرا لتقلب قومه وتغير أحوالهم ، يقول الباحث : " ولذا جاء بعد هذا : " فافرق بنينا وبين القوم الفاسقين ." [1]

فقصر ملكية موسى لنفسه وأخيه جاء على سبيل المجاز لأن ملكية الآخرين لا يعتد بها على الرغم من أنها حادثة واقعا .

---

[2] –آل عمران 135 .

[3] – النحل 5

[4] – يس 32

[5] –الشرح .8

[6] –النزعات 43 .

[7] –البينة 6 .

[8] –– البينة 7 .

[9] –فاطر 28 .

[10] –المائدة 27 .

[1] –بسيوني عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص11 .

" إنما الخمر والمسير والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ." [2]

قصر النظم الشريف الأصناف الأربعة على الرجس ، فهو قصر موصوف على صفة ، أثبت إليها الرجس ونفاه على كل ما عداها ، على الرغم من أنها رجس إلى جانب كونها إثما وضررا ، بل لها منافع كما جاءت الآية بهذا ، وإذا لماذا قصرها على هذه الصفة فقط ذلك لعدم الاعتداد بما عداها من الصفات .

" إنما المؤمنون إخوة ." [3]

التركيب الشريف قصر لحال المؤمنين في حال الأخوة ، وهو من باب قصر الموصوف على الصفة ، فقد اثبت لهم الأخوة ونفها عن كل ما عداهم ، فإذا نزلنا بالتركيب إلى الواقع نجد أن المؤمنين يبغون على بعضهم ويتقاتلون ، بل إن غيرهم أحيانا احسن حالا منهم ، فما السر في هذا ؟ إن اخوة المؤمنين الصادقين في سموها وعلوها وكمالها ومنافعها لا تصل إليها أي أخوة ، فكل أخوة بجانب أخوة المؤمنين كلا أخوة ، وفي التركيب إشارة إلى أن أخوة الإسلام أقوي من اخوة النسب ، لأن اخوة النسب أو غيرها لا اعتبار لها إذا خلت من اخوة الإسلام ، فالتركيب الشريف لا يعتد بأخوة غير اخوة الإسلام .

وقد تكون كما ذهب البعض للرد على أصحاب الحالة المفروضة الذين يبغون على غيرهم واخبرهم بأنهم إخوة مجازا على وجه التشبيه البليغ ، زيادة لتقرير معني الاخوة بينهم .

---

[2] –المائدة .92

[3] –الحجرات 10 .

المبحث الثاني

القصر الإضافي

إفـراد

قلـب

تعيـين

المبحث الثاني : القصر الإضافي :

3- **القصر الإضافي :** وهو إثبات شيء لشيء ونفيه عن بعض ما عداه ، فهو لا ينافي الاشتراك ومعتقد المخاطب أو حاله ، فهو الذي يحدد هذا البعض ذلك أن المخاطب يعتقد الشركة أو عكس ما قاله المتكلم أو يكون مترددا ، فإذا قلت : محمد هو الشاعر يكون خطابك هذا موجها إما لمن يعتقد أن محمد شاعر وكاتب فتريد أن تفرد له بقولك : هو الشاعر .

وإما أن يكون موجها لمن يعتقد عكس ما تقول : بحيث يعتقد أن محمدا كاتب، فتأتي بقولك هذا : محمد هو الشاعر لتقلب تصوره .

وإما أن يكون خطابك موجها لمن هو متردد لا يدري أ محمد شاعر أم كاتب، فيكون قولك : محمد هو الشاعر عندئذ تعين له .

وعلى هذا فالقصر الإضافي ينقسم بحسب أحوال المخاطب إلى :

أ- قصر إضافي للإفراد : وهو الموجه إلى الشاك .

ب- قصر إضافي للقلب : وهوا لذي تعمل فيه على قلب تصور المخاطب ، لأنه يعتقد عكس ما تريد .

ج-قصر إضافي للتعيين : ويكون المخاطب فيه مترددا .

وبهذا تصبح عندنا هذه التقسيمات :

1- قصر صفة على موصوف قصرا إضافيا للإفراد .
2- قصر صفة على موصوف قصرا إضافيا للقلب .
3- قصر صفة على موصوف قصرا إضافيا للتعيين .
4- قصر موصوف على صفة قصرا إضافيا للإفراد .
5- قصر موصوف على صفة قصرا إضافيا للقلب .
6- قصر موصوف على صفة قصرا إضافيا للتعيين .

ومن القصر الإضافي في النص القرآني نذكر ما يلي على سبيل التمثيل لا الحصر :

" **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ... وما محمد إلا رسول** ... ."[1]

التركيب الشريف فيه قصر الرسول صلى الله عليه وسلم على الرسالة ، أي من باب قصر الموصوف (الرسول) على صفة (الرسالة) .

واضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بأعمال أخرى غير التبليغ ، فتبليغ الرسالة لا ينفي الاشتراك والقيام بأعمال أخرى .

ولما كان السياق يرمي إلى أن الصحابة استعظموا موت النبي صلى الله عليه وسلم ، كأنهم يعتقدون أنه مادام رسولا لا يلحقه الهلاك ، وبهذا اعتقدوا إشتراك الرسالة بالبراءة من الهلاك ، ولذا كان الخطاب : وما محمد إلا رسول بمثابة الإفراد ، أي أنه رسول ولا يتعدى إلى عدم الهلاك ، فهو يموت كما يموت جميع الرسل قبله .

يقول المفسر : " الآيات فيها تسلية للمسلمين وإنهاض لنفوسهم ، وتربط هذا الاستنهاض المتعالي بالإيمان ، وأنها ترشد إلى أن ويل الحرب الذي أصابكم قد أصاب أيضا أعداءكم ، وهكذا تتغلغل في الموقف إلى أن تصل إلى أمر يتصل بجوهر العقيدة هو ما كان منه عندما أشيع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ، وأنه في هذه الحالة زلزلوا زلزالاً شديداً حتى كأنهم كانوا يتوهمون أنه لا يموت ، وكأن إيمانهم بالله مرتبط بمحمد عليه السلام ، وكأنه سيظل يهدي ويدعو... : " وما محمد إلا رسول . " لفت لهم إلى أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى البراءة من الهلاك ، وأنه عليه السلام بعد اختصاصه بالرسالة يجري عليه ما يجري على البشر من أحوال و أعراض ، النفي هنا لا يتناول ما عدا الرسالة وإنما يتناول براءته من الهلاك التي افترض أنهم يعتقدونها نظراً

---

[1] -آل عمران 139-144 .

لاستعظامهم ذلك ، وكأنهم حسبوه رسولاً ، و حسبوه إلى جانب هذا لا يموت ، فقصرته الآية على واحدة دون الأخرى . " [1]

" ... بل إياه تدعون . " [2]

القصر حاصل في التركيب الشريف من تقديم المفعول " إياه " على عامله " تدعون " ويراد به قصر الدعاء على الله سبحانه من باب قصر الصفة على الموصوف .

والمتتبع للسياق يجد أن التركيب الشريف سيق للرد على المشركين في زعمهم أنهم يدعون الله ويدعون أصنامهم : " إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى " ، فواضح أنهم يعتقدون الشركة ، ولذلك جاء الخطاب مؤذنا بالإفراد .

ولما كان التركيب الشريف : " إياه تدعون . " فيه مقصور عليه (الله) وهو يتصف بكل أوصاف الكمال ، والمقصور (الدعاء) يجوز فيه الشركة فعلاقة الناس بالله لا تنحصر في الدعاء ، بل هناك العبادة ، الاستغفار ، الاستعانة ... ، كان القصر غير حقيقي .

فالقصر إذن من باب قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافياً للإفراد .

" إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله . " [3]

القصر في التركيب الشريف من قصر الموصوف على الصفة ، فقد قصر النظم الشريف المسيح على صفات ثلاثة : صفة الرسالة ، وكونه كلمة ألقيت إلى مريم ، وكونه روحا من عند الله .

يقول المفسر : " ... و القصد من هذا القصر إبطال ما أحدثه علوه في هذه الصفات علوا أخرجها من كنهها ، فإن الصفة ثابتة لعيسى ، وهم مثبتون لها فلا ينكر عليهم وصف عيسى بها ، لكنهم تجاوزوا الحد المحدود لها ، فجعلوا الرسالة البنوة ، وجعلوا الكلمة اتخاذ حقيقة الإلهية لعيسى في بطن مريم فجعلوا عيسى إبناً لله ، ومريم صاحبة الله سبحانه وجعلوا معنى الروح على ما به تكونت حقيقة المسيح في بطن مريم من نفس إلهية . " [4]

و من هذا نقول أن عيسى مقصور على صفة الرسالة و الكلمة والروح لا يتجاوز ذلك إلى ما يزيد على تلك الصفات من كونه ابن لله أو كونه اتخذ الالهية له، وكون مريم صاحبة الله سبحانه ، فهو رد و إبطال للشركة ، ومنه نقول أن القصر قصر موصوف على صفة قصراً إضافياً للإفراد .

*قصر القلب :

" ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم . " [5]

جاء النظم الشريف لقصر " الخداع " على " أنفسهم " من باب قصر الصفة على الموصوف ولما كان واقعا أن الخداع ليس موجهاً لأنفسهم بل إلى الذين آمنوا ، أي أن النفي ليس موجها إلى كل ما عدا أنفسهم ، وإنما موجه للمؤمنين ، ولما كانوا يعتقدون أنهم بأعمالهم يخدعون الذين آمنوا ، رد عليهم الحق سبحانه ليقلب تصورهم وأنهم ما يخادعون إلا أنفسهم .

ومنه نقول إن القصر في التركيب الشريف من باب قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافياً للقلب .

" إن هذا إلا أساطير الأولين . " [1]

---

[1] –محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص 65–66.

[2] –الأنعام 42

[3] –النساء 170

[4] –محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ص 6/58.

[5] –البقرة 7–8.

[1] –الأنعام 26.

القرآن الكريم عندهم أساطير الأولين فحسب ، يقول المفسر : " يريد قصر القرآن على أمر واحد هو أنه أساطير الأولين ، والأساطير جمع أسطورة وهي ما سطر في الناس من خرافاتهم وأكاذيبهم ، ... يعني ليس وحيا من عند الله ، فالنفي الذي وراء الإثبات في الجملة ليس المقصود به نفي كل صفة عن القرآن وإثبات صفة واحدة له هي أنه أساطير الأولين ، وإنما المراد نفي أن يكون وحيا من عند الله بشهادة السياق ، لأنهم يقولون ذلك بعدما يستمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ويدعوهم إلى الله وإلى الإيمان بأنه رسول الله يوحى إليه . " [2]

والمتتبع لهذا يجد أنهم قصروا القرآن في الأساطير مع أنهم لم ينفوا كل صفة عن القرآن ثم إنهم يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنهم يقولون ليس ما تقول وحي سماوياً وإنما هو أساطير لقصد قلب دعواه .

ومنه نقول إن القصر من باب قصر الموصوف على الصفة قصراً إضافياً للقلب .

وقد ورد في القرآن الكريم قصر الموصوف على الصفة قصراً إضافياً للقلب كثيراً

" ... **إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون** . " [3]

" ... **وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير** . " [4]

" ... **ما قلت لهم إلا ما أمرتني به** ... " [5]

" ... **إنه بكل شيء بصير** . " [6]

" ... **إن شانئك هو الأبتر** . " [7]

" ... **كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم** . " [8]

" **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ... " [9]

" **.. الله الصمد** ... " [10]

الملاحظ أن القصر الإضافي للقلب قد ورد بجميع طرق القصر التي رأيناها .

*قصر التعيين :

" ... **ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلنا حاشا لله ... الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه** ." [11]

القصر حاصل في التركيب الشريف بلفظ " الآن " على ما ذهب إليه محمد الطاهر بن عاشور ، وبتقديم المسند إليه (أنا) على المسند الفعلي (راودته) .

قصرت امرأة العزيز نفسها على مراودة يوسف دون غيرها من النساء ، فصفة المراودة واقع لا تنفي المشاركة ، فالنفي باعتبار ما عداها من النسوة ، ومن سياق التركيب الشريف نقف على أن الموقف فيه تردد من أنها راودته أو أجبرها ، هذا كان يقتضي منها التعيين فقالت : " أنا راودته ، ومنه نقول إن القصر من باب قصر الموصوف على الصفة قصراً إضافياً للتعيين .

ومنه في نظم القرآن على سبيل التمثيل لا الحصر :

---

[2] –محمد أبو موسى ، المرجع السابق ، ص 59

[3] –الأنعام .117

[4] –فاطر 22–.23

[5] – المائدة 119

[6] – الملك 19

[7] ––الكوثر .3

[8] –آل عمران 185

[9] –القدر .1

[10] –الإخلاص .2

[11] –يوسف .51

" ... **إنا له لناصحون** . " [1]

" ... **إنا له لحافظون** . " [2]

عرفنا بعد كل هذا أن نص القرآن الكريم قد غطى القصر بجميع أقسامه بقسميه الحاصلين من النفي العام والخاص : الحقيقي و الإضافي .

الحقيقي بقسميه : الحقيقي التحقيقي ، و الحقيقي المجازي (الإدعائي) .

الإضافي بأقسامه : الإفراد ، و القلب ، و التعيين ، هذه الأقسام الثلاثة المنبثقة عن اعتقاد أو حال المخاطب في الشركة ، أو المضادة والتردد .

ومما يلاحظ أننا في كل الأقسام نجد قصر الصفة على الموصوف من جهة ، وقصر الموصوف على الصفة من جهة أخرى ، ما عدا القصر الحقيقي الذي ورد فيه قصر الصفة على الموصوف فقط .

ونشير أيضا إلى أن القصر الإضافي يغلب على القصر الحقيقي ذلك أن القرآن خاطب من يعتقد الاشتراك في الأمور ، ومن يعتقد بشيء باطل لا يقره الإسلام بل يقر ضده ، كما خاطب المتردد .

كما نشير أن القصر الادعائي تنجلي فيه البلاغة في أعلى مراتبها ، ذلك أن المسألة فيه مسألة إحساس ورؤية داخلية خاصة لحقيقة من الحقائق ، ففي النص القرآني نجد مجيئه عند عدم الاعتداد بالوصف مقابلة مع آخر ، ولكنه أحياناً يأتي دالاً على التنزيه ورفض الاجتماع ، كما في آية القتل :

" **وما كان للمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ** . " [3]

وكما في آية الزنى :

" **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة** ... " [4]

فالإيمان والقتل لا يجتمعان ، وكذلك الزنى والإيمان كما ورد في الحديث : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " ، ففي التركيب الشريف الأول نجد لفظ الجحود " ما كان " أي لا يليق بالمؤمن ، و في التركيب الشريف الثاني قرن الزنى بالشرك ، ومحال أن يجتمع الشرك مع الإيمان .

---

[1] –يوسف 11

[2] –يوسف 12

[3] –النساء .91

[4] –النور .3

الخـاتمــة

الخـاتمـة :

هكذا إذاً بعد جولة في رحاب بحر لا ساحل له (القرآن الكريم) ، كان المركب فيها زورق اسمه (أسلوب القصر) و الصاحب والظهير فيها ، القرآن ذاته و التفسير و الكتاب ، بل و المشرف و العشير و الأخ والصديق .

جولة عشنا فيها مع القرآن الكريم ، بين آياته وتراكيبه الشريفة ، نستقرئ إحصاء وتحليلا طرق وأقسام القصر .

هذا كله مكننا من الوقوف في هذه الدراسة على نتائج نذكر منها :

رصدنا الآيات القرآنية التي بها أسلوب قصر ، وجدنا أن القصر قد استوعب جميع طرق القصر المعهودة بلاغة ، بل قد تجاوزها إلى طرق غير معهودة كما أشرنا في طريق : الملازمة ، القيد ، القصر بالعلم المضاف ، القصر بفعل أنزل ، القصر الحاصل بلفظ الآن.

أحصينا ما يزيد عن 934 تركيب قصر :

" النفي والاستثناء " 540 تركيبا

" إنما " 145 تركيبا

" التقديم " 120 تركيبا

" التعريف و الضمير " 60 تركيبا

" العطف " (بل و لكن) 68 تركيبا

وجدنا أن القصر في النص الشريف يتوجه إلى المؤمنين الصادقين الأصفياء المتقين ، بما فيهم الرسل .

و إلى الجاحدين الخارجين عن الجادة (من أهل الكتاب، و المشركين، و المنافقين).

كما وجدنا أن الغاية من استخدام القصر في القرآن الكريم لا تخرج عن الغاية الكبرى التي يرمي إليها الإسلام وهي عبادة الله تعالى في صورتها الواسعة و الشاملة :

" **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** . "[1]

كما وجدنا أن النقطة الأساسية في القصر هي عملية إقناع و إرسال الحجة ، هذا ما يجعل نظم القرآن يعدل عن التركيب العادي إلى التركيب القصري .

أما انتقال نص القرآن أحيانا من اعتماده أداة النفي إلى اعتماده أداة الإستفهام ، فذلك للأستفزاز ، تمعن قوله تعالى : **" هل يهلك إلا القوم الظالمون "** .

فيتوجه القصر إلى المؤمنين مشيدا بأعمالهم عن طريق وعده الحق ، ومنبها إياهم عما يعتريهم من غفلة ونسيان ، كما حدث عند شيوع خبر موت النبي صلى الله ، فيتدخل التركيب القصري ليردهم إلى الجادة ويذكرهم بالحق .

ويتوجه إلى الكفار المعاندين محذرا ومنذرا ، بالتعريض تارة والتشنيع أخرى والتوبيخ ثالثة ... ، كما يهدف إلى إبطال مزاعمهم وافتراءاتهم على الله وعلى الدعوة ورسولها وعلى المؤمنين :

" وقالت اليهود والنصارى نحن البناء الله وأحباؤه بل أنتم بشر ممن خلق ."

" ....إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ."

وجاء التركيب القصري لإظهار عنادهم وبغضهم الشديد للإسلام والمسلمين ، وجاء بتقرير الوعيد المعد لهم والجزاء الذي يستحقونه .

ثم وقفنا على المعاني التي يخدمها القصر ، وقد أشرنا إلى بعضها مفصلا ومنها :

- التوحيد وبيان عظمة الله وقدرته من خلال إسناد صفات الكمال للذات العلية .
- بيان حقيقة الرسل ومهمتهم وكيف ينبغي أن يعاملوا وأن ينظر إليهم .
- التقرير والتأكيد على وجود البعث ويوم الجزاء .
- ما يتعلق بالعبادة من حيث فرضتها وحكمتها

---

[1] – الذاريات 56.

- إظهار نعم الله على خلقه عامة في الدنيا ، و على المؤمنين خاصة في الآخرة
- المعاملات والسلوك .
- سوق القصص لتسلية الرسول ، وللعبرة والموعظة .
- بيان حقيقة الدنيا وتفاهتها بجانب الآخرة ونعيمها الحقيقي والدائم .
- عدل الله ورحمته بخلقه .
- المقارنة بين أهل الإيمان وأهل الكفر .
- ملائمة الأحكام الشرعية للطاقة الإنسانية .

وبهذا نحسب - ونحن لم نتمكن من إحصاء كل المعاني التي يستجليها تركيب القصر في نظم القرآن الشريف - أنها قد غطت المقاصد الكبرى التي يهدف إليها النص القرآني .

إن المستقرئ لتراكيب القصر في النص الشريف يخرج بتصورات أهمها :

-إن تركيب القصر أبدى مرونة في تأدية المعاني والوظائف النحوية المعروفة ، من فاعلية ومفعولية وحالية ووصفية ...، ومن خلال هذا وجدنا :

أ- القصر في الفاعل : يكون من قصر الصفة على الموصوف :

" لا يعلمها إلا الله ."

" ومن يغفر الذنوب إلا الله ."

"إنما يخشى الله من عباده العلماء ."

" هل يهلك إلا القوم الظالمون ."

ب- القصر في المفعول : يكون من قصر الصفة على الموصوف :

" ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ."

" وإن يهلكون إلا أنفسهم ."

ج- القصر في الخبر : يكون من قصر الموصوف على الصفة :

" إنما هو إله واحد ."

" وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور "

د- القصر في المبتدأ : يكون من قصر الصفة على الموصوف :

" لا إله إلا الله ."

" وما على الرسول إلا البلاغ ."

" فإنما عليك البلاغ ."

كما أبدى إلى جانب ذلك مرونة في تأدية المعاني والوظائف البلاغية : كالتأكيد، والتقرير ، والتعريض ، والتشنيع ، والتنبيه (كما في الآية 42 من الأعراف) ، والتطييب (كما في الآية 7 من الطلاق) ، واستجاشة النفوس (كما في الآية 152 من الأنعام) ، وهو في هذا يأتي في شكل تشبيه وتمثيل أو استعارة ، أو التفات ، ناهيك عما في القصر الادعائي من بلاغة فريدة مؤثرة .

واسهم التركيب القصري ـ كما رأينا ـ في إطار القصة القرآنية في حركة المشاهد وحياتها .

كل هذا يؤديه تركيب القصر في أغلب الأحيان بأسلوب موجز بليغ بديع من حيث العبارة والكلمة والحرف بل والصوت أيضا .

ونحن نتتبع تراكيب القصر الشريفة لاحظنا أن القرآن في نظمه الشريف يتمرد على القاعدة ويتجاوزها إلى اعتماد طرق أخرى غير معهودة تنبه إليها بعض المفسرين والباحثين .

وما نخرج به من خلال دراستنا للنظم الشريف في تراكيب القصر أن من الضروري للدارس أن يتعرف تعرفا واعيا على مقطع التركيب في نهايته ومقاطع أجزائه وبداخله ثم يعمل على تحديد مرمي الجملة الشريفة والقصد منها ، لأننا ونحن نطلع على تحليلات المفسرين والباحثين وجدنا تباينا كبيرا في تحديد المقصور عليه مما يؤدي في الغالب إلى اختلاف التفسير والتأويل للتركيب الواحد .

ونؤكد أيضا أنه لا بد للدارس من معرفة السياق وتتبعه لأنه مما يعين ويساعد على تحديد القصر ونوعه في الجملة الشريفة .

كما ينبغي للدارس العودة إلى كتب التراث ، ثم كتب المحدثين في إطار المناهج الحديثة ، حتى يكون البحث غنيا و ذا فائدة جمة .

ومما نلفت النظر إليه ـ كما أشرنا ـ تلك الظاهرة العجيبة حين نرى تراكيب قصر تتكرر في السورة الواحدة أو في سور مختلفة ، متحدة في الاطار العام (الحقل الدلالي) ومتباينة في جزئيات التركيب بحسب السياق :

" اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ."

" وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ."

" إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه ."

التراكيب في الإطار الخارجي متفقة حتى ليظن المتعجل أنها متماثلة ، ولكن الدارس المتأمل يرى فروقا توحي بسر خفي ، هذا ما جعلنا نقول : أن الأمر يحتاج إلى أن يفرد له بحث خاص .

ونقول إلى جانب هذا أن على دارس النص القرآني أن يكون ذا معرفة بلاغية في صورتها القاعدية ، وزيادة على هذا يكون عالما بالتراكيب ودلالاتها .

ونخلص إلى أن أسلوب القصر في النص القرآني الشريف وسيلة من ووسائل التعبير الموجز البليغ والمعجز ، يخاطب الله بها عباده لتقرير الكلام وتمكنه لدفع ما فيه من شك أو إنكار ، فيكون ردا على المخاطب في قصر الإفراد والقلب ، وتعيين المبهم في قصر التعيين ، ومجاراة الخصم ، والتعريض ، وفيه ذكر الواقع في القصر الحقيقي وتجاوز الواقع والمبالغة في القصر المجازي ، وقد يخرج عن القاعدة في هذا وذاك ليرسم طريقا خاصا به لا يعرفه إلا ذووا الملكات النيرة والأذواق الرفيعة .

أملنا أن نكون قد وضعنا لبنة في الدراسات القرآنية ، على الأقل بجمع شتات ما خلفه السلف هنا وهناك في كتبه ومؤلفاته وضعناه أمام المكتبة العربية إسهاما منا في ترقية البحث اللغوي ، ونحن نعرف أن النص لن يعي بهذه الدارسة .

أولا : طريق النفي و الاستثناء: 540 تركيبا.

أ) ما - إلا = 207 تراكيب

- البقرة : 11 تركيبا.

8، 25، 84، 98، 101، 113، 142، 173، 211، 268، 271.

- آل عمران : 10 تراكيب.

7، 19، 64، 68، 126 (آيتان)، 144، 145، 147، 185.

- النساء : 6 تراكيب.

63، 65، 91، 112، 119، 156.

- المائدة : 3 تراكيب.

75، 77، 119.

- الأنعام : 7 تراكيب.

5، 33، 39، 49، 60، 112، 124.

- الأعراف : 6 تراكيب.

4، 19، 81، 88، 93، 125.

- الأنفال : 3 تراكيب.

10 (آيتان)، 35.

- التوبة : 6 تراكيب.

31، 38، 47، 54، 75، 115.

- يونس : 7 تراكيب.

3، 5، 19، 36، 61، 83، 100.

- هود : 8 تراكيب .

6، 27 (آيتان)، 40، 55، 88، 104، 109.

- يوسف : 7 تراكيب.

25، 40، 68، 76، 81، 106، 109.

- الرعد : 3 تراكيب.

15، 27، 39.

- إبراهيم : تركيبتان (2).

5، 24.

- الحجر : 5 تراكيب.

4، 8، 11، 21، 85.

- النحل : 5 تراكيب.

43، 64، 79، 77، 127.

- الإسراء : 9 تراكيب.

41، 59 (آيتان)، 60 (آيتان)، 64، 85، 94، 105.

- الكهف : 5 تراكيب.

16، 22، 54، 55، 62.

- مريم : تركيب واحد (1).

64.

- طه : تركيب واحد (1).

1–2.

- الأنبياء : 4 تراكيب.

2، 7، 25، 106.

- الحج : تركيب واحد (1).

50.

- المؤمنون : تركيبان (2).

24، 33.

- النور : تركيب واحد (1).

52.

- الفرقان : 3 تراكيب.

20، 56، 57.

- الشعراء : 5 تراكيب.

4، 99، 154، 186، 208.

- النمل : تركيبان (2).

58، 77.

- القصص : 3 تراكيب.

36، 59، 86.

- العنكبوت : 7 تراكيب.

17، 23، 29، 43، 47، 49، 64.

- الروم : تركيب واحد (1).

7.

- لقمان : تركيبان (2).

27، 31.

- الأحزاب : 4 تراكيب.

12، 14، 20، 22.

- سبأ : 7 تراكيب.

14، 21، 28، 34، 37، 43 (تركيبان).

- فاطر : 3 تراكيب.

11 (تركيبان)، 42.

- يس : 5 تراكيب.

14، 16، 29، 45، 48.

- الصافات : 4 تراكيب.

39، (58–59)، (162–163)، 164.

- ص : تركيبان (2).

14،64.

- الزمر : تركيب واحد (1).

3.

- غافر : 8 تراكيب.

3، 12، 25، 29 (تركيبان)، 37، 50، 77.

- فصلت : 3 تراكيب.

34 (تركيبان)، 42.

- الزخرف : 3 تراكيب.

6، 22، 47.

- الدخان: تركيب واحد (1).

37.

- الجاثية : 4 تراكيب.

16، 23 (تركيبان)، 24.

- الأحقاف : 3 تراكيب.

2، 8، 16.

- الذاريات : 3 تراكيب.

42، 52، 56.

- القمر : تركيب واحد (1).

50.

- الحديد : 3 تراكيب.

19، 21، 26.

- التغابن : تركيب واحد (1).

11.

- الملك : تركيب واحد (1).

19.

- القلم : تركيب واحد (1).

52.

- المدثر : 4 تراكيب.

31 (4 تراكيب).

- الإنسان : تركيب واحد (1).

30.

- التكوير : تركيب واحد (1).

29.

- المطففين : تركيب واحد (1).

12.

- البروج : تركيب واحد (1).

8.

- الليل : تركيب واحد (1).

(19-20).

- البينة : تركيبان (2).

4، 5.

ب) لا - إلا = 167 تركيبا.

- البقرة : 14 تركيبا.

31، 77، 82، 131، 149، 162، 170، 192، 227، 233، 254، 274، 281، 285.

- آل عمران : 10 تراكيب.

1، 6، 18 (تركيبان)، 41، 63، 72، 74، (87-88)، 102.

- النساء : 13 تركيبا.

19، 22، 29، 43، 45، 84، 86، 113، 141، 146، 154، (167–168)، 170.

- المائدة : تراكيبان (2).

14، 27.

- الأنعام : 12 تركيبا.

18، 60 (تركيبان)، 103، 107، 139، 146، 152، 153 (تركيبان)، 161، 166.

- الأعراف : 9 تراكيب.

41، 57، 98، 104، 158، 169، 187 (تركيبان)، 188.

- التوبة : 8 تراكيب.

31، 54 (تركيبان)، 80، 119، 121، 122، 130.

- يونس : 4 تراكيب.

49، 61، 90، 107.

- هود : 6 تراكيب .

2، 14، 26، 43، 80، 105.

- يوسف : تركيبان (2).

40، 87.

- الرعد : تركيبان (2).

15، 31.

- إبراهيم : تركيب واحد (1).

12.

- النحل : تركيب واحد (1).

2.

- الإسراء : 5 تراكيب.

23، 33، 34، 76، 82.

- الكهف : 4 تراكيب.

23، 24، 38، 48.

- مريم : 3 تراكيب.

62، 88، 96.

- طه : 5 تراكيب.

8، 13، 96، 105، 106.

- الأنبياء : 3 تراكيب.

25، 28، 86.

- المؤمنون : تركيبان (2).

63، 117.

- النور : 3 تراكيب.

3(تركيبان)، 31.

- الفرقان : تركيبان (2).

33، 68.

- الشعراء : تركيبان (2).

(88-89).

- النمل : تركيبان (2).

26، 67.

- القصص : 4 تراكيب.

70، 80، 84، 88.

- العنكبوت : تركيب واحد (1).

46.

- الأحزاب : 5 تراكيب.

16، 18، 39، 53، 60.

- سبأ : تركيبان (2).

3، 23.

- فاطر : 4 تراكيب.

3، 39 (تركيبان)، 43.

- يس : تركيبان (2).

(42-43)، 53.

- الصافات : تركيب واحد (1).

35.

- الزمر : تركيب واحد (1).

7.

- غافر : 4 تراكيب.

2، 40، 62، 65.

- فصلت : تركيب واحد (1).

13.

- الزخرف : تركيب واحد (1).

86.

- الدخان: 3 تراكيب.

7، (39–40)، 53.

- الأحقاف : تركيبان (2).

20، 24.

- محمد : تركيب واحد (1).

20.

- الفتح : تركيب واحد (1).

15.

- النجم : تركيب واحد (1).

26.

- الرحمن : تركيب واحد (1).

31.

- الواقعة : تركيبان (2).

(27–28)، 82.

- الحشر : 3 تراكيب.

14، 22، 23.

- التغابن : تركيب واحد (1).

13.

- الطلاق : تركيبان (2).

1، 7.

- الحاقة : تركيب واحد (1).

37.

- نوح : 3 تراكيب.

25، 29، 30.

- الجن : تركيب واحد (1).

(26–27).

- المزمل : تركيب واحد (1).

8.

- النبأ : تركيبان (2).

(24–25)، 38.

- الليل : تركيب واحد (1).

15.

إن ... إلا : 107 تراكيب

- البقر : تركيب واحد (1).

77.

- النساء : 3 تراكيب

62، 116، 158

- المائدة : تركيب واحد (1).

112.

- الأنعام : 11 تركيبا

8، 26، 27، 30، 31، 58، 91، 117 (تركيبان)، 149 (تركيبان).

- الأعراف : 3 تراكيب

155، 184، 188.

- الأنفال : تركيبان (2)

31، 34.

- التوبة : تركيب واحد (1)

108.

- يونس : 4 تراكيب

15،66 (تركيبان)، 72

- هود : 6 تراكيب

7، 29، 50، 51، 54، 88.

- يوسف : 4 تراكيب

31، 40، 67، 104.

- إبراهيم : تركيبان (2)

13، 14.

- الحجر : تركيب واحد (1)

21.

- الإسراء : 4 تراكيب

44، 47، 52، 58.

- الكهف : تركيب واحد (1)

5

- مريم : تركيبان (2)

71، 94.

- طه : تركيبان (2)

101، 102.

- الأنبياء : تركيب واحد (1)

36.

- المؤمنون : 5 تراكيب

25، 37، 38، 84، 115

- الفرقان : 4 تراكيب

4، 8، 4، 44

- الشعراء : 8 تراكيب

109، 113، 115، 127، 137، 145، 146، 180

- النمل : تركيبان (2)

83،70.

- القصص : تركيب واحد (1)

18

- الروم : تركيبان

52، 57.

- الأحزاب: تركيبان (2)

13، 34

- سبأ : 3 تراكيب

43، 46، 47

- فاطر : 3 تراكيب

23، 24، 40

- يس : 5 تراكيب

14، 28، 46، 52، 68

- الصافات : تركيب واحد (1)

15.

- ص : 4 تراكيب

6، 13، 69، 85.

- غافر : تركيب واحد (1)

55.

- الزخرف : تركيبان (2)

19،59.

- الدخان: تركيب واحد (1)

33.

- الجاثية : تركيبان (2)

23، 31.

- الأحقاف : تركيب واحد (1)

8.

- النجم : 4 تراكيب

4، 23 (تركيبان)، 28

- المجادلة : تركيب واحد (1)

2.

- الملك : تركيبان (2)

9، 20.

- المدثر : تركيبان (2)

24، 25.

- التكوير : تركيب واحد (1)

27.

د) هل ... إلا : 22 تركيبا

- البقرة : تركيب واحد (1)

108.

- المائدة : تركيب واحد (1)

61

- الأنعام : تركيبان (2)

48، 159.

- الأعراف : تركيبان (2)

52، 147.

- التوبة : تركيب واحد (1)

52

- يونس : تركيبان (2)

52، 102

- يوسف : تركيب واحد (1)

64

- النحل : تركيبان (2)

33، 35

- الإسراء : تركيب واحد (1)

93.

- الأنبياء : تركيب واحد (1)

3

- النمل : تركيب واحد (1)

92

- سبأ : تركيبان (2)

17 ، 33

- فاطر : تركيب واحد (1)

43.

- الزخرف : تركيب واحد (1)

66.

- الأحقاف : تركيب واحد (1)

34.

- محمد : تركيب واحد (1)

19.

- الرحمن : تركيب واحد (1)

59.

هـ) لم ... إلا : 12 تركيبا

- النساء : تركيب واحد (1)

(167-168)

- الأنعام : تركيب واحد (1)
24.
- التوبة : تركيب واحد (1)
18.
- يونس : تركيب واحد (1)
45.
- النحل : تركيب واحد (1)
7.
- النور : تركيب واحد (1)
6
- القصص : تركيب واحد (1)
58
- الأحقاف : تركيب واحد (1)
34.
- النجم : تركيب واحد (1)
28.
- نوح : تركيبان (2)
6، 21.
- النازعات : تركيب واحد (1) 45 .

و) لن ... إلا : 8 تراكيب

- البقرة : تركيبان (2)
79، 110.
- آل عمران : تركيبان (2)
24، 111.
- التوبة : تركيب واحد (1)
51.
- هود : تركيب واحد (1)
36.
- الجن : تركيب واحد (1)
(22 - 23)
- النبأ : تركيب واحد (1)
30.

ر) ليس ... إلا : 7 تراكيب

- البقرة : تركيب واحد (1)

.266

- آل عمران : تركيب واحد (1)

.28

- هود : تركيب واحد (1).

.16

- النجم : تركيب واحد (1).

.38

- المجادلة : تركيب واحد (1).

.10

- الحاقة : تركيب واحد (1).

(35 – 36).

- الغاشية : تركيب واحد (1).

.6

ح) ... إلا : 4 تراكيب.

- البقرة : تركيب واحد (1).

.129

- آل عمران : تركيب واحد (1).

.135

- الأنفال : تركيب واحد (1).

.16

- الحجر : تركيب واحد (1).

.56

ط) ماذا ... إلا : تركيب واحد (1).

- يونس : تركيب واحد (1).

.32

س) ما ليس نفيا صريحا : 4 تراكيب.

- التوبة : تركيب واحد (1).

.32

- الإسراء : تركيبان (2).

89، 99.

- الفرقان : تركيب واحد (1).

50.

ي) أمن ... إلا : تركيب واحد (1).

- يونس : تركيب واحد (1).

35.

ثانيا: طريق " إنما " : 145 تركيبا.

أ) إنما : 126 تركيبا.

- البقرة : 7 تراكيب.

10، 13، 101، 168، 172، 180، 174.

- آل عمران : 5 تراكيب.

47، 155، 175، 178، 185.

- النساء : 4 تراكيب.

10، 17، 170 تركيبان (2).

- المائدة : 6 تراكيب.

28، 29، 35، 57، 92، 93.

- الأنعام : 5 تراكيب.

20، 37، 110، 157، 160.

- الأعراف : 6 تراكيب.

31، 130، 173، 187 (تركيبان)، 203.

- الأنفال : تركيب واحد (1).

2.

- التوبة : 9 تراكيب.

18، 28، 37، 45، 55، 60، 65، 86، 94.

- يونس : 3 تراكيب.

20، 23، 24.

- هود : تركيبان (2).

12، 33.

- يوسف : تركيب واحد (1).

86.

- الرعد : 4 تراكيب.

8، 21، 37، 41.

- إبراهيم : تركيب واحد (1).

44.

- الحجر : تركيب واحد (1).

15.

- النحل : 10 تراكيب.

40،51،92،95،100،101،103،105،115،124.

- الإسراء : تركيبان (2).

15 (تركيبان).

- الكهف : تركيب واحد (1).

105.

- مريم : تركيبان (2).

18، 85.

- طه : 4 تراكيب.

68، 71، 89، 96.

- الأنبياء : تركيبان (2).

45، 107.

- الحج : تركيب واحد (1).

47.

- النور : تركيبان (2).

52، 60.

- الشعراء : تركيبان (2).

153، 185.

- النمل : 3 تراكيب.

93، 94 (تركيبان).

- القصص : تركيب واحد (1).

78.

- العنكبوت : 4 تراكيب.

1، 24، 50 (تركيبان).

- السجدة : تركيب واحد (1).

15.

- الأحزاب : تركيبان (2).

33، 63.

- سبأ : تركيب واحد (1).

46.

- فاطر / 4 تراكيب.

6، 18 (تركيبان)، 28.

- يس : تركيبان (2).

10، 81.

- ص : تركيب واحد (1).

64.

- الزمر : 3 تراكيب.

10، 11، 46.

- غافر : تركيب واحد (1).

39.

- فصلت : تركيب واحد (1).

5.

- الشورى : تركيب واحد (1).

39.

- الدخان : تركيب واحد (1).

55.

- الأحقاف : تركيب واحد (1).

22.

- محمد : تركيبان (2).

37، 39.

- الفتح : تركيبان (2).

10 (تركيبان).

- الحجراتن : تركيبان (2).

10، 15.

- الذاريات : تركيب واحد (1).

5.

- الطور : تركيب واحد (1).

14.

- الممتحنة : تركيب واحد (1).

9.

- التغابن : تركيب واحد (1).

15.

- التحريم : تركيب واحد (1).

7.

- الملك : تركيبان (2).

26 (تركيبان).

- الجن : تركيب واحد (1).

20.

- الإنسان : تركيب واحد (1).

9.

- المرسلات : تركيب واحد (1).

7.

- النازعات : تركيب واحد (1).

44.

- الغاشية : تركيب واحد (1).

21.

ب- أنما : 19 تركيبا.

- آل عمران : تركيب واحد (1).

178.

- المائدة : تركيبان (2).

51، 94.

- الأنفال : تركيبان (2).

28، 41.

- هود : تركيب واحد (1).

.14

- الرعد : تركيب واحد (1).

.21

- إبراهيم : تركيب واحد (1).

54

- الكهف : تركيب واحد (1).

.105

- الأنبياء : تركيب واحد (1).

.107

- المؤمنون : تركيبان (2).

.56، 116

- القصص : تركيب واحد (1).

.50

- لقمان : تركيب واحد (1).

.26

- ص : تركيبان (2).

.23، 69

- غافر : تركيب واحد (1).

.43

- فصلت : تركيب واحد (1).

.5

- الحديد : تركيب واحد (1).

.19

ثالثا/ طريق التقديم : 151 تركيبا.

أ) تقديم المعمول على العامل : 69 تركيبا.

- الفاتحة : تركيبان (2).

4 (تركيبان).

- البقرة : 11 تركيبا.

2، 3

، 39، 40، 56، 137، 138، 142 (تركيبان)، 285 (تركيبان).

- آل عمران : تركيبان (2).

158، 160.

- النساء : تركيب واحد (1).

36.

- المائدة : تركيبان (2).

12، 119.

- الأنعام : 12 تركيبا.

15، 34، 37، 39، 41، 42، 115، 144، 145، 147، 152، 153.

- يوسف : تركيبان (2).

11، 12.

- النحل : 9 تراكيب.

5، (تركيبان)، 7، 49، 51، 52، 53، 71، 72.

- الإسراء : 3 تراكيب.

34، 36، 106.

- مريم : تركيب واحد (1).

8.

- الشعراء : تركيب واحد (1).

203.

- العنكبوت : 5 تراكيب.

56، 57، 59، 67 (تركيبان).

- يس : تركيب واحد (1).

32.

- الزمر : تركيب واحد (1).

63.

- فصلت : تركيبان (2).

14، 46.

- الزخرف : 3 تراكيب.

40، 85 (تركيبان).

- الجاثية : تركيب واحد (1).

14.

- ق : تركيب واحد (1).

44.

- القمر : تركيب واحد (1).

24.

- الحاقة : تركيبان (2).

31، 32.

- المدثر : 4 تراكيب.

3، 4، 5، 7.

- الطارق : تركيب واحد (1).

8.

- الشرح : تركيب واحد (1).

8.

ب) تقديم المبتدأ على الخبر الفعلي : 47 تركيبا.

- البقرة : 4 تراكيب.

29، 47، 122، 118.

- المائدة : تركيب واحد (1).

118.

- الأنعام : تركيب واحد (1).

152.

- التوبة : تركيب واحد (1).

102.

- هود : 3 تراكيب.

60، 91، 92.

- يوسف : تركيبان (2).

18، 26.

- الرعد : تركيب واحد (1).

27.

- النحل : 4 تراكيب.

65، 70، 71، 72.

- الإسراء : تركيب واحد (1).

31.

- الأنبياء : تركيب واحد (1).

39.

- النمل : 3 تراكيب .

37، 52، 83.

- القصص : تركيبان (2).

66، 69.

- العنكبوت : تركيبان (2).

60،62.

- الروم : تركيب واحد (1).

52.

- الأحزاب : تركيبان (2).

4 (تركيبان).

- فاطر : تركيب واحد (1).

22.

- يس : تركيب واحد (1).

42.

- الزمر : 3 تراكيب.

22، 38، 39.

- فصلت : تركيب واحد (1).

15.

- الشورى : تركيب واحد (1).

13.

- الزخرف : 3 تراكيب.

31، 39 (تركيبان).

- الدخان : تركيب واحد (1).

39.

- الطور : تركيب واحد (1).

44.

- الإنسان : 4 تراكيب.

2، 3، 4، 23.

- عبس : تركيبان (2).

6، 10.

ج) تقديم المسند على المسند إليه (الخبر على المبتدأ): 35 تركيبا.

- البقرة : تركيبان (2).

93، 114.

- النساء : 4 تراكيب.

125، 130، 131، 169.

- المائدة : تركيبان (2).

19، 122.

- الأنعام : 5 تراكيب.

13، 14، 60، 128، 150.

- هود : تركيبان (2).

35، 121.

- الرعد : تركيب واحد (1).

43.

- النحل : تركيبان (2).

52 (تركيبان).

- لقمان : تركيب واحد (1).

25.

- الصافات : تركيب واحد (1).

47.

- الشورى : تركيبان (2).

2، 10.

- الجاثية : 3 تراكيب .

26، 35، 36.

- الفتح : تركيبان (2).

4، 7.

- التغابن : تركيبان (2).

1 (تركيبان).

- النازعات : تركيب واحد (1).

43.

- الغاشية : تركيبان (2).

25، 26.

- القدر : تركيب واحد (1).

5.

- الكافرون : تركيبان (2).

6 (تركيبان).

رابعا: طريق الضمير و تعريف المسند : (77 تركيبا)

أ)–الضمير: (37 تركيبا)

- البقرة :7 تراكيب

4،11،12،31،36،119،156.

- ال عمران : تركيبان (2)

8،61

- النساء :تركيب واحد (1)

150

- المائدة : 6تراكيب

46،47،49،118،119،120

- الانعام :تركيبان (2)

71،120

- لقمان :4 تراكيب

4،25،29 (تركيبان)

- الشورى :تركيبان (2)

7،20

- الجاثية :تركيب واحد (1)

29

- الحجرات : تركيبان (2)

7،11

- النجم :3 تراكيب

42،43،48

- الحشر : تركيب واحد (1)

20

- الممتحنة : تركيبان (2)

5،6

- القلم : تركيب واحد (1)

7

- البينة : تركيبان (2)

6،7

- الكوثر : تركيب واحد (1)

3

ب)–تعريف المسند :40تركيبا

- الفاتحة : تركيب واحد (1)

1

- البقرة :4تراكيب

.25،28،143،258

- ال عمران :3 تراكيب

6،7،72

- النساء :تركيب واحد (1)

69

- الانعام :12 تركيبا

1،3،14،19 (تركيبان)،115،100،99،73،62،167،142.

- الكهف :تركيب واحد (1)

1

- الشعراء: تركيبان(2)

68،191

- القصص :تركيب واحد (1)

15

- السجدة : تركيبان (2)

1،3

- الشورى :3 تراكيب

23،26(تركيبان)

- الحشر :5 تراكيب

22(تركيبان)،23،24(تركيبان)

- الصف : تركيب واحد (1)

9

- المنافقون : تركيب واحد (1)

4

- الانفطار :تركيب واحد (1)
19
- الاخلاص : تركيب واحد (1)
2

خامسا : طريق العطف : 69 تركيبا.

أ)–العطف بـ (بل) :38تركيبا

- البقرة : 7تراكيب
.87،99،115،134،153،169،258
- ال عمران : تركيبان (2)
169،180
- النساء :تركيبان (2)
48،157
- المائدة : تركيبان (2)
20،66
- يوسف : تركيبان (2)
18،83
- الحجر : تركيب واحد (1)
63
- الانبياء : 7تراكيب
18،26،40،56،63،96، 5
- المؤمنون : تركيبان (2)
64،71
- النور: تركيبان (2)
11،48
- السجدة: تركيب واحد (1)
2
- سبأ: تركيب واحد (1)
8
- الصافات: تركيبان (2)
29،37
- ص: تلاكيبان (2)
7،59

- الزمر: تركيب واحد (1)
63

- الدخان: تركيب واحد (1) (7 – 8)
- الاحقاف : تركيب واحد (1)
23
- الفتح : تركيب واحد (1)
15
- ق : تركيب واحد (1)
15

ب)–العطف بـ(لكن) :30 تركيبا

- البقرة :4تراكيب
.56،176،188،223
- ال عمران : تركيبان (2)
66،117
- النساء :تركيب واحد (1)
157
- المائدة : تركيبان (2)
7،91
- الانعام :تركيب (1)
69
- الاعراف :تركيبان (2)
143،160
- التوبة :تركيب واحد (1)
71
- يونس :3 تراكيب
37،44،104
- هود تركيب واحد (1)
101
- يوسف :تركيب واحد (1)
111
- النحل :تركيبان (2)
33،118
- الحج : تركيبان (2)
35،44
- العنكبوت : تركيب واحد (1)
40
- الروم : تركيب واحد (1)
8

- الاحزاب :تركيبان (2)

40،5

- الزخرف : تركيب واحد (1)

76

- الحجرات : تركيب واحد (1)

14

- ق: تركيب واحد (1)

27

- القيامة : تركيب واحد (1)

32

- البقرة (219) :في قراءة عامر و حمزة و خلف ، أي برفع (الشياطين).

المصـادر و المـراجـع

– القران الكريم (برواية ورش عن نافع)

1– أبو حيان (الاندلوسي) ، تفسير البحر المحيط ط 1 مطبعة السعادة 1328 هـ القاهرة .

2– أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر للنشر و التوزيع.

3– أبي الطيب النجار، فتح البيان في مقاصد القرآن، طبعه و راجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت،1992.

4– إبراهيم السامرائي (الدكتور)، من بديع لغة التنزيل، دار العرفان للشركة المتحدة للتوزيع.

5– أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ط2 دار الكتب العلمية.

6– أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان و المعاني و البديع)، دار القلم، بيروت لبنان.

7– أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، ط2 ، مكتبة النهضة المصرية، 1966 .

8– الألوسي محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، ط2 ، دار الطباعة المنيرية، القاهرة.

9– إلياس ديب، أساليب التوكيد في اللغة العربية، دار الفكر العربي للطباعة و النشر، بيروت، 1993.

10–إميل بديع يعقوب (الدكتور)، المعجم المفصل في اللغة و الأدب، المجلد الثاني، س، ي، دار الملايين، بيروت لبنان.

11– إميل بديع يعقوب (الدكتور)، قاموس المصطلحات اللغوية و الأدبية (عربي – إنجليزي – فرنسي)، ط1 ، دار الملايين، بيروت لبنان.

12– بدوي طيانة، معجم البلاغة العربية، ط3 ، دار المنار، القاهرة ، 1988.

13– البيضاوي، أنور التنزيل و أسرار التأويل (تفسير)، مؤسسة شعبان، بيروت.

14– بكري شيخ أمين (الدكتور)، البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني)، ط1 ، دار العلوم للملايين، بيروت لبنان، 1982 ، ج1.

15– بكري شيخ أمين (الدكتور)، التعبير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت، 1980

16– بسيوني عبد الفتاح فيود (الدكتور)،علم المعاني(دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني) مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة.ج1.

17– ابن دقيق العيد ، إحكام الأحكام (شرح عمدة الأحكام)،ط2، دار الكتب السلفية، القاهرة، 1987.

18- ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية (في الأحاديث الصحيحة النبوية)، ط1، دار حزم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان، 1997.
19- ابن هشام (جمال الدين)، قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة.
20- ابن هشام (جمال الدين)، معنى اللبيب في كتاب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة.
21- ابن يعيش (موفق الدين)، شرح المفصل، إدارة الطبع المنيرية، مصر.
22- ابن كثير (عماد الدين)، مختصر التفسير ابن كثير، تلخيص و تحقيق محمد علي الصابوني، ط7، دار القرآن الكريم، بيروت،1981.
23- ابن منظور، معجم لسان العرب، ط1، دار إحياء التراث العربي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1988 (مادة قصر).
24- ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
25- ابن فارس (أحمد)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق و ضبط عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991 ، (مادة قصر).
26- ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، صححه و علق عليه الشيخ طه يوسف شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان،1982.
27- ابن القيم ، التفسير القيم ،تحقيق محمد حامد الفقي ،لجنة التراث العربي ، لبنان.
28- الجرجاني (عبد القاهر)،دلائل الإعجاز في علم المعاني ، دار المعارف للطباعة و النشر ، بيروت ،1981.
29- درويش الجندي (الدكتور)، علم المعاني ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
30- الزمخشري، تفسير الكشاف ، تحقيق محمد موسى عامر ، دار الصحف القاهرة.
31- الزركشي (عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ن بيروت.
32- حواس بري (الدكتور)، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير و التنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور (دكتوراه دولة)،جامعة الجزائر، 1996.
33- حورية عبيب ، أساليب الحقيقة والمجاز قي القرآن الكريم (سورة الكهف نموذجا)، (رسالة ماجستير) ، جامعة الجزائر 1997.
34- الكرماني (محمود بن حمزة) ، أسرار التكرار في القرآن ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط1 ، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع ، تونس ، 1983.
35- محمد أبو موسى (الدكتور)، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات القرآنية .

36- محمد أبو موسى (الدكتور)، من أسرار التعبير القرآني (دراسة تحليلية لسورة الأحزاب)، دار الفكر العربي ، 1976.
37- محمد أبو موسى (الدكتور)، دلالات التراكيب (دراسة بلاغية) ،ط2، مكتبة وهبة 1987.
38- محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم(القسم الأول الحروف و الأدوات) جامعة الأمير محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.
39- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير،ط5، شركة الشهاب، الجزائر ،1990 .
40- محمد عفت الشرقاوي (الدكتور)، بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1981 .
41- محمد الطاهربن عاشور، تفسير النحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر.
42- محمد رشيد رضا، تفسير الفاتحة و ست سور من خواتم القرآن، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1985.
43- محمود أحمد نحلة (الدكتور)، علم المعاني، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، 1990.
44- محمود فهمي حجازي (الدكتور)، علم اللغة بين التراث و المناهج الحديثة.
45- منير سلطان (الدكتور)، بلاغة الكلمة و الجملة و الجمل، منشآت المعارف، الإسكندرية، مركز الدلتا للطباعة.
46- مصطفى مسلم (الدكتور)، مباحث في إعجاز القرآن، دار المنار للنشر و التوزيع، جدة السعودية.
47- المرادي (الحسن بن قاسم)، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، .1983
48- ناظم محمد سلطان، قواعد و فوائد الأربعين النووية، دار بن تيمية، البليدة،1991.
49- سيبوية، الكتاب، بولاق، القاهرة، 1316، ج 1.
50- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط10، دار الشروق،بيروت، 1982.
51- السيوطي (جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن، ضبط أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1988، ج1.
52- السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1988، ج1.
53- السيوطي، التحبير في علم التفسير، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.
54- السيوطي، شرح أرجوزة عقود الجمان في علم المعاني و البيان.
55- السكاكي (سراج الدين)،مفتاح العلوم،مطبعة التقدم بمصر، 41348هـ.
56- سليمان الجمل ،الفتوحات الإلهية (التفسير) ، دار إحياءالتراث العربي ، بيروت لبنان
57- سعدي الزبير (الدكتور) ، العلاقات التركيبية في القرآن (دراسة وظيفية)،(دكتوراه دولة)

جامعة الجزائر،1989.
58- عبد العزيز عتيق (الدكتور)، في البلاغة العربية (علم المعاني)،ط2.
59- عبد العليم فودة السيد ، أساليب الاستفهام في القرآن، مؤسسة دار الشعب القاهرة
60- عبد الفتاح لاشين(الدكتور) ، في البلاغة العربية (علم المعاني)،ط2.
61- عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر دار المريخ للنشر.
62- عبد الفتاح لاشين ، من أسرار التعبير القرآني(حروف القرآن)،ط1، شركة مكتبة عكاظ للنشر و التوزيع.
63- عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ) (الدكتورة) ، الإعجاز البياني للقرآن ، دار المعارف1971.
64- الفيروز باد ،القاموس المحيط ، المطبعة اليمنية القاهرة (مادة قصر).
65- الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة ، تحقيق الشيخ محمد حسين آل يس،ط1، عالم الكتب، بيروت، 1994.
66- القزويني (جلال الدين)، الإيضاح في علوم البلاغة ،شرح و تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، دار الكتاب اللبناني ،بيروت.
67- قطبي الطاهر، بحوث في اللغة(الاستفهام بين النحو و البلاغة دراسة مقارنة)القسم الثالث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
68- الرماني، الخطابي، الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،تحقيق محمد خلق الله و محمد زغلول سلام، ط2، 1968.
69- الشريف قصار،معاني الحروف في القرآن الكريم،المؤسسة الوطنية للكتاب،1984.
70- تاج الدين الأسفراييني، لباب الإعراب، تحقيق و دراسة بهاء الدين عبد الوهاب، ط1، دار الرفاعي للطباعة و النشر و التوزيع، الرياض،1984.

الفهــرس

الإهداء

المقدمة.....أ – ب
تهميد (علم المعاني) ..... 4 – 6
الفصل الأول .....9 – 28

المبحث الأول : القصر عند البلاغيين 9 - 23
مفهوم القصر ..... 9 – 10
طرق القصر ..... 11 – 17
أقسام القصر ..... 17 – 23
المبحث الثاني : القصر عند النحاة..... 25 – 28
الفصل الثاني : القصر و دلالاته في نظم القرآن ..... 31 – 120
المبحث الأول : من صور القصر في نظم القرآن 31 - 34
المبحث الثاني : طرق القصر 36 - 120
المطلب الأول : النفي و الاستثناء ..... 36 – 74
ما ... إلا ..... 37 – 40
لا ... إلا ..... 40 – 41
إن ... إلا..... 42 – 43
هل ... إلا ..... 43 – 44
لم ... إلا 44
لن ... إلا..... 44 – 45
ليس ... إلا 45
من ... إلا 45
أمن ... إلا..... 45
ماذا ... إلا ..... 45 – 46
أبى ... إلا..... 46 – 47
ملخص عام..... 47 – 51
الحقول الدلالية لطريق النفي و الاستثناء..... 51 – 69
الوظائف البلاغية لطريق النفي و الاستثناء..... 69 – 74
المطلب الثاني : إنما ..... 75 – 87
الوظائف النحوية لطريق إنما ..... 75 – 79
الحقول الدلالية لإنما ..... 79 – 84
الوظائف البلاغية لإنما ..... 84 – 87
المطلب الثالث : التقديم ..... 87 – 99
تقديم المعمول على العامل ..... 87 – 89
تقديم المسند إليه على المسند(المبتدأ على الخبر الفعلي)..... 89 – 91
تقديم المسند على المسند إليه..... 91 – 92
الحقول الدلالية للتقديم..... 92 – 96

الوظائف الدلالية للتقديم ..... 96 – 99
المطلب الرابع: ضمير الفصل و تعريف الجزأين..... 99 – 107
الوظائف النحوية للضمير و التعريف ..... 99 – 103
الحقول الدلالية للضمير و التعريف ..... 103 – 105
الوظائف البلاغية للطريقين..... 105 – 107
المطلب الخامس: العطف (لكن، بل) ..... 107 – 120
العطف ببل..... 107 – 109
العطف بلكن..... 109 – 111
الحقول الدلالية لطريق العطف..... 111 – 113
ملخص عام ..... 113 – 120
الفصل الثالث: أقسام القصر ..... 123 – 134
المبحث الأول : القصر الحقيقي 123 - 126
الحقيقي التحقيقي..... 123 – 125
الحقيقي المجازي..... 125 – 126
المبحث الثاني : القصر الإضافي 128 - 131
إفراد ..... 128 – 129
قلب ..... 129 – 130
تعيين..... 130 – 131
الخاتمة..... 133 – 135
تراكيب القصر في نظر القرآن..... 136 – 162
النفي و الاستثناء ..... 136 – 149
إنما ..... 149 – 153
التقديم..... 153 – 158
تعريف المسند ..... 158 – 160
الضمير ..... 158 – 160
العطف ..... 160 – 162
المصادر و المراجع..... 163 – 166
الفهرس..... 167 – 169